



الكتاب
العلم
العلم
العلم

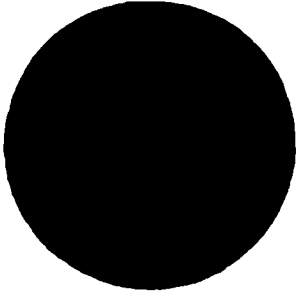
علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

الهيئة العامة
للكتاب





الحياة

موسوعة، اسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مناهج الحياة الحرة الصاعدة، للفرد
والمجتمع، وتدعو الى دعم نظام إنساني
صالح، في جميع آفاق الارض.

الجزء الثاني

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

- * الحياة
- * محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي .
- * الجزء الثاني .
- * ٥٠٠٠ نسخة .
- * الطبعة الخامسة (١٤٠٩ هـ.ق) .
- * مكتب نشر الثقافة الاسلاميَّة (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران .
- * حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين .

الفهرست

١٩	كلمة المؤلفين
٢١	الباب الخامس : الاصول العامة لرسالات الانبياء
٢٣	الفصل ١ - الهيكل العام
٢٥	الفصل ٢ - قيام الناس بالقسط
٢٦	الفصل ٣ - العدالة الاجتماعية
٢٧	الفصل ٤ - رفع الاغلال وانقاذ الانسان
٣١	الفصل ٥ - اصلاح المجتمعات البشرية
٣٦	الفصل ٦ - الاستقامة في سبيل الاهداف
٣٩	الفصل ٧ - المنطلق المعنوي : التربية، نشر العلم ومحاربة الجهل
٤٢	الفصل ٨ - المنطلق المعيشي : رفع مستوى الحياة ودعم اسس الحكومة الالهية
٤٥	الفصل ٩ - بث روح التأخي في المجتمعات
٤٦	الفصل ١٠ - الانبياء ومنبتهم الاجتماعي
٥١	الفصل ١١ - المساكين والعطف عليهم
	الفصل ١٢ - مع المستضعفين :
٥٣	أ- الوقوف بجانبهم
٥٤	ب- اقامة كيانهم الفردي والاجتماعي
٥٦	ج- الذب عنهم والاشادة بانتصاراتهم
٥٦	د- حملهم على الاستقامة
٥٧	هـ- الالهابة بكرامتهم

	الفصل ١٣ - تعبيد طرق الاصلاح :
٥٩	أ- الملأ والمستكبرون
٦١	ب- المترفون
٦٢	الفصل ١٤ - كسر شوكة الجبابرة
٦٥	نظرة الى الباب
	الباب السادس : القرآن
٦٩	الفصل ١ - حقيقة القرآن
٧١	الفصل ٢ - الطريق الاقوم
٧٣	الفصل ٣ - الصراط المستقيم
٧٥	الفصل ٤ - كتاب التوحيد الحق
٧٦	الفصل ٥ - كتاب الوعد الصدق
٧٨	الفصل ٦ - كتاب الهداية والنور والرحمة والبصائر
٨٠	الفصل ٧ - كتاب العقل والتفكير
٨٢	الفصل ٨ - كتاب الحكمة والعلم
٨٤	الفصل ٩ - كتاب العمل
٨٥	الفصل ١٠ - كتاب التبيان والتفصيل
٨٨	الفصل ١١ - كتاب لا ريب فيه ولا اختلاف
٩٠	الفصل ١٢ - كتاب الحب :
٩٢	أ- الحب الالهي
٩٣	ب- الحب الانساني
٩٤	الفصل ١٣ - كتاب البشارة والانذار
٩٦	الفصل ١٤ - كتاب الدعوة والانطلاق
٩٧	الفصل ١٥ - كتاب الصمود والرسالية
٩٩	الفصل ١٦ - كتاب العدل والاحسان والبر والتقوى
١٠٠	الفصل ١٧ - كاب الخصائل الانسانية
١٠٢	الفصل ١٨ - كتاب الشفاء والجلء

الفهرست

- ١٠٥ الفصل ١٩ - كتاب الرضا والاطمئنان
- الفصل ٢٠ - كتاب التأمل والاستذكار :
- ١٠٧ أ- ملازمة القرآن
- ١٠٨ ب- التدبر القرآني
- ١٠٩ ج- فيم التدبر؟
- الأول- في البدن والنفس :
- ١٠٩ (١)- التدبر في بدايات تكون الوجود الانساني
- ١١٠ (٢)- التدبر في مراحل الوجود الانساني
- ١١٠ (٣)- التدبر في خاتمة هذه الحياة
- ١١١ (٤)- انكشاف الواقع
- ١١١ الثاني- في عالمي النفس والآفاق
- ١١٢ الثالث- في احوال الامم الغابرة ومصائرهم
- ١١٣ الرابع- في اسباب ما حلت بالسابقين من الشدائد والبأساء
- د- حصيلة التدبر في المجالات السابقة :
- ١١٤ (١)- الانابة والرجوع
- ١١٤ (٢)- الاستغفار
- ١١٤ (٣)- الدعاء والعبادة
- ١١٥ (٤)- المثابرة والسعي
- ١١٧ الفصل ٢١ - كتاب العبرة والوعى
- ١١٩ الفصل ٢٢ - كتاب البشرية عامة
- الفصل ٢٣ - كتاب السياسة والولاية :
- ١٢٠ أ- حكومة الربانيين
- ١٢١ ب- شجب الجبارين
- ١٢٣ الفصل ٢٤ - كتاب العزة والاعتلاء
- ١٢٥ الفصل ٢٥ - كتاب النهضة والفتح والثورة والتغيير
- ١٢٨ الفصل ٢٦ - كتاب السلام
- ١٣٠ الفصل ٢٧ - كتاب اخبار الماضين والآتين

١٣٢	الفصل ٢٨ - كتاب النقد والتصحيح
١٣٣	الفصل ٢٩ - كتاب الاحكام والنظم الشاملة
١٣٥	الفصل ٣٠ - كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٣٦	الفصل ٣١ - كتاب التنمية والاقتصاد
١٣٧	الفصل ٣٢ - كتاب الاجتهاد والايجابية
١٣٩	الفصل ٣٣ - كتاب الطبيعة ومظاهر الحياة
١٤١	الفصل ٣٤ - كتاب الباطن والملكوت
١٤٤	الفصل ٣٥ - كتاب الفن والابداع
١٤٦	الفصل ٣٦ - كتاب التحدي والاعجاز
١٤٨	الفصل ٣٧ - كتاب الخلود
١٥٠	الفصل ٣٨ - كلمة جامعة عن القرآن
	الفصل ٣٩ - حرمة القرآن :
١٥٣	أ - فضل القرآن وعظمته
١٥٤	ب - حافظ القرآن
١٥٤	ج - حامل القرآن
١٥٥	د - تالي القرآن
١٥٦	هـ - مستمع القرآن
١٥٦	و - فضل قراءة القرآن في الصلاة
١٥٨	الفصل ٤٠ - تعليم القرآن وتدارسه
	الفصل ٤١ - كيفية قراءة القرآن :
١٦٠	أ - الادب الظاهري للقراءة
١٦٢	ب - الادب الباطني للقراءة
١٦٤	ج - القراءة التنبيهية
١٦٥	د - القراءة الاستذكارية
١٦٩	الفصل ٤٢ - آثار قراءة القرآن
١٧١	الفصل ٤٣ - اقامة الحروف واضاعة الحدود
١٧٣	الفصل ٤٤ - البلاغ والاكمال

الفهرست

١٧٥	الفصل ٤٥ - أ- طلب الهداية من غير القرآن ضلال
١٧٦	ب- لا يفسر القرآن بالرأي
١٨٣	الفصل ٤٦ - العلماء بالقرآن
١٨٧	الفصل ٤٧ - صامت معه ناطق
١٩٠	الفصل ٤٨ - جبل ممدود (الثقل الاكبر)
١٩٢	الفصل ٤٩ - ظل وارف
١٩٣	الفصل ٥٠ - حياة في حياة تذييلات :
١٩٤	١- القرآن والحياة المادية
١٩٤	٢- القرآن والحياة الروحية
١٩٤	٣- القرآن وساعات الرحيل
١٩٥	٤- القرآن ومنازل الكرامة
١٩٦	نظرة الى الباب
١٩٩	الباب السابع : الرواد الصادقون وبعض خصائصهم الفصل ١ - الصدق والأهلية والاخلاص :
٢٠١	أ- الصدق والامانة
٢٠٢	ب- الاهلية والجدارة
٢٠٧	ج- الاخلاص
٢٠٨	د- التصلب في اجراء العدالة والحق
٢١٠	الفصل ٢ - في سبيل الانسان وسعادته
٢١٢	الفصل ٣ - طلب الصلاح والاصلاح
٢١٥	الفصل ٤ - في ساحات العمل
٢١٧	الفصل ٥ - في خدمة الناس وحاجاتهم
٢١٩	الفصل ٦ - في بيوت البؤساء
٢٢١	الفصل ٧ - مع المرضى والمحتاجين
٢٢٢	الفصل ٨ - لا مولى ولا عبد

٢٢٤	الفصل ٩- رفع قيمة الانسان
٢٢٧	الفصل ١٠- البساطة في العيش
٢٣١	الفصل ١١- الزهد والقناعة
٢٣٧	الفصل ١٢- تعظيم المسؤولية والاهتمام بها
٢٤٠	الفصل ١٣- الاستعداد للدفاع والحرب
٢٤٦	الفصل ١٤- حقوق الناس والعمل على تحقيقها وصيانتها
	الفصل ١٥- المثل العليا :
٢٥١	أ- من اخلاق الرائد
٢٥٤	ب- تحقيق النصر بالعدل، لا بالجور
٢٥٥	ج- التواضع الحق
٢٥٧	د- الايمان بالانسان
٢٥٨	هـ- اعمل لنفسك بنفسك
٢٥٩	و- التفاعل مع الواقع البشري
٢٦٠	ز- الابوة الاجتماعية
٢٦٢	ح- المساواة الشاملة
٢٦٦	ط- كاحدهم، بل اخف مؤونة
٢٦٧	ي- من اشراق الضمير العملاق
	تذييل :
٢٦٩	الشعر الرسالي والترحيب به
٢٧١	نظرة الى الباب
٢٧٣	الباب الثامن : العلماء
٢٧٥	الفصل ١- نظرة عامة
	الفصل ٢- عظمة العالم :
٢٧٧	أ- العلماء ومنزلتهم
٢٨٠	ب- توقير العلماء واكبارهم
٢٨١	ج- زيارة العلماء

الفهرست

- ٢٨١ د- الجلوس عند العلماء
- ٢٨٢ هـ- آداب صحبة العالم وحقوقه
- ٢٨٢ و- العالم واهمية اتباعه
- الفصل ٣- العالم بعمله :
- ٢٨٤ أ- العالم بلا عمل يزداد من الله بعدا
- ٢٨٥ ب- العالم بلا عمل يهون على الناس
- ٢٨٥ ج- العالم بلا عمل اشد الناس ندامة وعذاباً
- ٢٨٦ د- العالم بلا عمل سفيه
- ٢٨٦ هـ- العالم بلا عمل جاهل
- ٢٨٦ و- العالم بلا عمل اسوأ حالا من الجاهل
- ٢٨٧ ز- العالم بلا عمل وسوء اثره
- ٢٨٧ ح- الدعوة بلا عمل فاشلة
- ٢٨٧ ط- خطباء الامة غير العاملين
- ٢٨٨ ي- تعالب الامة
- ٢٨٨ يا- مثل العالم الذي لا يعمل بعلمه
- ٢٨٨ يب- التواهي بالتناهي
- الفصل ٤- العلماء وموضعهم الديني الاجتماعي :
- ٢٩٠ أ- ورثة الانبياء
- ٢٩١ ب- خلفاء الرسول وامناؤه
- ٢٩١ ج- حكام على الناس عامة، الملوك وغيرهم
- ٢٩٢ د- مراجع الامة في التحاكم والقضاء
- ٢٩٣ هـ- المرجعية الكبرى
- ٢٩٥ الفصل ٥- دور العلماء في مواجهة الجبايرة والمستبدين
- الفصل ٦- مسؤوليات اخرى عظيمة، حول مسائل الحياة ومشاكل الشعوب :
- ٢٩٩ أ- تنبيه الناس وارشادهم
- ب- تطويع البيان، رعاية الحدود في المحاورات، والقدرة على الدفاع
- ٣٠٠ عن الحق

- ج- رعاية القابليات الذهنية ومستوى الادراك ٣٠٣
- د- نفي البدع وايقاظ الافكار ونشر اليقظة الاجتماعية ٣٠٤
- هـ- طرد اليأس وبث روح الامل ٣٠٦
- و- مراعاة حقوق الضعفاء والمحرومين، المادية والمعنوية ٣٠٧
- ز - صيانة اموال الناس و دفع الظلم عنهم ٣٠٩
- ح- مراعاة الزمنى والبؤسى ٣٠٩
- ط- معرفة الزمان وخواصه ٣٠٩
- ي- التحرز من السلطان والتجنب عنه ٣١٠
- يا- الجاه، اسبابه ومسؤولياته ٣١٠
- يب- العلماء والسكوت المبغوض عندالله تعالى ٣١١
- يج- العلماء وعهود الله وذمة رسول الله «ص» ٣١١
- يد- العلماء وذم فرارهم من الموت وتسليم امور الدنيا والدين بيد الظالمين ٣١٢
- يه- العلماء وبذل الدم لانقاذ الامم ٣١٢
- يو- مصيبة العلماء العظمى عندهم واجباتهم السياسية والاجتماعية ٣١٢
- يز- مسؤولية العلماء تجاه المحرومين والمضطهدين ٣١٣
- يح- واجب العلماء في محاربة علماء السلطة ٣١٣
- يط - قبول النصيحة والاجتناب من السقوط ٣١٣
- ك - الشجاعة والاقدام، والجرأة الكاملة في تنفيذ الاحكام فائدة : كلمة السيد جمال الدين الاسدآبادي، في ذم الجبن ٣١٤
- الفصل ٧- مسؤولية العلماء امام القرآن ٣١٨
- الفصل ٨- ذم اختلاف العلماء وتفرقهم ٣٢٠
- الفصل ٩- الثغور والمرابطون ٣٢٢
- الفصل ١٠- مصيبة العالم برجوعه الى الظالم ٣٢٥
- الفصل ١١- العلماء الصالحون وبعض خصائصهم : ٣٢٨
- أ- العلم بالله تعالى ٣٢٩
- ب- طلب العلم لله وعلائم ذلك وآثاره ٣٣٠

- ٣٣٠ ج- التأمل والخلوة والتفكير
- ٣٣٣ د- تفاعل العلم مع القلب
- ٣٣٥ هـ- التواضع والاخلاص
- ٣٣٦ و- الزهد
- ٣٣٧ ز- الورع وصون الجانب
- ٣٣٧ ح- النفع الوجودي
- ٣٣٨ ط- نشر العلم
- ٣٣٨ ي- الغلبة على الهوى ومجانبة المرء
- ٣٣٩ يا- حب الفقراء والمساكين والوقوف بجانب المستضعفين
- ٣٤٠ يب- استيعاب مجالات العلم المختلفة
- ٣٤٠ يج- الرجوع الى القرآن لا الى غيره
- ٣٤١ يد- يذكر الله رؤيتهم
- ٣٤١ يه- هم خير خلق الله بعد الائمة «ع»
- الفصل ١٢- العلماء الفاسدون وبعض خصائصهم :
- ٣٤٣ أ- حب الدنيا والافتتان بها
- ٣٤٣ ب- طلب العلم للدنيا
- ٣٤٤ ج- الادعاء والتجبر
- ٣٤٤ د- كتمان العلم
- ٣٤٥ هـ- العيش على بيت المال، مع ترك الوظائف
- ٣٤٥ و- اهمال الضعفاء والمحرومين في ايدي الظالمين وترك انقاذهم
- ٣٤٥ ز- الاستكثار بالدين
- ٣٤٦ ح- الزهد الكاذب
- ٣٤٦ ط- نصب الدين فحاً
- ٣٤٧ ي- طلب الرئاسة وحب الشهرة والمدح
- ٣٤٨ يا- قصم ظهر الدين
- ٣٤٨ يب- التمويه على الناس
- ٣٤٩ يج- الاشتهار بالعلم، لا بالعمل

٣٤٩	يد- الانسلاخ من العلم
٣٥٠	يه- هم شر خلق الله ..
	الفصل ١٣- الاقتراب والاجتناب :
٣٥٢	أ- دعوة الناس اليهم
٣٥٤	ب- تنفير الناس منهم تتميمان :
٣٥٥	١- من يصلح للارشاد والوعظ؟
٣٥٦	٢- خطباء يجب مقاطعتهم
٣٥٨	الفصل ١٤- المرجعية والمرجع
٣٦١	نظرة الى الباب مسائل :
٣٦٢	١- المرجعية، اساسها ومسؤولياتها
٣٦٨	٢- المرجعية ومؤهلاتها
٣٧٣	٣- المرجعية ومنافياتها
٣٧٦	٤- من هو الفقيه؟
٣٨٠	٥- رعاية الحكمة في تعظيم العلماء وارجاع الامة اليهم
٣٨٢	٦- بعضهم لا كلهم
	٧- تصدي غير اللائق للمناصب الدينية وبعض محاذيره :
٣٨٣	أ- الخيانة الاجتماعية
٣٨٤	ب- وهن الامة وتسافل امرها
٣٨٤	ج- الحرمان من توفيق الله والطافه
	٨- الوظيفة الدينية عند تصدي غير اللائق :
٣٨٤	أ- الوظيفة الفردية الخاصة
٣٨٥	ب- الوظيفة الاجتماعية العامة
٣٨٦	٩- الزعامة
٣٩٠	١٠- ولاية الفقيه
٣٩٣	اشارة هامة

- ٤٠٣ الباب التاسع : الولاية والحكومة (الفلسفة السياسية)
- ٤٠٥ الفصل ١- الحكم الديني الالهي
- ٤٠٧ الفصل ٢- الحاكم الديني الالهي
- ٤١٣ الفصل ٣- اهداف الحكومة الدينية
- ٤١٦ الفصل ٤- المصالح العامة والحاكم الديني
- ٤١٩ الفصل ٥- الحاكم الديني، محور الحق والعدالة والصلاح
- ٤٢١ الفصل ٦- السياسة العملية للحاكم الاسلامي
تذييلان :
- ٤٢٢ ١- الحاكم المسلم كما يراه الامام علي بن ابي طالب «ع»
- ٤٢٣ ٢- لا حرمة للحاكم الجائر ولاكرامة
- ٤٢٤ الفصل ٧- صلة الفلسفة الاعتقادية والفلسفة السياسية
- ٤٢٩ الفصل ٨- صلة الاعمال الدينية والفلسفة السياسية
- ٤٣٣ الفصل ٩- الحاكم الديني وتعميم التشريعات السماوية على الارض
- ٤٣٦ الفصل ١٠- ائمة العدل وائمة الجور
- ٤٣٨ الفصل ١١- التحذير من مؤازرة الحكومات الجائرة
- ٤٤٠ الفصل ١٢- الحكومات الجائرة وآثارها
- ٤٤٢ الفصل ١٣- الخروج من نور الاسلام الى ظلمات الحكومة الجائرة والنظام الطاغوت
- ٤٤٥ الفصل ١٤- وجوب رفض الحكومات اللادينية
تذييلان :
- ٤٤٨ ١- الالتفاف حول الحاكم اسلامي
- ٤٥٠ ٢- آثار متابعة الحاكم الحق والنظام القرآني الصالح
- ٤٥٢ نظرة الى الباب
- ٤٥٧ الباب العاشر : الحاكم الاسلامي، وظائفه من واجباته ومسؤولياته
- ٤٥٩ الفصل ١- اختيارات الحاكم الاسلامي وما يجب عليه
- ٤٦٥ الفصل ٢- الحاكم الاسلامي ومسؤولياته الشخصية
الفصل ٣- الحاكم الاسلامي وعماله :

- أ- اصطفاء العمال والولادة
 ٤٦٧
- ب- الرقابة العامة
 ٤٦٨
- ج- الرقابة الخاصة، على المواقف القضائية، و..
 ٤٧٠
- د- الجند واحواله
 ٤٧١
- الفصل ٤- الحاكم الاسلامي في الحقل الاداري :
 ٤٧٤
- أ- الاقتراب من الناس ونفي الاحتجاب منهم
 ٤٧٤
- ب- الصديق والوفاء بالعهد امام الجماهير
 ٤٧٥
- ج- المساواة امام القانون
 ٤٧٦
- د- الانسانيات المثلي والسعي لتركيزها
 ٤٧٨
- هـ- مراعاة حرمة الافراد وآرائهم وشؤونهم و..
 ٤٨١
- و- قبول النقد ومجانبة الاستبداد بالرأي
 ٤٨٣
- الفصل ٥ - واجبات الحاكم الاسلامي في تأمين حوائج المجتمع و ..
 ٤٨٤
- أ- المؤن والارزاق
 ٤٨٤
- ب- الديون
 ٤٨٥
- ج- تأدية الحقوق
 ٤٨٩
- د- مكافحة الفقر والقضاء عليه
 ٤٩٢
- هـ- مجابهة الاحتكار والرقابة على الاسعار
 ٤٩٣
- و- صيانة حقوق العمال والفلاحين
 ٤٩٤
- ز- الإعمار
 ٤٩٥
- ح- جباية الزكوات والصدقات
 ٤٩٧
- ط- مكافحة الامية والتعليم الاجباري
 ٤٩٧
- الفصل ٦- الحاكم الاسلامي وتحكيم العلاقات الاجتماعية والصلوات الدينية :
 ٥٠٠
- أ- العمل على تحقيق الاخوة والتواصل والاجتماع
 ٥٠٠
- ب- مجابهة العيب والفساد
 ٥٠٢
- ج- تحكيم الصلات العائلية ومايمت اليها
 ٥٠٣
- د- نواحٍ أخرى من الشؤون الانسانية الهامة
 ٥٠٤
- نظرة الى الباب
 ٥٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

بعد ما نَجَزَ الجزء الأول من كتاب «الحياة»، نلتقي القارىء في هذا الجزء.
ولقد اوضحنا في مستهل الكتاب مفهومنا من هذا التأليف والعرض، حيث قلنا: «كان الغرض من هذا الكتاب، واصطفاء مادته وكيفية تأليفه - في الاكثر - التعريف بالمسائل التي جاءت في الاسلام، ولكن لم تأخذ حظها من التعريف بها، على حد يناسب تلك المسائل...».

وقلنا ايضاً: «يتضح لدى القارىء الكريم، مما يُعرض عليه في هذا الكتاب، من الحقائق الدينية، أن التعاليم الاسلامية قد عمّدت الى ايضاح الخطوط الرئيسية للمسائل الانسانية والاجتماعية، والعوامل الاقتصادية، والاصول العامة، وكذلك فسّرت حركة التاريخ وسنتها. وكان كل ذلك مبتنياً على اصول علمية، وحقائق مشاهدة، كما كانت حركة الدين في حقب التاريخ مطابقة ايضاً لتلك الاصول».

وحيث عمّدنا هناك لبيان اهمية درس الحقائق والتعاليم الاسلامية، وتفهم العِلل والاصول، قلنا: «ولا يخفى ما يُعطيه هذا التفهم، من امكانيات علمية وعملية، لتحسين مصائر المجتمع، وتطوير القضايا الانسانية الهامة، في الأمة الاسلامية، وفي سائر أمم الارض».

والآن نُلَفِّتُ نظرَ القارىء الى تلك الافتتاحية من جديد، ونأخذُ معه في تدارس الحقائق الاسلامية التي جاءت في الابواب الستة المعروضة في هذا الجزء؛ حامدين لله تعالى، ومُصلِّين على النبي وآله، ومُستغفرين للذين سَبَقُونَا بالايمان.

المؤلفون

جمادى ١ / ١٣٩٩

البابُ الخامس

الفصلُ الأوّل

الهيكل العام

الكتاب

- ١ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا *^١
- ٢ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *^٢
- ٣ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ *^٣
- ٤ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ *^٤

١ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٣٩.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٧٣.

٤ - سورة النحل (١٦) : ٩٠.

- ٥ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *^١
- ٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ : أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *^١
- ٧ وَلَوْ طَآءَنَّا هُكْمًا وَعِلْمًا، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ *^٣
- ٨ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ : إِنَّمَا يُوحِي الِّي أَنَّمَا آلهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟ *^٤
- ٩ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا *^٥
- ١٠ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *^٦

١ - سورة الاعراف (٧) : ٦٢.

٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٢٤ - ١٢٧.

٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٧٤.

٤ - سورة الانبياء (٢١) : ١٠٧ - ١٠٨.

٥ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٤٥ - ٤٦.

٦ - سورة سبأ (٣٤) : ٢٨.

الفصلُ الثاني

قيام الناس بالقسط

الكتاب

- ١ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ..^٢
- ٣ قُلْ : أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ..^٣
- ٤ .. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ..^٤
- ٥ .. وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٥

* سيأتي البحث الضافي عن موضوعِ هذا الفصل والفصل

التالي، في البابين الحادي عشر والثاني عشر.

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ - سورة النساء (٤) : ١٣٥.

٣ - سورة الاعراف (٧) : ٢٩.

٤ - سورة الانعام (٦) : ١٥٢.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٤٢.

الفصل الثالث

العدالة الاجتماعية

الكتاب

- ١ إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ١..
- ٢ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ٢..
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ، شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا، إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ٣..
- ٤ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ٤..
- ٥ وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ، فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ٥..

١ - سورة النحل (١٦) : ٩٠.

٢ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٨.

٤ و ٥ - سورة النساء (٤) : ٥٨ و ٣.

الفصل الرابع

رفع الأغلال وإنقاذ الانسان

الكتاب

- ١ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون *^١
- ٢ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فأواكم وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات، لعلكم تشكرون *^٢
- ٣ قل: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون *^٣
- ٤ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله، والمستضعفين من الرجال والنساء

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٥٧.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٢٦.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٦٤.

- والولدان؟ الذين يقولون : ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها،
واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً *^١
- ٥ ولقد بعثنا في كل امة رسولا، ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين *^٢
- ٦ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس : كونوا عبادا لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً، اياهم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون *^٣
- ٧ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد *
واتبعوا في هذا الدنيا لعنة ويوم القيامة، الا ان عاداً كفروا ربهم، الا بعداً لعاد قوم هود *^٤
- ٨ وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل *^٥
- ٩ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * ان ادوا الي عبادة الله، اني لكم رسول امين *^٦
- ١٠ اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري * اذها الى فرعون انه طغى *
.. فاتياه فقولا : انارسولاً ربك، فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ..^٧

١ - سورة النساء (٤) : ٧٥.

٢ - سورة النحل (١٦) : ٣٦.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٧٩ - ٨٠.

٤ - سورة هود (١١) : ٥٩ - ٦٠.

٥ - سورة الشعراء (٢٦) : ٢٢.

٦ - سورة الدخان (٤٤) : ١٧ - ١٨.

٧ - سورة طه (٢٠) : ٤٢ - ٤٣ و ٤٧.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : أما بعد، فإن الله تعالى بعث محمداً «ص»، ليُخْرِجَ عباده من عبادة عباده الى عبادته، ومن عهود عباده الى عهوده، ومن طاعة عباده الى طاعته، ومن ولاية عباده الى ولايته ..^١
- ٢ الامام علي «ع» : إن الله سبحانه بعث محمداً «ص»، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بؤأهم محلَّتهم وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم؛ أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى ولت بحذافيرها، ما ضعفت ولا جبنت؛ وإن مسيري هذا ليمثلها ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : .. لقد أحسنت جواركم وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ربقي الذل وحلقت الضيم، شكراً مني للبر القليل، وإطراقاً عما أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : .. على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلقت الآباء وخلفت الأبناء، الى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله «ص»، لإنجاز عديته وتمام نبوته، مأخوذاً على النبين ميثاقه، مشهوراً بسماته، كريماً ميلاده. وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه الله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير الى غيره، فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة.^٤

١ - الكافي ٨ / ٣٨٦؛ الوافي ٣ (م ١٤) / ٢٢.

٢ - نهج البلاغة / ١١١؛ عبده ١ / ٧٧.

٣ - نهج البلاغة / ٥٠١ - ٥٠٢؛ عبده ٢ / ٧٠.

٤ - نهج البلاغة / ٣٥؛ عبده ١ / ١٨ - ١٩.

٥ الامام علي «ع» : .. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطَوَّلَ هَجْعَةَ مِنَ الأُمَّمِ، وَاعْتَزَامِ مِنَ الفِتَنِ، وَانْتِشَارِ مِنَ الامورِ، وَتَلَطُّ مِنَ الحروبِ، وَالدُنْيَا كاسِفَةُ النورِ .. عَلَى حِينِ اصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَغْوَارٍ مِنْ مَائِهَا؛ قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرَهَا الفِتْنَةُ وَطَعَامُهَا الجِيفَةُ وَشِعَارُهَا الخوفُ وَدِتَارُهَا السيفُ.^١

٦ الامام علي «ع» : .. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدينِ المَشْهُورِ، وَالعَلَمِ المَأْتُورِ، وَالكِتَابِ المَسْطُورِ، وَالنورِ الساطِعِ، وَالضياءِ اللامِعِ، وَالامرِ الصادِعِ، إِزَاحَةً لِلشَبْهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي اليَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الامرُ، وَضَاقَ المَخْرَجُ، وَعَمِيَ المَصْدَرُ؛ فَالهُدَى خَامِلٌ، وَالعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنَصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الايْمَانُ؛ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَّتْ شُرُكُهُ؛ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ؛ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَأْوِهِ؛ فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَائِهَا، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهَمَّ فِيهَا نَائِبُهُونَ، حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ، مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ؛ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضِ عَالَمِهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.^٢

٧ الامام علي «ع» : .. طيِّبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الحَاجَةُ إِلَيْهِ: مِنْ قُلُوبِ عُمِي، وَأَذَانِ صُمَّ، وَأَلْسِنَةِ بُكْمٍ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الحَيْرَةِ.^٣

١ - نهج البلاغة / ٢٢١: عبده / ١ - ١٥٥ - ١٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ٤٢ - ٤٣: عبده / ١ - ٢٢ - ٢٤.

٣ - نهج البلاغة / ٣٢١: عبده / ١ - ٢٠٦.

الفصل الخامس

إصلاح المجتمعات البشرية

الكتاب

- ١ .. إن أريدُ إلاّ الاصلاح، مَا اسْتَطَعْتُ، وما توفيقى إلاّ بالله، عليه توكلتُ واليه أنيب *^١
- ٢ وقال موسى لِأخيه هارون: أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سُبُلَ المفسدين *^٢
- ٣ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ، إلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، او معروفٍ، او اصلاحٍ بَيْنَ الناسِ ..^٣

الحديث

-
- ١ - سورة هود (١١) : ٨٨.
 - ٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٤٢.
 - ٣ - سورة النساء (٤) : ١١٤.

١ الامام علي «ع» : اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعَلَّمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مَنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرُدَّ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرِ الاصلاحَ فِي بِلَادِكَ؛ فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ المَعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ! إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ «ص» بِالصَّلَاةِ.^١

٢ الامام علي «ع» : الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.^٢

٣ الامام علي «ع» : لم تكن بيعتكم اياي فلتة، وليس امرى وأمركم واحداً. إني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم! أيها الناس! أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزائمه، حتى أوردته منهل الحق وان كان كارهاً.^٣

٤ الامام الحسين «ع» : اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعَلَّمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافَساً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التَّمَّاساً مِنْ فَضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِيَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرِ الاصلاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلُ بِفِرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ واحكامك. فانكم إن لا تنصرونا وتنصفونا، قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم. وحسبنا الله وعليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير.^٤

٥ الامام الصادق «ع» : إن الله عز وجل أوحى الى نبي من انبيائه، في مملكة

١ - نهج البلاغة / ٤٠٦ - ٤٠٧؛ عبده ٢ / ١٩.

٢ - نهج البلاغة / ١٢١؛ عبده ١ / ٨٥.

٣ - نهج البلاغة / ٤١٧؛ عبده ٢ / ٢٦.

٤ - تحف العقول / ١٧٢؛ البحار ١٠٠ / ٨١.

الفصل الخامس : اصلاح المجتمعات البشرية

جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ، أَنْ ائْتِ هَذَا الْجَبَّارَ فَقُلْ لَهُ: «إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمِلْكَ عَلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ، وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ. وَأِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ لِتُكْفَّ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ؛ فَانِّي لَمْ أَدْعُ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كَفَّارًا»^١.

* لعلَّ قائلًا يقول: كيف استعمل الله - سبحانه وتعالى - ملكًا جَبَّارًا عَلَى النَّاسِ؟ فيقال له: ان هذا الاستعمال امرٌ يتبع الواقعَ التكوينيَّ فحسب، اذ ليس من الممكن ان يكون استيلاءً اىَّ جَبَّارٍ من الجبابرةِ والظالمين موافقاً لمرادِ اللهِ التشريعيِّ، مواكباً لدينِ اللهِ الحنيف؛ فما جاء في الحديث اشارة الى امرٍ قُدِّرَ وَجَرى بحسبِ الوقائعِ الخارجِيَّةِ بما اُكْتَسَبَتْهُ ايدي الناس، حيث احتملوا الظالمَ ولم يُغَيِّرُوا ما بَأَنْفُسِهِمْ، فـ «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ»^٢. ويقول القرآن الكريم ايضاً: «وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^٣. ولقد عدَّ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع»، استيلاءَ الاشرار نتيجةً لتركِ الواجبين العظيمين، الامرِ بالمعروف والنهي عن المنكر^٤.

وببيانٍ آخر: إن الحديثَ المذكورَ وامثاله، يُرِيدُ الصَّوْرَةَ القائمةَ لا الصَّوْرَةَ المطلوبة؛ فالسُّلْطَانُ اذا كان جَبَّارًا (وكان الله قد قَدَّرَ سُلْطَنَتَهُ تَكْوِينًا، لِلْعَلَّةِ الْمَذْكُورَةِ) وكان في مملكته نبيُّ غيرِ قادرٍ على مَواجَهَتِهِ واسقاطِهِ، فعليه ان يَأْتِيَهُ وَيَعْظُمُهُ لِكَيْ يَكْفَّ عَنِ سَفْكِ الدَّمَاءِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ، وَيَمِيلَ إِلَى جَانِبِ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ وَالْحَقِّ.

١ - الكافي ٢ / ٣٣٣.

٢ - سورة الرعد (١٣) : ١١؛ ايضاً: سورة الانفال (٨) : ٥٣.

٣ - سورة الانعام (٦) : ١٢٩.

٤ - نهج البلاغة / ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

ولعلّ هذا النبيّ كان من الانبياء الذين أمرُوا بالتبليغِ والدعوة

لاغير.

٦ الامام الصادق «ع» : كان سليمان «ع» مع ما فيه من الملك، يلبسُ الشعر؛ واذا جَنَّهُ اللَّيْلُ شَدَّ يَدَيْهِ اِلَى عُنُقِهِ فَلَا يَزَالُ قَائِمًا حَتَّى يَصْبَحَ بِاَكْبِيَاءٍ؛ وَكَانَ قُوَّتُهُ مِنْ لَفَائِفِ الْخُوصِ يَعْمَلُهَا بِيَدِهِ. وَأَمَّا سَأَلَ الْمَلِكُ لِيَقْهَرَ مُلُوكَ الْكُفْرِ.^١

٧ الامام الكاظم «ع» : يا ابن بُكَيْرِ! أَنِّي لَأَقُولُ لَكَ قَوْلًا قَدْ كَانَتْ آبَائِي - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - تَقُولُهُ: .. إِنَّ لِلْحَقِّ أَهْلًا وَلِلْبَاطِلِ أَهْلًا، فَأَهْلُ الْحَقِّ .. يَجَارُونَ اِلَى اللَّهِ فِي إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ بِنَا، وَأَنْ يَبْعَثَنَا اللَّهُ رَحْمَةً لِلضُّعْفَاءِ وَالْعَامَّةِ. يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَوْلَيْكَ شِيعَتُنَا، وَأَوْلَيْكَ مِنَّا، وَأَوْلَيْكَ حِرْبُنَا، وَأَوْلَيْكَ أَهْلُ وَلَايَتِنَا.^٢

٨ الامام الرضا «ع» - قَالَ لَهُ مُعَمَّرُ بْنُ خَلَادٍ: عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَكَ! فَقَالَ: يَا مُعَمَّرُ! ذَاكَ فَرَجُكُمْ أَنْتُمْ! فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا مِرْوَدٌ، فِيهِ كَفٌّ سَوِيْقٍ، مَخْتَوْمٌ بِخَاتَمٍ.^٣

* هذه هي سيرةُ الحاكمِ الاسلامي، في الحكمِ الاسلامي. و هكذا يكون زهدهُ وعزوفهُ عن الدنيا، فَلَا يَتَنَاوَلُ مِمَّا يَقَعُ تَحْتَ يَدِهِ مِنْ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ إِلَّا مِرْوَدًا فِيهِ كَفٌّ سَوِيْقٍ مَخْتَوْمًا بِخَاتَمٍ، لِكَيْلَا يَزِيدَ أَحَدٌ فِيهِ شَيْئًا.

هذه هي صورةُ الحاكمِ الاسلامي، كما رَسَمَهَا الامامُ ابوالحسن عليُّ بن موسى الرضا «ع». وما لم يَحْذُ الرِّعْمَاءُ

١ - البحار ١٤ / ٨٣، عن «ارشاد القلوب».

٢ - مشكاة الانوار / ٦٤.

٣ - تحف العقول / ٣٢٩.

الفصل الخامس : اصلاح المجتمعات البشرية

والمسؤولون في المجتمع هذا الحذو، ولم يسيروا بهذه السيرة، لا تجدُ الاصلاحات الاجتماعية والغايات الفاضلة سبيلاً الى النور، ولا تتجاوزُ القول والوعد والهُتاف.

وما ذُكر بحق الحاكم الاسلامي، من الزهد والتورع في الجانب المالي والمعيشي، فانما هو نموذجٌ لسائر الجوانب ومقياسٌ لبقية الامور، وميزان للزوم رعاية التقوى في كل شيء يجري في المجتمع، خصوصاً الامور التي تمس حياة المحرومين والمستضعفين.

والسيرة المذكورة هذه، هي التي عاشها الامام علي بن ابي طالب «ع» وعمل بها. قالوا: ان عمرو بن حريث ترصد غداءه، فأتت فضة بجرابٍ مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً. فقال عمرو: يا فضة، لو نخلت هذا الدقيق وطيبته! قالت: كنت افعلُ فنهاني، وكنت اضعُ في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه ..^١

راجع: الفصلين، العاشر والحادي عشر، من الباب السابع. ولقد قالوا في تصوير حكومة المهدي المنتظر «ع» ورسم خطوطها الاصلية - وهي نموذج للحكم الاسلامي القرآني.. - : «... فوالله ما لبأسه الا الغليظ، ولا طعامه الا الجشب.. ويسير بسيرة الصالحين»^٢. ففي هذا الضوء، من الجدير بنا - بل من الواجب علينا - ان لا نسمي ما لا يكون كذلك - او لا يكون متقارباً منه - اسلامياً، حتى لا نُضعِع عمود الحق، ولا نُشوّه سُمعة الدين الالهي الخالد، ولا نُضحّي بعظمة الاسلام وتعاليمه.^٣

١ - المناقب ٢ / ٩٨.

٢ - الغيبة، للنعماني / ٢٣٣، طبعة الفقاري؛ المهدي الموعود المنتظر ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ و ٢٦٦ و ٣٠٠.

٣ - راجع ايضاً: الفصل ١١، من الباب ٧.

الفصل السادس

الاستقامة في سبيل الأهداف

الكتاب

- ١ فلذلك فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كما أَمَرْتُ، وَلَا تَتَّبِعْ أهواءَهُمْ وَقُلْ : آمَنْتُ بما أَنْزَلَ اللهُ من كتاب، وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ، اللهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ، لنا اَعْمالُنا ولكم اَعْمالُكم، لِأُحْجَةَ بَيْننا وَبَيْنَكُمْ، اللهُ يَجْمَعُ بَيْننا واليه المصير *^١
- ٢ فَاسْتَقِمْ كما أَمَرْتُ، وَمَنْ تاب معك، وَلَا تَطْغَوْا إِنَّه بما تَعْمَلُونَ بصير *^٢
- ٣ قال : قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكما فَاسْتَقِيها، وَلَا تَتَّبِعانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ *^٣
- ٤ وَلقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ من قبلك فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا، وَأُودُوا حتى أَتاهُمْ نَصْرُنا، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللهِ، وَلقد جاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ المُرْسَلِينَ *^٤
- ٥ فَقاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلِّفُ الْاَنفُسَکَ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ، عَسَى اللهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللهُ أَشَدُّ بِأَساً وَأَشَدُّ تَنْكِلاً *^٥

١ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥.

٢ - سورة هود (١١) : ١١٢.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٨٩.

٤ - سورة الانعام (٦) : ٣٤.

٥ - سورة النساء (٤) : ٨٤.

- ٦ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين *^١
- ٧ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا نذكركم لمن يخشى *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. إجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل؛ كما حمل فاضطلع، قائماً بأمرك، مستوفيزاً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيدك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآتام، وأقام موضحات الاعلام، ونيرات الاحكام..^٣
- ٢ الامام علي «ع» : .. أرسله داعياً الى الحق، وشاهداً على الخلق، فبلغ رسالات ربه، غير وان ولا مقصر؛ وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر، إمام من أتقى، وبصر من اهتدى..^٤
- ٣ الامام علي «ع» : لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبى «ص» وهو أقربنا الى العدو. وكان من أشد الناس يومئذ بأساً..^٥

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٣.

٢ - سورة طه (٢٠) : ١ - ٣.

٣ - نهج البلاغة / ١٨٦؛ عبده ١ / ١١٧.

٤ - نهج البلاغة / ٣٦٣؛ عبده ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

٥ - مكارم الاخلاق / ١٧.

٤ الامام علي «ع» : كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسَ وَلُقِيَ الْقَوْمَ، إِتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ؛ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ.^١

٥ الامام الصادق «ع» : إِنَّ اللَّهَ كَلَّفَ رَسُولَ اللَّهِ مَا لَمْ يُكَلِّفْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ؛ كَلَّفَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَحْدَهُ بِنَفْسِهِ، إِنْ لَمْ تَجِدْ فِتَّةً تُقَاتِلُ مَعَهُ. وَلَمْ يُكَلِّفْ هَذَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ. ثُمَّ تَلَا (الصَّادِق) هَذِهِ الْآيَةَ: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ».^٢

١ - مكارم الاخلاق / ١٧.

٢ - الكافي ٨ / ٢٧٤ - ٢٧٥.

الفصل السابع

المنطلق المعنوي : التربية، نشر العلم ومحاربة الجهل

الكتاب

- ١ ربَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *^١
- ٢ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..^٢
- ٣ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ *^٣
- ٤ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ..^٤
- ٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا، أَنْ: أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ *^٥
- ٦ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *^٦

١ - سورة البقرة (٢) : ١٢٩.

٢ - سورة الطلاق (٦٥) : ١١.

٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٨.

٤ و ٥ - سورة ابراهيم (١٤) : ٤ - ٥.

٦ - سورة الجمعة (٦٢) : ٢.

- ٧ لقد مَنْ اللهُ على المؤمنين، اذ بَعَثَ فيهم رسولاً مِنْ انْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وان كانوا من قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ *^١
- ٨ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» : .. بالتعليم أُرْسِلْتُ.^٣
- ٢ عيسى المسيح «ع» : بحقِّ أقولُ لكم: ماذا يُغني عن الجسد اذا كان ظاهرُهُ صحيحاً وباطنه فاسداً؟ وما تُغني عنكم اجسادكم اذا أُعْجِبَتْكُمْ وقد فَسَدَتْ قلوبُكم؟ وما يُغني عنكم ان تُنْقُوا جلودكم وقلوبكم دَنَسَةً؟^٤
- ٣ الامام علي «ع» : .. فَبَعَثَ فيهم رُسُلَهُ، وواترَ اليهم انبياءه، لِيَسْتَأْذُوهُمْ ميثاقَ فِطْرَتِهِ .. وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفائنَ العقول ..^٥
- ٤ الامام علي «ع» : .. وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ارسلَهُ بالحق ودينِ الهدى، لِيُزِيحَ بِهِ عِلَّتْكُمْ، وَلِيُوقِظَ بِهِ غَفَلَتَكُمْ ..^٦
- ٥ الامام علي «ع» : .. بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ؛ قَدْ

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٦٤.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٢٤.

٣ - مُنْيَةُ المريد / ١٦.

٤ - تحف العقول / ٣٨٠.

٥ - نهج البلاغة / ٣٣؛ عبده ١ / ١٧.

٦ - البحار ٧٣ / ١١٧، عن «عيوان الحكيم والمواعظ»، لعلي بن محمد الواسطي.

الفصل السابع: المنطلق المعنوي ..

اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ،
حيارنى في زلزالٍ مِنْ الْأَمْرِ، وبلاءٍ من الجهل؛ فبالغ «ص» في النصيحة،
ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة .. مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ
مُسْتَقَرٌّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، في مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قد
صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفِيدَةُ الْأَبْرَارِ، وَتُنِيَّتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ،
وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَاتِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الذُّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ،
كلامه بيان، وصمته لسان^١.

الفات نظر

من الواضح ان الانبياء «ع» انما جاؤوا ليُدُلُّوا الانسان على
طلب الكمال والرشد، بتخليص نفسه من غواشي الطبيعة وحملها
على السير الى الله والسلوك اليه، حتى يصل الى مرتبة البلوغ
الانساني فيكسب الدرجات الابدية في الحياة الخالدة، بسبب
تحصيل القرب اليه تعالى. غير ان هذه الغاية لا تتحقق الا اذا طبقت
تلك الاصول التربوية والاجتماعية والحقوقية التي اوردناها هنا.
ولذلك جاء التصريح في القرآن الكريم بان الله سبحانه، انما ارسل
الرسل وانزل الكتب ليقوم الناس بالقسط.^٢

ففي هذا الضوء، ان قيام المجتمع بالقسط مقدمة لقيام الافراد
بالحق. وبالقيام بالحق في العقائد، والعمل على مقتضى
المعتقدات الحقّة، يصل الانسان الى رُشده المنشود وبلوغه
المطلوب؛ فلا تجسيد للدين ومعتقداته، بشكل فعلي، الا باقامة
العدل الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي.

١ - نهج البلاغة / ٢٨٢ - ٢٨٣؛ عبده ٤ / ١٨٦ - ١٨٧.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

الفصل الثامن

المنطلق المعيشي: رفع مستوى الحياة ودعم أسس الحكومة الالهية

الكتاب

- ١ ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على العالمين *^١
- ٢ ولقد بوأنا بني اسرائيل موباً صدق، ورزقناهم من الطيبات ..^٢
- ٣ فاذا قُضِيَ الصَّلَاةُ، فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..^٣
- ٤ اذ قال لهم شعيب: أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من اجرٍ إن أجرينى إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * واتقوا الذي خلقكم والجبلَةَ الاولين *^٤
- ٥ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا

١ - سورة الجاثية (٤٥): ١٦.

٢ - سورة يونس (١٠): ٩٣.

٣ - سورة الجمعة (٦٢): ١٠.

٤ - سورة الشعراء (٢٦): ١٧٧ - ١٨٤.

الفصل الثامن : المنطلق المعيشي ..

تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِنَّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُّفْسِدِينَ *

* راجع ايضاً: الآيات المناسبة، في الفصول الماضية .

الحديث

١ الامام علي «ع»: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه، وأدخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من وضجه، وسلكتم الحق من نهجه، لا بتهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وإضاء لكم الإسلام، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد..^٢

* يُشير الامام علي بن ابي طالب «ع» بهذا الكلام الى غاية الدين الجماهيرية والاجتماعية، بمعنى أن معرفة الدين بصورة صحيحة، واخذه من منابعه الاصلية، ومتابعته وتطبيقه بشكل صحيح، تشق الطريق الى حياة طيبة سليمة وواعية، حياة تسودها العدالة الاجتماعية والاقتصادية، فلا يوجد فيها حرمان ولا ظلم، مالي وغير مالي، بالنسبة الى المسلم وغير المسلم .
وهذا هو المقصد الاسنى والغاية القصوى الاجتماعية لرسالة

١ - سورة هود (١١) : ٨٤ - ٨٥ .

٢ - مُستدرك نهج البلاغة / ٣١ .

الانبياء، وامامة الاوصياء، وللحكم القرآني الحق والنظام
الاسلامي الصادق.

٢ الامام علي «ع» : فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ
فَطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ
دِفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ الْآيَاتِ الْمَقْدَرَةَ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ
تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ..^١

٣ الامام علي «ع» - فيما وصف به النبي «ص» : سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ،
وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ.^٢

٤ الامام علي «ع» : أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتْرَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ،
وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ،
وَأَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفَعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ
كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ..^٣

٥ الامام الصادق «ع» : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : لَمْ نُبْعَثْ لَجَمْعِ الْمَالِ، وَلَكِنْ
بُعِثْنَا لِإِنْفَاقِهِ.^٤

٦ الامام الصادق «ع» - في قوله: «وَأَجْعَلَنِي مَبَارِكًا أَيْنَمَا كُنْتُ»، قَالَ: نَفَاعًا.^٥

١ - نهج البلاغة / ٣٣؛ عبده ١ / ١٧ - ١٨.

٢ - نهج البلاغة / ٢٧٩؛ عبده ١ / ١٨٦.

٣ - نهج البلاغة / ٢١٥؛ عبده ١ / ١٥٣.

٤ - مشكاة الانوار / ١٨٢.

٥ - البحار ١٤ / ٢١٠، عن «تفسير علي بن ابراهيم القمي».

الفصل التاسع

بث روح التآخي في المجتمعات

الكتاب

- ١ إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون *^١
- ٢ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم، اذ كنتم اعداءً فالألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً..^٢
- ٣ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات..^٣
- ٤ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون *^٤
- ٥ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به ابراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعؤهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب *^٥

١ - سورة الحجرات (٤٠) : ١٠.

٢ و ٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٠٣ و ١٠٥.

٤ - سورة الانعام (٦) : ١٥٣.

٥ - سورة الشورى (٤٢) : ١٣.

الفصل العاشر

الأنبياء ومنبتهم الاجتماعي

الكتاب

- ١ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه، إني لكم نذيرٌ مبين * ألا تعبدوا الا الله، إني أخافُ عليكم عذابَ يومِ أليم * قال المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشِراً مِثْلَنَا، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ *^١
- ٢ كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ نُوحٌ : أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إني لكم رسولٌ أمين * فاتَّقوا اللهَ وأطِيعُوا * وما أسألكم عليه من أجر، إن أجرى الا على ربِّ العالمين * فاتَّقوا اللهَ وأطِيعُوا * قالوا: أنؤمنُ لك واتَّبَعَكَ الارذُلُونَ؟ * قال: وما علمي بما كانوا يعملون؟ * إن حسابهم الا على ربِّي لو تشعرون * وما أنا بطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ *^٢
- ٣ قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفاً، ولولا رهطك لرجمناك، وما انت علينا بعزير *^٣

١ - سورة هود (١١): ٢٥ - ٢٧.

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ١٠٥ - ١١٤.

٣ - سورة هود (١١): ٩١.

- ٤ وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، لولا أنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيراً * أويلقى إليه كنز، أو تكون له جنة يأكل منها؟ وقال الظالمون: إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا، فلا يستطيعون سبيلاً *^١
- ٥ ولا أقول لكم: عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب، ولا أقول: إني ملك، ولا أقول للذين تزددري أعينكم: لن يؤتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم، إني إذا لمن الظالمين *^٢
- ٦ أو يكون لك بيت من زخرفٍ أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه، قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً؟ * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا: أبعث الله بشراً رسولاً؟ *^٣
- ٧ ولما جاءهم الحق قالوا: هذا سحرٌ وإنا به كافرون * وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القرينين عظيم؟ *^٤

الحديث

- ١ النبي «ص» - عن ابن مسعود قال: أتى النبي «ص» رجلٌ يكلمه فأرعد، فقال: «هون عليك! فلست بمليك، إنما أنا ابن امرأةٍ كانت تأكل القِدَّ». ^٥

١ - سورة الفرقان (٢٥): ٧ - ٩.

٢ - سورة هود (١١): ٣١.

٣ - سورة الإسراء (١٧): ٩٣ - ٩٤.

٤ - سورة الزخرف (٤٣): ٣٠ - ٣١.

٥ - مكارم الاخلاق / ١٤.

٢ النبي «ص» - قال ابوذر: رأيت سلمان وبلالاً يُقبِلانِ الى النبي «ص»، إذ انكبَّ سلمانُ على قدمِ رسولِ الله «ص» يُقبِّلُها، فزجره النبي عن ذلك، ثم قال له: «يا سلمان! لا تصنع بي ما تصنع الأعاجمُ بملوكِها. أنا عبدٌ من عبيدِ الله، آكلُ مما يأكلُ العبد، وأقعدُ كما يقعدُ العبد»^١.

٣ النبي «ص» - إنه اعتزل نساءه في مشربةٍ (والمشربة: العلية)، فدخل عليه عمر، وفي البيت أهبُّ عطنةً وقرظٌ، والنبي نائمٌ على حصيرٍ قد أثر في جنبه، ووجد عمر ريح الأهبِّ فقال: يا رسولَ الله! ما هذه الأهبُّ؟ قال: «يا عمر! هذا متاعُ الحيي». فلما جلس النبي «ص» [وكان] قد أثر الحصيرُ في جنبه قال عمر: أما أنا فأشهدُ أنك رسولُ الله، ولأنتَ اكرمُ على الله من قيصرٍ وكسرى، وهما فيما هما فيه من الدنيا، وانت على الحصيرِ قد أثر في جنبك؟ فقال النبي «ص»: «أما ترضى أن يكونَ لهمُ الدنيا ولنا الآخرة؟»^٢.

٤ النبي «ص» - ابنُ عباس: كان رسولُ الله «ص» يجلسُ على الارض، ويأكلُ على الارض، ويعتقلُ الشاة، ويُجيب دعوةَ المملوكِ على خبزِ الشعير^٣.

٥ الامام علي «ع»: .. فلورخصَ الله في الكبرِ لاحدٍ من عباده لرخص فيه لخاصةِ انبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر، ورضي لهم التواضع؛ فالصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين؛ وكانوا أقواماً مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم

١ - البحار ٧٦ / ٦٣، عن كتاب «تأويل الآيات الظاهرة».

٢ - مكارم الاخلاق / ١٥١؛ البحار ١٦ / ٢٥٧.

٣ - البحار ١٦ / ٢٢٢، عن «مجالس ابن الشيخ».

بالمكارة. فلا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا والسُّخْطَ بِالمالِ والولدِ، جهلاً بمواقعِ الفتنَةِ والاختبارِ، في مواضعِ الغنى والإقتارِ، فقد قال - سبحانه وتعالى - : «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ»^١، فإن الله سبحانه يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ المُستَكْبِرِينَ في أَنفُسِهِمْ، بأوليائِهِ المُستَضْعَفِينَ في أعينِهِمْ. ولقد دخلَ موسى بنُ عِمْرانٍ ومعه أخوه هارونُ - صَلَّى اللهُ عليهما - على فرعونَ، وعليهما مَدَارِعُ الصُّوفِ وبأيديهما العِصِيَّ، فشرطاً له إن أسلمَ بقاءَ مُلكِهِ ودوامَ عِزِّهِ، فقال: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ العِزِّ وبقَاءَ المُلكِ، وهما بما تَرَوْنَ مِنْ حالِ الفِقرِ والذُّلِّ، فَهَلَا أُلْقِيَ عليهما أساورٌ مِنْ ذَهَبٍ؟ إعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ واحتقاراً لِلصُّوفِ ولُبْسِهِ^٢.

٦ الامام علي «ع»: ... ولكن الله سبحانه، جعل رُسُلَهُ أولي قوَّةٍ في عزائمِهِمْ، وَضَعَفَةً فيما تَرى الأَعْيُنُ مِنْ حالاتِهِمْ، مع قناعةٍ تَمَلُّ القلوبَ والعيونَ غِنًى، وَخِصَاصَةً تَمَلُّ الأبصارَ والأَسْماعَ أذًى^٣.

٧ الامام علي «ع»: ولقد كان «ص» يأكلُ على الأرضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العبدِ، وَيَخِصِفُ بيده نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بيده ثوبَهُ، وَيَرْكَبُ الجِمارَ العاريَّ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ على بابِ بيته فتكونُ فيه التَّصاوِيرُ فيقول: يا فلانة - لِأُحَدِّثِي أَزْواجِهِ - غَيْبِيهِ عَنِّي! فَإِنِّي إِذا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيا وَزَخارِفَها.. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَليماً، لَمْ يَضَعْ حَجْراً على حِجرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبيلِهِ، وَأجابَ دَاعيَ رَبِّهِ. فما أعْظَمَ مَنَّةَ اللهِ عَندنا حينَ أنعم

١ - سورة المؤمنون (٢٣): ٥٥ - ٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ٧٨٩ - ٧٩٠: عبده ٢ / ١٦٧ - ١٦٩.

٣ - نهج البلاغة / ٧٩٢: عبده ٢ / ١٦٩.

علينا به سلفاً نتَّبِعُهُ، وقائداً نَطَأُ عَقْبَهُ. والله لقد رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هذه حتى اسْتَحْيَيْتُ من راقِعِهَا. ولقد قال لي قائل: ألا تَنْبِذُهَا عنك؟ فقلت: أُغْرِبُ عَنِّي فَ «عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرِيَّ»^١.

٨ الامام الصادق «ع»: كان رسولُ الله «ص» يَأْكُلُ اكلَ العَبْدِ، وَيَجْلِسُ جُلُوسَ العَبْدِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ.^٢

٩ الامام الصادق «ع»: ما أَكَلَ نَبِيُّ الله «ص» وهو مُتَكِيٌّ مُنْذُ بَعَثَهُ اللهُ عز وجل، وكان يَكْرَهُ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِالمُلُوكِ. ونحنُ لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ.^٣

١٠ الامام الباقر «ع»: قال رسولُ الله «ص»: خَمْسٌ لا أَدْعُهُنَّ حَتَّى المَمَاتِ: الأَكْلُ على الحَضِيضِ مع العَبِيدِ، وَرُكُوبِي الحِمَارِ مُؤَكْفَأً، وَحَلِيبي العَنْزِ بيدي، وَلبَسُ الصَّوْفِ، والتسليمُ على الصَّبِيانِ، لتكونُ سُنَّةً من بَعْدِي.^٤

١ - نهج البلاغة / ٥٠٩ - ٥١٠ و ٥١٢: عبده ٢ / ٧٥ - ٧٦.

٢ - البحار ١٦ / ٢٢٥، عن «المحاسن».

٣ - الوسائل ١٦ / ٥٠٥.

٤ - البحار ١٦ / ٩٩، عن «امالي الصدوق».

الفصلُ الحادي عشر

المساكين والعطف عليهم

الكتاب

- ١ وإذا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَىٰ واليَتَامَىٰ والمَسَاكِينَ، فَارزُقُوهُمْ مِنْهُ ..^١
- ٢ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ، فَأرَدْتُ أَنْ أَعْيَبَهَا، وَكَانَ ورائِهِم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً *^٢
- ٣ وَآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقَّهُ والمَسْكِينِ وابنِ السَّبِيلِ، وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: اللهم! أَحِينِي مَسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مَسْكِينًا، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ.^٤

١ - سورة النساء (٤): ٨.

٢ - سورة الكهف (١٨): ٧٩.

٣ - سورة الاسراء (١٧): ٢٦.

٤ - المستدرک ١ / ٥٣٨.

- ٢ النبي «ص» : .. والقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ حُبُّ الْمَسَاكِينِ وَالذُّنُوءُ مِنْهُمْ^١.
- ٣ النبي «ص» : الْفَقْرُ فَخْرِي، وَبِهِ أَفْتَخِرُ^٢.
- ٤ النبي «ص» - قَالَ ابُوذَرٍّ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ بِسَبْعٍ : أَوْصَانِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالذُّنُوءِ مِنْهُمْ^٣.
- ٥ الامام علي «ع» - عن النبي «ص»، عن الله تعالى في ليلة المعراج: يا احمد! محبتي محبة الفقراء؛ فأذن الفقراء وقرب مجلسهم منك، أدنك! وبعّد الأغنياء وبعّد مجلسهم منك! فإن الفقراء أحبائي^٤.
- ٦ الامام علي «ع» : .. كان سليمان اذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف، حتى يجيء الى المساكين ويقعد معهم ويقول: مسكين مع المساكين^٥.
- ٧ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الحسن بن علي، من وصايا ابيه عند وفاته: أوصيك يا حسن! .. بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محالها، وحب المساكين ومجالستهم^٦.
- ٨ الامام الصادق «ع» - عن آبائه، عن امير المؤمنين، قال: قال رسول الله «ص»: «يا علي! إن الله وهب لك حب المساكين والمستضعفين في الارض، فرضيت بهم إخواناً، ورضوا بك إماماً .. يا علي! اهل مودتك كل أواب حفيظ، وكل ذي طمر .. يا علي! إخوانك كل طاو وزاك مجتهد»^٧.

١ - مكارم الاخلاق / ١٧١.

٢ و ٣ - البحار ٧٢ / ٣٠. والبحار ٦٩ / ٣٨٨.

٤ - ارشاد القلوب / ٢٧٩ - ٢٨٠: وفي بعض النسخ: «أبعّد» في الموضعين.

٥ - البحار ١٤ / ٨٣، عن «تنبيه الخواطر (مجموعة ورام)».

٦ - امالي الطوسي ١ / ٦.

٧ - البحار ٣٩ / ٣٠٦.

الفصلُ الثاني عشر

مع المستضعفين

أ - الوقوف بجانبهم

الكتاب

- ١ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ، مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ *^١
- ٢ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا *^٢

الحديث

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٣٧.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٢٨.

١ النبي «ص» - في قوله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ..»، إِنَّ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ جَاءُوا
الى رسول الله «ص» .. فقالوا: يا رسول الله! ان جَلَسْتَ في صدرِ
المجلس ونَحَيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ وروائحُ صُنَانِهِمْ - وكانت عليهم جِبابُ الصُّوفِ
- جَلَسْنَا نحن اليك وأَخَذْنَا عنك، فما يَمْنَعُنَا من الدَّخُولِ عَلَيْكَ الْهَؤُلَاءِ!
فلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَامَ النَّبِيُّ «ص» يَلْتَمِسُهُمْ^١، فأصَابَهُمْ في مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ
يَذْكُرُونَ الله، فقال: «أَلْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يُمَتِّنِي حَتَّى أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي
مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، مَعَكُمْ الْمَحْيَا وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ»^٢.

٢ النبي «ص» - لما قَسَمَ رسول الله «ص» غنائمَ بدر، قال سعدُ بن أبي
وقاص: يا رسولَ الله! أتعطي فارسَ القومِ الَّذِي يَحْمِيهِمْ مِثْلَ مَا تُعْطِي
الضَّعِيفَ؟ فقال النبي «ص»: «تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ! وَهَلْ تُنْصَرُونَ إِلَّا بِضُعْفَائِكُمْ؟»^٣.

٣ الامام الصادق «ع»: إنَّ عيسى «ع» لَمَّا أَرَادَ وِدَاعَ اصْحَابِهِ، جَمَعَهُمْ وَأَمَرَهُمْ
بِضُعْفَاءِ الْخَلْقِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْجَبَابِرَةِ^٤.

ب - إقامة كيانهم الفردي والاجتماعي

الكتاب

١ - أي يلتمس العجزة والفقراء والمستضعفين، الذين طلب الاغنياء تنجيتهم.

٢ - البحار ٧٢ / ٢.

٣ - البحار ٩٦ / ٢١٤، عن «تفسير القمي».

٤ - البحار ١٤ / ٢٥٢، عن «قصص الانبياء».

الفصل الثاني عشر : مع المستضعفين

- ١ نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا، يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْذِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ *^١
- ٢ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلي عباد الله، إني لكم رسول أمين *^٢

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع» : .. وَأَعِصِمْنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدَمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلًا، فَإِنَّ الشَّرِيفَ مِنْ شَرَفَتِهِ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزَ مِنْ أَعَزَّتِهِ عِبَادَتُكَ.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن النبي «ص» : يَا عَلِيُّ! إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الْفَقْرَ أَمَانَةً عِنْدَ خَلْقِهِ؛ فَمَنْ سَتَرَهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَمَنْ أَفْشَاهُ إِلَى مَنْ يَقْدِرُ عَلَى قِضَاءِ حَاجَتِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ قَتَلَهُ. أَمَا! إِنَّهُ مَا قَتَلَهُ بِسَيْفٍ وَلَا رُمْحٍ، وَلَكِنَّهُ قَتَلَهُ بِمَا نَكَى مِنْ قَلْبِهِ.^٤
- ٣ الامام الصادق «ع» : مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا اعْتِبَارًا، وَمَا زُوِيَ عَنْهُ إِلَّا

١ - سورة القصص (٢٨) : ٣ - ٤.

٢ - سورة الدخان (٤٤) : ١٧ - ١٨.

٣ - الصحيفة السجادية / ٢٣٩ (الدعاء ٣٥).

٤ - الكافي ٢ / ٢٦٠ - ٢٦١.

اختباراً^١.

ج - الذب عنهم والإشادة بانتصاراتهم

الكتاب

- ١ وما لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ؟
الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ
لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا *^٢
- ٢ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ *^٣
- ٣ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ، أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ، وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وما
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ *^٤

د - حملهم على الاستقامة

١ - الكافي ٢ / ٢٦١.

٢ - سورة النساء (٤) : ٧٥.

٣ - سورة الاعراف (٧) : ٦٤.

٤ - سورة هود (١١) : ١١٦ - ١١٧.

الكتاب

١ وقال المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ؟ قَالَ: سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ *

هـ - الإهابة بكرامتهم

الحديث

١ النبي «ص» - لما قَدِمَ النَّبِيُّ «ص» الْمَدِينَةَ تَعَلَّقَ النَّاسُ بِزِمَامِ النَّاقَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ «ص»: «يَا قَوْمُ! دَعُوا النَّاقَةَ فَهِيَ مَأْمُورَةٌ، فَعَلَى بَابِ مَنْ بَرَكَتُ فَأَنَا عِنْدَهُ». فَأَطْلَقُوا زِمَامَهَا، وَهِيَ تَهْتِفُ فِي السَّيْرِ حَتَّى دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ، فَبَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَدِينَةِ أَفْقَرَ مِنْهُ، فَانْقَطَعَتْ قُلُوبُ النَّاسِ حَسْرَةً عَلَى مَفَارِقَةِ النَّبِيِّ «ص»..^٢

٢ عيسى المسيح «ع»: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَكْنَافَ السَّمَاءِ لَخَالِيَةٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ؛ وَلَدْخُولِ جَمَلٍ فِي سُمِّ الْخِيَاطِ أَيْسَرُ مِنْ دَخُولِ غَنِيِّ فِي الْجَنَّةِ.^٣

١ - سورة الاعراف (٧): ١٢٧ - ١٢٨.

٢ - البحار ١٩ / ١٢١.

٣ - عُدَّة الداعي / ١١٣.

٣ النبي «ص»: «ألا ومن استخف بفقير مسلم، فقد استخف بحق الله. والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب». وقال «ص»: «من أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ^١».

٤ الامام الرضا «ع»: «قال رسول الله «ص»: «من استدل مؤمناً، او حقره لفقره او قلة ذات يده، شهرة الله يوم القيامة، ثم يفضحه^٢».

٥ الامام الصادق «ع»: «.. عليكم بحب المساكين المسلمين! فإنه من حقرهم وتكبر عليهم، فقد زل عن دين الله. والله له حاقر وماق. وقد قال ابونا رسول الله «ص»: «أمرني ربي بحب المساكين، المسلمين منهم. وأعلموا أنه من حقر احداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقتة الناس، والله له أشد مقتاً. فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين منهم! فإن لهم عليكم حقاً أن تحببهم، فإن الله أمر نبيه «ص» بحبهم؛ فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك، مات وهو من الغاوين^٣».

* كل ما جاء في التعاليم بصدد المستضعفين والمساكين والفقراء، إنما يعني الوضع القائم لا الوضع الاسلامي المطلوب.
راجع: الفصول الثلاثين الى التاسع والثلاثين، من الباب الحادي-عشر، في الجزء الرابع.

١ - البحار ٧٢ / ٣٧. عن «امالي الصدوق».

٢ - عيون أخبار الرضا ٢ / ٣٣.

٣ - الوافي ٣ (م ١٤) / ٢٨.

الفصل الثالث عشر

تعبيد طرق الإصلاح

*إنَّ من أهمِّ العقباتِ التي تتكدَّسُ أمامَ حرِّيَّةِ المجتمعاتِ البشرية وتقدِّمها واستيفائها حقوقها و.. هي تلك الطائفةُ الغاشمةُ التي تستولي على الشؤون، وتتغلَّبُ على ما يملكه المجتمعُ من الطاقاتِ والثروات. ولهذا كان من واجب المصلحين أن يقطعوا تلك الأيدي، وان يحثوا الناسَ على مُجابَتهِها لاستردادِ حقوقهم الضائعة. وللانبياءِ «ع» أكبرُ دورٍ، في خلقِ تلك المُجابَتهِ وتنشيطها وتركيزها حيثُ كافحوا السُّلطاتِ الباطلةَ والطَّاغوتيةَ الاقتصادية، ووقفوا مع الجماهير، أمامَ المُستكبرين والمُترفين.

أ- الملاءم والمستكبرون

الكتاب

١ فقال الملاءم الذين كفروا من قومه : ما نراك الا بشراً مثلنا، وما نراك اتبعك الا

الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ : يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ، فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ، أَنْزَلْتُكُمْوهَا وانتم لها كارهون؟ * ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ *^١

٢ لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه : إنا لنراك في ضلال مبين * قال : يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين *^٢

٣ وألقي السحرة ساجدين * قالوا : آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون * قال فرعون : آمنتم به قبل أن أذن لكم؟ إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون * لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لأصلبنكم اجمعين * قالوا : إنا الى ربنا منقلبون * وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين *^٣

٤ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا : من أشد منا قوة؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟ وكانوا بآياتنا يجهلون *^٤

٥ قال الملأ الذين استكبروا من قومه : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، او لتعودن في ملتنا، قال : أولو كنا كارهين؟ * .. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين *^٥

١ - سورة هود (١١) : ٢٧ - ٢٩ .

٢ و ٣ - سورة الاعراف (٧) : ٥٩ - ٦١ و ١٢٠ - ١٢٦ .

٤ - سورة فصلت (٤١) : ١٥ .

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٨٨ و ٩١ .

ب - المترفون

الكتاب

- ١ وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ *
وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ *^١
- ٢ وكذلك مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا: إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ *^٢

١ - سورة سَبَأَ (٣٤): ٣٤ - ٣٥.

٢ - سورة الزخرف (٤٣): ٢٣.

الفصلُ الرَّابِعُ عشرُ

كسر شوكة الجبابة

❖ كانتِ الجبابةُ - من أقدمِ عصورِ التاريخِ - يَسْتَضِعِفُونَ النَّاسَ
ويستعبدونهم، وَيَسْلُبُونَ حَقُوقَهُمْ وَحُرِّيَّاتِهِمْ؛ بينما كان الأنبياءُ
يَنْتَفِضُونَ لدفعِ عَادِيَةِ أولئكِ المُعتدينِ وتخليصِ الأُمَّةِ من براثنِهِمْ.
وَمِنَ المعلومِ أَنَّ المُتسلِّطينَ الذين تَكَدَّسَتْ لَدِيهِمُ الثَّرَوَاتُ ووَقعَ
بأيديهِمُ زمامُ الأمورِ، لا يَدَعُونَ ما حَصَلُوا عليه بسهولة بل يَسْعَوْنَ
للإبقاءِ على كيانِهِم ومُمتلكاتِهِمْ، وَيَتَشَبَّهُونَ بِشَتَّى الوسائلِ
والذرائعِ لتضليلِ الأفكارِ وتخديرِ الضمائرِ.

ومن تلكِ الوسائلِ، احياءُ التقاليدِ الباليةِ والمحافظةُ عليها.
وهذه التقاليدُ قد أوجدها - في الأغلبِ - أولئكِ المعتدون، ولهذا
يَهْتَمُّونَ بالمحافظةِ عليها. نعم، المحافظةُ على تلكِ التقاليدِ
والأعرافِ هي مِنِ خواصِّ الأَرِسْطُقراطيةِ ومن أهمِّ ذرائعِ
المستعبدِينِ والمستثمِرِينَ. ولأجلِ ذلكِ يحافظُ عليها ويدعو إلى
تخليدِها مستعمروا الجماهيرِ، حفظاً للكيانِ الاستثماريِ والمصالحِ
الطائفيةِ، ومجابهةً للحركاتِ التَّحرُّريَّةِ البِناءةِ؛ فالطَّواغيتُ
والجبابةُ حينما يُحسُّونَ بخطرِ او خَيْبَةِ، يُلجَأُونَ إلى إحياءِ تلكِ
التقاليدِ وتجديدِ تلكِ الأدواتِ المُمَوَّهةِ، وتحديثِ تلكِ الثقافاتِ

الضالة المضللة.

والأنبياء قد عمِلوا - كما اقتضى واجبهم - لهدم هذه الأسس الواهية، وكسر تلك الأدوات. ومن هنا جاء الكتاب الكريم والحديث الشريف يحثان على ضرورة اليقظة والانتباه لمكافحة تلك الذرائع، ويجدان لإرهاب الوعي البشري لذلك الجانب، حتى تتخلص المجتمعات من مخالف هذا الأخطبوط. ونحن نكتفي هنا بإيراد آي من الكتاب:

الكتاب

- ١ واذا قيل لهم: تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول، قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون؟ *^١
- ٢ بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون *^٢
- ٣ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم، فانظر كيف كان عاقبة المكذبين؟ *^٣
- ٤ قالوا: أحييتنا لنتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض؟ وما نحن لكما بمؤمنين * وقال فرعون: إئتوني بكل ساحر عليم *^٤

١ - سورة المائدة (٥): ١٠٤.

٢ و ٣ - سورة الزخرف (٤٣): ٢٢ و ٢٣ و ٢٥.

٤ - سورة يونس (١٠): ٧٨ - ٧٩.

- ٥ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ؟ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خَلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً، فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قالوا : أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا؟ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ؟ *^١
- ٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَوا : مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْاُولَيْن *^٢
- ٧ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، قُلْ : إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى، وَلِئِنْ اتَّبَعْتَ اِهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ *^٣

١ - سورة الأعراف (٧) : ٦٩ - ٧٠.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٣٦.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٢٠.

نظرة الى الباب

جئنا في هذا الباب بطائفةٍ من اصول تعاليم الأنبياء ورسالاتهم، مما يرتبط بالقضايا البشرية والمجتمعات. وهذه الاصول هي روح دعوة الانبياء وجوهر رسالاتهم؛ وتلك الروح سارية في عامّة ما جاؤوا به، بحيث نَجْزِمُ أن غياب تلك الروح عن قانونٍ او نظامٍ، يعني أنّهما لا يمتّان الى تلك التعاليم بصلّة؛ بل هما امران وَضَعْتَهُمَا الأنظمة المعتدية لاستغلال الانسان.

فهذه الاصول، هي المقياس لمعرفة الرسالات السماوية الحقّة، وبها يُمكنُ أن نَعْرِفَ الصّحيحَ مِنَ السّقيم، والخالصَ مِنَ المشوب، في مجموعة التعاليم التي توجَدُ بأيدي الانسان. واليك عدداً من هذه الاصول، مع شرحٍ وجيزٍ :

١- قيام الناس بالقسط : إن من أهم ما دعا اليه الانبياء وسَعَوْا لتركيز أُسُسِهِ ودَعَمِ قواعده ابلغ السّعي، هو قيامُ النَّاسِ بالقسط في كلّ امرٍ من امور الحياة الانسانية، صغيراً او كبيراً، بل الَّذِي يُفْهَمُ مِنَ صريحِ القرآن الكريم، أن قيامَ النَّاسِ بالقسط هو الاصلُ الرَّئيسيُّ في الاقتصاد، لبعثِ الانبياء وارسالهم وانزالِ الكتبِ والميزانِ معهم: «لَقَدَّارُ سَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..»؛ فلا يُمكنُ لأيِّ مجتمعٍ أن يدّعي أنه مجتمعٌ اسلاميٌّ، وأن ادارته اسلامية،

وَأَنَّ مَسْئُولِيهِ مُلْتَزِمُونَ بِأَصُولِ الْإِسْلَامِ الْإِسْأَسِيَّةِ، مَا لَمْ يَكُنِ الْقِسْطُ سَائِدًا فِيهِ، عَلَى مُخْتَلَفِ الْمُسْتَوِيَّاتِ.

٢ - العدالة الاجتماعية : كذلك إن من أكبر ميزات تعاليم الانبياء ورسالاتهم الاصلية، هو الدعوة الى العدالة الاجتماعية والجهاد الدائب المرير لِنَفْخِ رُوحِ الْعَدْلِ وَالْعَمَلِ عَلَى طَبَقِهِ فِي النَّاسِ وَإِرْسَاءِ قَوَاعِدِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَسَوْقِ النَّاسِ إِلَى تَبْنِيِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ كَأَكْبَرِ دَعَاةٍ تَسْتَنْدُ إِلَيْهَا الْحَيَاةُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ. فَالَّذِي يُلْمُ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ - وَلَوْ قَلِيلاً - يَعْرِفُ أَنَّ قِيَامَ الْمَجْتَمَعِ بِالْعَدْلِ، رُوحٌ يَحْيَا بِهِ دِينَ اللَّهِ الْقَوِيمِ وَيُسَلِّكُ بِهِ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَمَا لَمْ يَكُنْ عَدْلٌ لَا يَكُونُ دِينٌ، وَمَا لَمْ تَتَحَقَّقِ الْعَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَلَمْ تُطَبَّقْ، لَا تَتَجَسَّدُ لِدِينِ اللَّهِ مَصْدَاقِيَّةً، وَلَا يُمَثَّلُ التَّكْلِيفُ الشَّرْعِيُّ.

٣ - انقاذ الانسان و تحريره : إنَّ الْأَنْبِيَاءَ اسْتَهْدَفُوا هَذَا الْغَرَضَ بِسَعْيٍ مُسْتَوْعِبٍ جَادٍّ، بَلْ جَعَلُوهُ فِي قِمَّةِ أَهْدَافِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ بَعَثُوا لِأَنَّ يُزِيحُوا الشَّقَاءَ وَالتَّعَسُّسَ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَلِأَنَّ يَضَعُوا عَنْهُ الْإِصْرَ وَالْأَغْلَالَ، وَلِأَنَّ يُخَلِّصُوهُ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَتَمَتَّعَ بِحُرِّيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَكِينَ لِأَيِّ جَائِرٍ أَوْ طَاغُوتٍ، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْسَانٌ وَلَهُ كِرَامَتُهُ وَحُرِّيَّتُهُ وَمَقَامُهُ، وَهُوَ وَسَائِرُ النَّاسِ سَوَاءٌ.

٤ - الاستقامة في سبيل الأهداف : من ميزات الانبياء وخصائصهم، ايمانهم العميق برسالاتهم؛ تُرشدنا الى ذلك تضحياتهم الباهظة في سبيل اهدافهم. وهذه ميزة اصيلة لا نرى لها أمثالا في التاريخ الانساني بصورة وقعت من الانبياء والاصياء وتابعيهم .

نظرة الى الباب

٥ - المُنْطَلَقان المعنوي والمعيشي : لم يكن نشاطُ الأنبياء منحصرًا في المجالات المعنوية والفكرية فحسب، بل نراهم قد عمَدوا الى رفع مُستوى الحياة المادية والمعنوية معاً، لِأَنَّ تَعَالِيْمَهُمْ تَعُمُّ العقائد الذهنية والحقائق العينية؛ فلم تكن مدرسة النبوة تَقْتَنِعُ بأن تُلقِي على الناس عقائد وِحْكَماً، مِن غير أن يكونَ لها اهتمامٌ بتحسين حياة الأُمَّة وتحكيمِ علاقاتِها الاجتماعية وتهذيبِها، لِأَنَّ ذلك أمرٌ مَبْتَوْرٌ لا يَتَرْتَبُ عليه اثرٌ تَرْبَوِيٌّ شامل، ولا ينتظر منه اقامةُ نظامٍ اجتماعيٍّ، سالمٍ، فعّالٍ، عادلٍ، مسؤولٍ. فليذلك نرى نهضةَ الأنبياءِ «ع» تَعُمُّ رَفْعَ مُستوى الحياةِ المادية والمعيشية معاً. وَمِنَ المسلمِ به أن الحركةَ التكامليةَ للانسان والصعودَ إلى الله تعالى لا بدَّ لتَحَقُّقِها من تعاضدِ الجسم والعقل. وهذا التعاضد انما يُتَّاحُ للانسان اذا كان متمتعاً بوسائل المعيشة، منسجماً مع نظامٍ اجتماعيٍّ صالح. وهذا هو المقصدُ الذي سعى له الأنبياء بكل طاقاتهم.

٦ - المساواة والتآخي بين آحاد الانسان : من التعاليم الهامة التي جاء بها الانبياء ونشروها بتفانٍ واجتهاد، هي فكرةُ المساواةِ بينَ آحادِ الانسان، وبثَّ روحَ التآخي في المجتمعات البشرية. فهم قد عَلَّموا الناسَ أَنَّ الانسانَ اخو الانسان، وانَّ الناسَ في حقوقِ الحياةِ شرعٌ سواء، وانَّ آحادَ البشرِ في جميعِ مناطقِ الارضِ وَمِنَ أيِّ جنسٍ أو لونٍ، هم كآحادِ أُسْرَةٍ واحدة، بل كأعضاءِ جسدٍ واحد.

٧ - منبت الأنبياء الاجتماعى : لقد بعث الله النبيين من بين الأميين والطبقات المستضعفة، فانطلقوا من صميم تلك الطبقات، وبعثوا وسط البيئات التي عايشَت الفقرَ والاضطهاد. وهذا نجاحٌ عظيم في الدعوة الإصلاحية وتعميقها، حيث تظهر آثاره الايجابية في البرامج الفردية

والاجتماعية التي يدعو اليها اولئك الدعاة المصلحون، لان تلك البرامح تمتاز بدرك حقائق الحياة ولمس المكابدة والمعاناة التي تغطي حياة الطبقات النازلة. نعم، ان الانبياء هم الدعاة الصادقون الذين قاموا من بين الناس ومن أنفسهم، وعالجوا بأنفسهم متاعب الحياة التي تعاشها تلك الطبقات، ولا مسوا تلك الآلام، وفهموا ما هو الفقر، وما هي آثاره؛ و علموا ان الفقر والاضطهاد وآثارهما كيف تسيطر على الشخصية الانسانية، وكيف تمزقها. هؤلاء دعاة قد لبسوا الخشن من الثياب، وأكلوا الجشب من الطعام.. وعرفوا مفعول الاستثمار والاستعباد. لاجل ذلك، قاموا بكل جهد وطاقة لإعادة كرامة الانسان واحياء حقوقه؛ فكافحوا الأقوياء والطواغيت كفاحاً متواصلًا، وجابهوا أبالسة التاريخ وفراعنته بكل ما لديهم من حول وطول، لاسترداد الحقوق المسلوبة واحياء الكرامات والقيم المضطهدة.

٨ - تعبيد طرق الاصلاح : بدهي أن الجبارة والطواغيت (السياسيين والاقتصاديين) لا يعترفون لاي انسان بحق ولا كرامة. وهؤلاء هم عمدة العراقل في سبيل دعوة الحق والعدل ونشر الفضيلة والخير والصلاح، يظلمون ويخونون، يقتلون وينهبون، يذبحون الأبناء ويستحيون النساء ويصلبون الناس على جذوع النخل. فكل شر وخيانة وفقر وجهل ومسكنة تبدأ من أولئك وتعود اليهم. هذا معلوم، ومعلوم أيضاً أن الانبياء قاموا لأن يصلحوا المجتمعات ويقارعوا الفساد وينقذوا الناس من براثن المعتدين ومخالبهم، فكانت دعوة النبوات خطراً كبيراً على اولئك الظالمين. وهذه نقطة انطلاق لأكبر محاربة جبارة وقعت بين الحق والباطل وأدومها على وجه الارض حيث وقف الانبياء بجانب المضطهدين والمستضعفين، وطاردوا الجبارين والمعتدين، فعبدوا بذلك طرق الاصلاح في المجتمعات، ومهدوا السبيل لنشر العدالة والحق، واقامة الكيان الانساني.

البابُ السّادس

الفصلُ الأوّل

حقيقة القرآن

الكتاب

- ١ فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *
في كتابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *^١
- ٢ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ *^٢
- ٣ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * .. مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا، فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ *^٣

الحديث

-
- ١ - سورة الواقعة (٥٦) : ٧٥ - ٨٠.
 - ٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٩٢ - ١٩٥.
 - ٣ - سورة غافر (٤٠) : ٢ و ٤.

- ١ النبي «ص»: أُعْطِيَتْ السُّورَةُ الطُّوْلُ مَكَانَ التَّوَارَةِ، وَأُعْطِيَتْ المِثْنَيْنِ مَكَانَ الانجِيلِ، وَأُعْطِيَتْ المَثَانِي مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفُضِّلَتْ بِالمُفْصَّلِ، ثَمَانِ وَسْتُونَ سُوْرَةً، وَهُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَي سَائِرِ الكُتُبِ ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ - مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ - بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالمَثَلَاتِ، وَاحْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - قِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي القُرْآنِ؟ فَقَالَ: هُوَ كَلَامُ اللهِ، وَقَوْلُ اللهِ، وَكِتَابُ اللهِ، وَوَحْيُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ ..^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: لَقَدْ تَجَلَّى اللهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.^٤
- ٥ الامام السجاد «ع»: .. وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِنًا عَلَي كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَي كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ، وَفُرْقَانًا فَرَقْتَهُ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَقَرَأْنَا أَعْرَبْتَ بِهِ عَن شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلاً، وَوَحِيًّا أَنْزَلْتَهُ عَلَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ - تَنْزِيلاً.^٥

١ - الكافي ٢ / ٦٠١.

٢ - نهج البلاغة / ٤٤٦؛ عبده ٢ / ٤١.

٣ - البحار ٩٢ / ١١٧، عَن «التوحيد» وَ «الامالي»، لِلصَّدُوقِ.

٤ - البحار ٩٢ / ١٠٧، عَن «اسرار الصلاة».

٥ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٢٦٤ - ٢٦٥ (الدَّعَاءُ ٤٢). كَانَ الامام عَلِي بن الحُسَيْنِ السَّجَادِ «ع» يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ عِنْدَ خْتَمِهِ للقُرْآنِ الكَرِيمِ؛ وَهُوَ الدَّعَاءُ الثَّانِي وَالارْبَعُونَ، مِنْ صَحِيفَتِهِ الشَّرِيفَةِ. وَفِيهِ يَصِفُ الكِتَابَ السَّمَاوِيَّ. وَنَحْنُ نَأْتِي بِشَدْرَاتٍ مِنْهُ فِي هَذِهِ الفُصُولِ.

الفصلُ الثاني

الطريقُ الأقوم

الكتاب

- ١ إنَّ هذا القرآنَ يَهدي للتي هيَ أقوم، وَيُبشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا*^١
- ٢ قرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ*^٢
- ٣ يَهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: وهو (القرآن) الدليل، يَدُلُّ على خيرِ سبيل.^٤

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٩.

٢ - سورة الزمر (٣٩) : ٢٨.

٣ - سورة المائدة (٥) : ١٦.

٤ - تفسير العياشي ١ / ٢.

- ٢ الامام علي «ع» : أَرْسَلَهُ بِكِتَابِ فَصْلِهِ، وَأَحْكَمَهُ وَأَعَزَّهُ .. فَجَعَلَهُ اللهُ نُورًا يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ.^١
- ٣ الامام علي «ع» : اسْتَفْتَحُوا بِكِتَابِ اللهِ ! فَإِنَّهُ أَمَامٌ مُشْفِقٌ، وَهَادٍ مُرْشِدٌ، وَوَاعِظٌ نَاصِحٌ، وَدَلِيلٌ يُؤَدِّي إِلَى جَنَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.^٢
- ٤ الامام علي «ع» : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللهُ وَفَّقَ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ..^٣

١ - تفسير العياشي ١ / ٧ .

٢ - امالي الطوسي ١ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

٣ - نهج البلاغة / ٤٥٠ : عبده ٢ / ٤٢ .

الفصل الثالث

الصراط المستقيم

الكتاب

- ١ إنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ، هذا صراطٌ مستقيم *^١
- ٢ إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَلَا الضَّالِّينَ *^٢
- ٣ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ..^٣

١ - سورة آل عمران (٣) : ٥١.

٢ - سورة الفاتحة (١) : ٦ - ٧.

٣ - الانعام (٦) : ١٥٣.

الفصل الرابع

كتاب التوحيد الحق

الكتاب

- ١ قل : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد *^١.
- ٢ اللَّهُ لا إِلَهَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *^٢
- ٣ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *^٣
- ٤ .. أَيْنَ أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى؟ قُلْ : لا أَشْهَدُ، قُلْ : إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ

١ - سورة الاخلاص (١١٢) : ١ - ٤.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٥.

٣ - سورة الحشر (٥٩) : ٢٢ - ٢٤.

الفصل الرابع : كتاب التوحيد الحقّ

واحد، وانّني بريء مما تُشركون *^١

٥ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الْمَلِكِ الْقَدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *^٢

١ - سورة الانعام (٦) : ١٩.

٢ - سورة الجمعة (٦٢) : ١.

الفصل الخامس

كتاب الوعد الصدق

الكتاب

- ١ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يُقاتلون في سبيلِ الله فيقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً في التَّوراة والانجيل والقرآن، ومَنْ أوفى بعهدِهِ مِنَ الله؟ ..١
- ٢ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا * ٢
- ٣ اولئك الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي اصْحَابِ الْجَنَّةِ، وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ * ٣

الحديث

-
- ١ - سورة التوبة (٩) : ١١١.
 - ٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ١٦.
 - ٣ - سورة الاحقاف (٤٦) : ١٦.

١ الامام الصادق «ع» : إِنَّ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ،
فِيهِ خَيْرُكُمْ وَخَيْرٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ، وَخَيْرٌ مِّنْ بَعْدِكُمْ، وَخَيْرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَلَوْ
أَتَاكُمْ مِنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَتَعَجَّبْتُمْ. ١

الفصل السادس

كتاب الهداية والنور والرحمة والبصائر

الكتاب

- ١ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً *^١
- ٢ يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين *^٢
- ٣ هذا بصائر من ربكم، وهدي ورحمة لقوم يؤمنون *^٣
- ٤ قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ *^٤
- ٥ هذا بصائر للناس، وهدي ورحمة لقوم يؤمنون *^٥

١ - سورة النساء (٤): ١٧٤.

٢ - سورة المائدة (٥): ١٥.

٣ - سورة الاعراف (٧): ٢٠٣.

٤ - سورة الانعام (٦): ١٠٤.

٥ - سورة الجاثية (٤٥): ٢٠.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : ثم أنزل عليه الكتاب، نوراً لا تطفأ مصابيحُه .. ونوراً ليس معه ظلمة ..^١
- ٢ السيدة فاطمة «ع» : .. لله فيكم عهدٌ قدمه اليكم، وبقيةٌ استخلفها عليكم: كتابُ الله، بينةٌ بصائرُه، منكشفةٌ سرائرُه، وبرهانٌ متجليةٌ ظواهرُه، مديمٌ للبريةِ استماعه، وقائدٌ الى الرضوانِ أتباعه، ومؤدٌ إلى النجاةِ أشياعه ..^٢
- ٣ الامام السجاد «ع» : اللهم! انك أعنتني علي ختمِ كتابك، الذي أنزلته نوراً.. وجعلته نوراً نهتدي من ظلمِ الضلالة والجهالةِ باتباعه .. ونورَ هدى لا يطفأ عنِ الشاهدين برهانه، وعلمَ نجاةٍ لا يضلُّ من أمَّ قصدَ سنَّته ..^٣
- ٤ الامام الصادق «ع» : .. قال رسول الله «ص»: القرآنُ هدى من الضلالة، وتبيانٌ من العمى، واستقالةٌ من العثرة، ونورٌ من الظلمة ..^٤

١ - نهج البلاغة / ٦٤١: عبده ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣.

٢ - علل الشرائع / ٢٤٨: من خطبتها - سلام الله عليها - الشهيرة، التي ألقاها بمسجد المدينة.

أيام رحلة النبي «ص»، في مجتمع الصحابة.

٣ - الصحيفة السجادية / ٢٦٤ - ٢٦٥ (الدعاء ٤٢).

٤ - تفسير العياشي ١ / ٥.

الفصل السابع

كتاب العقل والتفكير

الكتاب

- ١ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون *^١
- ٢ لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم، أفلا تعقلون؟ *^٢
- ٣ قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله، أفلا تعقلون؟ *^٣
- ٤ إن في خلق السماوات والارض، واختلاف الليل والنهار، لآياتٍ لأولي الالباب *^٤
- ٥ .. فاتقوا الله يا أولي الالباب، لعلكم تفلحون *^٥
- ٦ .. وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم، ولعلهم يتفكرون؟ *^٦

١ - سورة يوسف (١٢) : ٢.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ١٠.

٣ - سورة يونس (١٠) : ١٦.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ١٩٠.

٥ - سورة المائدة (٥) : ١٠٠.

٦ - سورة النحل (١٦) : ٤٤.

- ٧ .. كذلك يُبينُ اللهُ لكم الآياتِ، لعلُّكم تتفكَّرون؟ *^١
- ٨ .. كذلك يُبينُ اللهُ لكم الآياتِ، لعلُّكم تتفكَّرون *^٢

١ - سورة البقرة (٢) : ٢١٩.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٦.

الفصل الثامن

كتاب الحكمة والعلم

الكتاب

- ١ هو الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ..^١
- ٢ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا، وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ، وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ *^٢
- ٣ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ ..^٣
- ٤ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ *^٤
- ٥ وَعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْ *^٥

١ - سورة الجمعة (٦٢) : ٢.

٢ و ٣ و ٤ - سورة البقرة (٢) : ١٥١ و ١٢٩ و ٢٦٩.

٥ - سورة العلق (٩٦) : ٥.

الفصلُ التاسعُ

كتاب العمل

الكتاب

- ١ قل : يا أهلَ الكتابِ لَسْتُمْ عَلَيَّ شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ..^١
- ٢ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟*^٢
- ٣ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ*^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَآثَرَ عَلَيْهِ حُبَّ الدُّنْيَا

١ - سورة المائدة (٥) : ٦٨.

٢ و٣ - سورة البقرة (٢) : ٤٤ و ١١٠.

- وزينتها، استوجبَ سَخَطَ الله عزَّ وجل، وكان في الدَّرَجَةِ مَعَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ يَنْبِذُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ^١..
- ٢ النبي «ص»: ما آمنَ بالقرآنِ مِنِ اسْتَحْلٍ مَحَارِمِهِ^٢.
- ٣ النبي «ص»: كَمِ مِن قَارِئِ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ^٣.
- ٤ النبي «ص»: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالتَّخَشُّعِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِحَامِلُ الْقُرْآنِ.
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِحَامِلُ الْقُرْآنِ^٤.

* المرادُ بـ «حاملِ القرآن» - بصورةٍ كليّةٍ - هو العالمُ به
المُجَهَّزُ بالمعرفة القرآنيّة والعاملُ باحكام القرآن. فالمقصود
بالجملة الاولى في الحديث (إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالتَّخَشُّعِ ..)، هو
العالمُ بالمعرفة التوحيدية القرآنيّة؛ يعنى أَنَّ مَنْ نَالَ عِلْمَ «التَّوْحِيدِ
القرآنيّ» وَعَرَفَ اللَّهَ هَذَا الْعِرْفَانَ، فَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّخَشُّعِ فِي
السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

والمقصودُ بالجملة الثانية (إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ ..)، هو العالمُ بالاحكامِ الالهية الواردة في القرآن؛ يعنى
أَنَّ مَنْ عِلِمَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ وَخُصُوصاً مَا جَاءَ فِيهِ بِحَقِّ الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ، فَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.
وقيل: حَمَلَةُ الْقُرْآنِ حِفَاظُهُ وَرُؤَاتُهُ.

١ - ثواب الاعمال / ٣٣٢.

٢ - البحار ٩٢ / ١٨٥، عن «كنز الفوائد».

٣ - البحار ٩٢ / ١٨٥، عن «اسرار الصلاة».

٤ - البحار ٩٢ / ١٨٥، عن كتاب «الغايات»، للشيخ جعفر بن أحمد القمي.

- ٥ الامام علي «ع» : الله الله في القرآن! لا يسبقكم بالعمل به غيركم ..^١
- ٦ الامام الباقر «ع» : قال رسول الله «ص» : يا معاشر قراء القرآن! اتقوا الله عزَّ وجلَّ، فيما حَمَلَكُم مِن كتابه، فَإِنِّي مَسْؤُولٌ وَإِنَّكُم مَسْؤُولُونَ. إِنِّي مَسْؤُولٌ عَن تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَا مَا أَنْتُمْ فَتُسْأَلُونَ عَمَّا حُمَلْتُمْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّتِي.^٢
- ٧ الامام السَّجَاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاحْطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقَلِ الْاَوْزَارِ .. حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ، وَتَقْفُو بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَضَاؤُوا بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْاَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ.^٣

الفات نظر

عن ابي عبد الرحمن السُّلَمي قال: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرئُنَا مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص» عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.^٤

١ - نهج البلاغة / ٩٧٨ : عبده ٣ / ٨٦.

٢ - الكافي ٢ / ٦٠٦.

٣ - الصحيفة السَّجادية / ٢٦٨ (الدعاء ٤٢).

٤ - البحار ٩٢ / ١٠٦ : مُنِيَّةُ المريد / ٢١٦.

الفصلُ العاشرُ

كتابُ التَّبيانِ والتَّفصيلِ

الكتاب

- ١ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ..^١
- ٢ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ، هَدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *^٢
- ٣ .. مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» : هو كتابُ تَفْصيلٍ ، وبيانٍ وتحصيلٍ ..^٤
- ٢ الامام علي «ع» : .. تَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ..^٥

١ - سورة النحل (١٦) : ٨٩.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ٥٢.

٣ - سورة يوسف (١٢) : ١١١.

٤ - تفسير العياشي ١ / ٢ .

٥ - نهج البلاغة / ٦٤١ : عبده ٢ / ٢٠٢ .

الفصل العاشر : كتاب التّبيان والتّفصيل

- ٣ الامام السجاد «ع» : .. كتاباً فَصَّلَتْهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلاً ١..
- ٤ الامام الباقر «ع» : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَدْعُ شَيْئاً تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَّهُ لِرَسُولِهِ. وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً، وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلاً يَدُلُّ عَلَيْهِ. ٢.
- ٥ الامام الصادق «ع» : إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَاناً كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ شَيْئاً يَحْتَاجُ الْعِبَادُ إِلَيْهِ إِلَّا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ ٣..

١ - الصحيفة السجادية / ٢٦٥ (الدعاء ٤٢).

٢ - البحار ٩٢ / ٨٤، عن «بصائر الدرجات».

٣ - البحار ٩٢ / ٨١، عن «تفسير القمي».

الفصلُ الحادي عشر

كتاب لا ريب فيه ولا اختلاف

الكتاب

- ١ ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتقين *^١
- ٢ .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً *^٢
- ٣ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: عليكم بكتاب الله! فإنه الحبل المتين .. لا يعوجُّ فيقام، ولا يزيفُ فيستعَب *^٤

١ - سورة البقرة (٢) : ٢.

٢ - سورة النساء (٤) : ٨٢.

٣ - سورة فصلت (٤١) : ٤٢.

٤ - نهج البلاغة / ٤٩٠ : عبده ٢ / ٦٤.

الفصل الحادي عشر: كتاب لاريب فيه ..

- ٢ الامام السجاد «ع»: .. وميزان قسطٍ لا يحيفُ عن الحقِّ لسانُه، ونورَ هدى لا يطفأُ عن الشاهدينَ برهانهُ ..^١
- ٣ الامام الصادق «ع»: .. هو قولُ الله .. وتنزيلُه، وهو الكتابُ العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد ..^٢

١ - الصحيفة السجادية / ٢٦٥ (الدعاء ٤٢).

٢ - البحار ٩٢ / ١١٧، عن «امالي الصدوق».

الفصلُ الثاني عشر

كتاب الحبّ

أ- الحبّ الالهي

الكتاب

- ١ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *^١
- ٢ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ *^٢
- ٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ *^٣
- ٤ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٤
- ٥ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *^٥
- ٦ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانُ مَرْصُوصٍ *^٦
- ٧ قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ

١ و ٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ و ٢٢٢.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٥٩.

٤ - سورة المائدة (٥) : ٤٢.

٥ - سورة التوبة (٩) : ٤.

٦ - سورة الصف (٦١) : ٤.

غفورٌ رحيمٌ * ١

٨ .. فسوف يأتي الله بقومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ .. ٢

ب - الحب الانساني

الكتاب

- ١ .. والذين آمنوا أشدَّ حبًّا لله .. ٢
- ٢ والَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. ٤
- ٣ .. وبالوالدينِ إحساناً وذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين، وقولوا للناسِ حسناً .. ٥
- ٤ وقضىٰ ربُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ وبالوالدينِ إحساناً، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * ٦

١ - سورة آل عمران (٣) : ٣٦.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٥٤.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٦٥.

٤ - سورة الحشر (٥٩) : ٩.

٥ - سورة البقرة (٢) : ٨٣.

٦ - سورة الإسراء (١٧) : ٢٣ - ٢٤.

الفصل الثالث عشر

كتاب البشارة والإنذار

الكتاب

- ١ ونزلنا عليك الكتاب، تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة وبُشرى للمسلمين *^١
- ٢ قل : نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهَدَىٰ وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ *^٢
- ٣ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *^٣
- ٤ .. وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ، لِسَانًا عَرَبِيًّا، لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَبُشْرَىٰ
لِلْمُحْسِنِينَ *^٤
- ٥ فَأَنَّمَا يُسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ، وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا *^٥
- ٦ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ،

١ - سورة النحل (١٦) : ٨٩.

٢ - سورة النحل (١٦) : ١٠٢.

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٩.

٤ - سورة الاحقاف (٤٦) : ١٢.

٥ - سورة مريم (١٩) : ٩٧.

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ •^١

٧ .. قُلْ: اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ..^٢

٨ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ: أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ •^٣

١ - سورة السجدة (٣٢) : ٣.

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٩.

٣ - سورة فصلت (٤١) : ٣٠.

الفصل الرابع عشر

كتاب الدعوة والانطلاق

الكتاب

- ١ يا أيها المدثر * قم فأنذر *^١
- ٢ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ..^٢
- ٣ قل : يا أيها الناس إني رسولُ الله اليكم جميعاً، الذي له ملكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، الذي يَوْمَنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *^٣
- ٤ .. وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ، إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ *^٤
- ٥ يا أيها النبي حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ..^٥

١ - سورة المدثر (٧٤) : ١ - ٢ .

٢ - سورة النحل (١٦) : ١٢٥ .

٣ - سورة الاعراف (٧) : ١٥٨ .

٤ - سورة الحج (٢٢) : ٦٧ .

٥ - سورة الانفال (٨) : ٦٥ .

الفصل الخامس عشر

كتاب الصّمود والزّساليّة

الكتاب

- ١ قل : يا أيها الكافرون * لا أعبدُ ما تعبُدون *^١
- ٢ .. قل : إنَّ هُدَى اللَّهِ هو الهدى، ولئن اتَّبعتَ اهواءَهُم بعدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ العلم، مالَكَ مِنَ اللَّهِ من وَلِيٍّ ولا نصير *^٢
- ٣ .. قل : إنّما هو الهُ واحد، واني بريءٌ ممّا تُشركون *^٣
- ٤ فإن تولّوا فاعلّموا أنّ اللَّهَ مولاكم، نعم المولى ونعم النصير *^٤
- ٥ والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهم أولياءُ بعض، يأمرّون بالمعروفِ وينهون عن المنكر، ويسيّمون الصّلاةَ ويؤتّون الزّكاةَ، ويطيعون اللَّهَ ورسولَهُ، اولئك سيّرحمُهُمُ اللَّهُ إنّ اللَّهَ عزيزٌ حكيم *^٥

١ - سورة الكافرون (١٠٩) : ١ - ٢.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٢٠.

٣ - سورة الانعام (٦) : ١٩.

٤ - سورة الانفال (٨) : ٤٠.

٥ - سورة التوبة (٩) : ٧١.

الحديث

١ الامام الباقر «ع» - في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي: .. واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك اهل مصرِك وقالوا: إنك رجلُ سوءٍ لم يحزنُكَ ذلك؛ ولو قالوا: إنك رجلٌ صالحٌ لم يسُرَّكَ ذلك. ولكنَّ اعرضْ نفسَكَ على كتاب الله، فإن كنتَ سالكاً سبيلَه، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبتْ وأبشِرْ! فإنه لا يضرك ما قيل فيك .. ١

الفصل السادس عشر

كتاب العدل والاحسان والبر والتقوى

الكتاب

- ١ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..^١
- ٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..^٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ، شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ الْآ تَعَدِلُوا، إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*^٣
- ٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ، وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ..^٤
- ٥ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..^٥

١ - سورة النساء (٤) : ٥٨.

٢ - سورة النحل (١٦) : ٩٠.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٨.

٤ - سورة النساء (٤) : ١٣٥.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٢.

الفصل السابع عشر

كتاب الخصال الانسانية

الكتاب

- ١ خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين *^١
- ٢ .. فأصفح الصفح الجميل *^٢
- ٣ .. إنه من قتل نفساً بغير نفسٍ، أوفسادٍ في الارض، فكأنما قتل الناس جميعاً
ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ..^٣
- ٤ إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون *^٤
- ٥ .. والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم لعهدهم واماناتهم راعون *^٥
- ٦ والذين لا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مروا كراماً *^٦
- ٧ والذين يُنْفِقون أموالهم في سبيلِ الله، ثم لا يُتَّبِعُونَ ما أنفقوا مناً ولا أذى، لهم

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٩٩.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ٨٥.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٣٢.

٤ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٠.

٥ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٣ - ٨.

٦ - سورة الفرقان (٢٥) : ٧٢.

- أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون *^١
- ٨ ولا تمش في الارض مرحاً، إنك لن تحرق الارض، ولن تبلغ الجبال طولاً *^٢
- ٩ اولئك يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون *^٣
- ١٠ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة، أن يؤثوا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصْفَحُوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟
والله غفور رحيم *^٤

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٤٢.

٢ - سورة الاسراء (١٧) : ٣٧.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٦١.

٤ - سورة النور (٢٤) : ٢٢.

الفصل الثامن عشر

كتاب الشفاء والجلء

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ *^١
- ٢ .. قُلْ : هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ *^٢
- ٣ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ..^٣
- ٤ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا، مَثَانِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ..^٤

١ - سورة يونس (١٠) : ٥٧.

٢ - سورة فصلت (٤١) : ٤٤.

٣ سورة الاسراء (١٧) : ٨٢.

٤ - سورة الزمر (٣٩) : ٢٣.

الحديث

- ١ النبي «ص»: إن هذا القرآن، هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى ..^١
- ٢ النبي «ص»: عليكم بالقرآن! فإنه الشفاء النافع، والدواء المبارك ..^٢
- ٣ الامام علي «ع»: .. فيه ربيع القلب، وينابيع العلم، ومال للقلب جلاء غيره ..^٣
- ٤ الامام علي «ع»: .. وشفاء لا تخشى أسقامه .. جعله الله ريباً لعطش العلماء، وريباً لقلوب الفقهاء، ومحتاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء ..^٤
- ٥ الامام علي «ع»: .. ما جالس هذا القرآن أحد الاقام عنه بزيادة او نقصان: زيادة في هدى، ونقصان من عمى. واعلموا! أنه ليس على احد بعد القرآن من فاقة، ولا لاحد قبل القرآن من غنى. فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من اكبر الداء، وهو الكفر، والنفاق، والغى، والضلال؛ فاسألوا الله به، وتوجهوا اليه بحبه! ..^٥
- ٦ الامام السجاد «ع»: اللهم صل على محمد وآله! واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مونساً، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوسوس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها الى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما

١ - البحار ٩٢ / ٣١، عن «تفسير الامام العسكري».

٢ - البحار ٩٢ / ١٨٢، عن «تفسير الامام العسكري».

٣ - نهج البلاغة / ٥٧٣: عبده ٢ / ١١٥.

٤ - نهج البلاغة / ٦٤١: عبده ٢ / ٢٠٣.

٥ - نهج البلاغة / ٥٦٧: عبده ٢ / ١١١.

طَوَّتِ الْغَفْلَةُ عَنَا مِنْ تَصَفُّحِ الْإِعْتِبَارِ نَاشِرًا، حَتَّى تَوْصَلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ
عَجَائِبِهِ، وَزَوَاجِرَ أَمْثَالِهِ، الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي - عَلَى صَلَابَتِهَا -
عَنْ أَحْتِمَالِهِ^١.

١ - الصحيفة السَّجَّادِيَّة / ٢٦٩ (الدعاء ٤٢).

الفصل التاسع عشر

كتاب الرضا والاطمئنان

الكتاب

- ١ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر «الله» تطمئن القلوب *^١
- ٢ وما جعله الله إلا بُشْرَىٰ لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم *^٢
- ٣ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ *^٣
- ٤ قال الله : هذا يومٌ ينفعُ الصادقين صدقُهم، لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً، رضيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه، ذلك الفوزُ العظيم *^٤
- ٥ يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً *^٥

١ - سورة الرعد (١٣) : ٢٨.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٢٦.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٥٩.

٤ - سورة المائدة (٥) : ١١٩.

٥ - سورة الفجر (٨٩) : ٢٧ - ٢٨.

الحديث

١ الامام السجاد «ع» : اللهم صل على محمد وآله! وأدم بالقرآن صلاحَ ظاهرنا،
وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا
وَعَلَائِقَ أَوْزَارِنَا، وَاَجْمَعْ بِهِ مُنْتَشَرَ أُمُورِنَا، وَأُرُوبَهُ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ
ظَمًا هَوَاجِرِنَا، وَاكْسُنَا بِهِ حُلَلَ الْأَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي نُشُورِنَا..١

الفصلُ العَشرون

كتاب التأمل والاستذكار

أ - ملازمة القرآن

الكتاب

- ١ .. فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ..^١
- ٢ .. فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - في وصيته لعلي «ع»، فيما رواه الامام جعفر الصادق: ..
وعليك بتلاوة القرآن على كل حال.^٣

١ - سورة المزمّل (٧٣) : ٢٠ .

٢ - سورة المزمّل (٧٣) : ٢٠ .

٣ - الوسائل ٤ / ٨٣٩ .

- ٢ الامام علي «ع» : لِيَكُنْ سَمِيرُكَ الْقُرْآنُ.^١
- ٣ الامام الصادق «ع» : الْقُرْآنُ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ، فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ، وَإِنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً.^٢

ب - التّدبّر القرآنيّ

الكتاب

- ١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟ *^٣
- ٢ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ *^٤
- ٣ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ، فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ؟ *^٥
- ٤ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ؟ ..^٦

الحديث

-
- ١ - غُرُرُ الْحِكْمِ / ٢٥٤.
- ٢ - الوسائل ٤ / ٨٤٩.
- ٣ - سورة محمّد «ص» (٤٧) : ٢٤.
- ٤ - سورة ص (٣٨) : ٢٩.
- ٥ - سورة القمر (٥٤) : ٢٢.
- ٦ - سورة النساء (٤) : ٨٢.

١ الامام الصادق «ع» - من دعائه قبل أن يقرأ القرآن، حين يأخذ المصحف بيمينه: .. اللهم! إني نَشَرْتُ عهدَكَ وكتابَكَ. اللهم! فاجعل نظري فيه عبادةً، وقراءتي تفكيراً، وفكري اعتباراً. واجعلني ممّن اتعظ ببيان مواظك فيه، واجتنب معاصيك. ولا تطبّع عند قراءتي كتابك على قلبي، ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوةً، ولا تجعل قراءتي قراءةً لا تدبر فيها، بل اجعلني أتدبر آياته واحكامه، آخذاً بشرائع دينك. ولا تجعل نظري فيه غفلةً ولا قراءتي هذرمةً؛ انك أنت الرؤوف الرحيم.^١

٢ الامام الرضا «ع» - عن ابيه، عن جدّه، في تفسير قوله تعالى: «فأقرأوا ما تيسر منه»: ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر.^٢

ج - فيم التدبّر؟

الأول - في البدن والنفس

(١) - التدبّر في بدايات تكوّن الوجود الانساني

- ١ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟ * إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه، فجعلناه سميعاً بصيراً *^٣
- ٢ ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طين * .. ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين *^٤

١ - البحار ٩٨ / ٥ - ٦، عن كتاب «الاقبال».

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٣٨٢.

٣ - سورة الدهر (٧٦): ١ - ٢.

٤ - سورة المؤمنون (٢٣): ١٢ و ١٤.

(٢) - التدبّر في مراحل الوجود الانساني

- ١ يا أيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإننا خلقناكم من ترابٍ، ثم من نُطفةٍ، ثم من عَلَقَةٍ، ثم من مُضْغَةٍ، مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ، وَنُقَرِّئِ الْأَرْحَامَ ما نشاءُ الى اجلٍ مُّسَمًّى، ثم نُخْرِجُكُمْ طفلاً، ثم لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ..^١
- ٢ ونفسٍ وما سواها * فَاَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا *^٢
- ٣ .. ومنكم من يُتَوَفَّى، ومنكم من يُرَدُّ الى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، لِكَيْلَا يَعْلَمَ من بعدِ علمٍ شيئاً ..^٣

(٣) - التدبّر في خاتمة هذه الحياة

- ١ ثم إنكم بعد ذلك لميتون *^٤
- ٢ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ *^٥
- ٣ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت ..^٦
- ٤ قل : إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ، ثم تُرَدُّونَ الى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَيُنَبِّئُكُمْ بما كنتم تعملون *^٧

١ - سورة الحج (٢٢) : ٥.

٢ - سورة الشمس (٩١) : ٧ - ٨.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٥.

٤ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١٥.

٥ - سورة الزمر (٣٩) : ٣٠.

٦ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٥؛ سورة الانبياء (٢١) : ٣٥؛ سورة العنكبوت (٢٩) : ٥٧.

٧ - سورة الجمعة (٦٢) : ٨.

(٤) - انكشاف الواقع

١ إنا لله وإنا إليه راجعون *^١

إيقاظ

لِتَكُنِ النَّظْرَةُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، نَظْرَةً إِيْجَابِيَّةً، حَيْثُ تُشِيرُ إِلَى مَا هِيَ الْإِنْسَانُ الْكُونِيَّةُ، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ حَقِيقَةً بَدَأَتْ مَسِيرَتَهَا مِنْ اللَّهِ وَسَتَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَهِيَ نَفْخَةُ الْهَيْبَةِ سَارِيَّةٌ فِي الْعَوَالِمِ الْكُونِيَّةِ. فَالْإِنْسَانُ بُدِئَ مِنْ اللَّهِ وَسَيَعُودُ إِلَى مَا بَدِئَ . فَهُوَ اللَّهُ، وَمِنْ اللَّهِ، وَاللَّهُ هِيَ مَا هِيَ الْإِنْسَانُ وَحَقِيقَتُهُ. فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ الشَّارِقَةُ مُحَطًّا فِكْرٍ طَوِيلٍ وَنَظْرٍ عَمِيقٍ؛ فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْحَقَائِقِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْوَحْيِ، وَمِنْ رَوَائِعِ بَشَارَاتِ الْقُرْآنِ، كَمَا هِيَ مِنْ أَهَمِّ مَنبَهَاتِهِ وَأَيَاتِهِ الِاسْتِذْكَارِيَّةِ الْخَالِدَةِ.

الثاني - في عالمي الأنفس والآفاق

- ١ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟ *^٢
- ٢ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ..^٣
- ٣ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ..^٤

١ - سورة البقرة (٢) : ١٥٦.

٢ - سورة الذاريات (٥١) : ٢٠ - ٢١.

٣ - سورة النمل (٢٧) : ١٤.

٤ - سورة يس (٣٦) : ٣٦.

- ٤ سنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..١
- ٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ*٢
- ٦ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا..٣
- ٧ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَنْبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ، مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا، وَجَعَلَ لَهَا
رَوَاسِي، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ أَكْثَرَ مِنْ
لَا يَعْلَمُونَ*٤
- ٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتِرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ*٥

الثالث - في احوال الأمم الغابرة ومصائرهم

- ١ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: إِنَّا
بِرَأْيِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ..٦

١ - سورة فصلت (٤١) : ٥٣.

٢ - سورة يونس (١٠) : ٦.

٣ - سورة النحل (١٦) : ٨١.

٤ - سورة النمل (٢٧) : ٦٠ - ٦١.

٥ - سورة الزمر (٣٩) : ٢١.

٦ - سورة المتجنة (٦٠) : ٤.

- ٢ .. وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ،
وَهُمْ يَعْلَمُونَ *^١
- ٣ .. فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ؟ *^٢

الرَّابِع- فِي أَسْبَابِ مَا حَلَّتْ بِالسَّابِقِينَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْبَاسَاءِ

- ١ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمِ ابْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا
أُوتُوا، أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً، فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ *^٣
- ٢ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ
وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا: يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ *^٤
- ٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ *^٥

الْفَاتِ نَظَر

لقد جاءت في الكتاب السماوي آيات كثيرة تُذَكِّرُنَا بِأَيَّامِ اللَّهِ
وما جرى في الغابرين. وهذه الآيات مجال رَحْبٌ للتدبُّرِ والوعْيِ،
وكشفِ الواقعِ الرَّاهِنِ على الأرض، وفهمِ سُنَنِ اللَّهِ فِي التَّارِيخِ
وسيره، وفي بناءِ النَّفْسِ والمجتمعِ.

١ - سورة البقرة (٢) : ٧٥.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٧.

٣ - سورة الانعام (٦) : ٤٤.

٤ - سورة الاعراف (٧) : ٧٦ - ٧٨.

٥ - سورة الانعام (٦) : ٤٢.

د - حصيلة التدبر في المجالات السابقة

(١) - الأناة والرجوع

- ١ وأنبوا الى رَبُّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * ١
- ٢ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ، لَهُمُ الْبُشْرَى، فَبَشِّرْهُ عِبَادِ * ٢
- ٣ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ، وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ * ٣
- ٤ .. رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * ٤

(٢) - الاستغفار

- ١ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا، فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * ٥
- ٢ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ .. ٦
- ٣ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * ٧

(٣) - الدعاء والعبادة

١ و ٢ - سورة الزمر (٣٩) : ٥٤ و ١٧.

٣ - سورة غافر (٤٠) : ١٣.

٤ - سورة المتحنة (٦٠) : ٤.

٥ و ٦ و ٧ - سورة آل عمران (٣) : ١٦ و ١٣٥ و ١٧.

- ١ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءِ *^١
- ٢ فَدَعَا رَبَّهُ، أَنْ هَوْلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ *^٢
- ٣ فَدَعَا رَبَّهُ، أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرِ *^٣
- ٤ .. فقالوا: رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ آلِهًا..^٤
- ٥ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ *^٥
- ٦ صِبْغَةَ اللَّهِ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً؟ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ *^٦
- ٧ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ *^٧

(٤) - المثابرة والسعي

- ١ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا..^٨
- ٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *^٩
- ٣ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٤٠.

٢ - سورة الدخان (٤٤) : ٢٢.

٣ - سورة القمر (٥٤) : ١٠.

٤ - سورة الكهف (١٨) : ١٤.

٥ - سورة الطور (٥٢) : ٢٨.

٦ - سورة البقرة (٢) : ١٣٨.

٧ - سورة الفاتحة (١) : ٥.

٨ - سورة التور (٢٤) : ٥٥.

٩ - سورة هود (١١) : ٢٣.

رَبِّهِمْ، كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ١

* راجع ايضاً: الفصل الثاني والثلاثين، من هذا الباب.

الفصل الحادي والعشرون

كتاب العبرة والوعي

الكتاب

- ١ .. وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ *^١
- ٢ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ *^٢
- ٣ .. لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ *^٣
- ٤ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى *^٤
- ٥ .. فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *^٥
- ٦ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ *^٦

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٣.

٢ - سورة النور (٢٤) : ٤٤.

٣ - سورة يوسف (١٢) : ١١١.

٤ - سورة النازعات (٧٩) : ٢٦.

٥ - سورة الحشر (٥٩) : ٢.

٦ - سورة الحاقة (٦٩) : ١٢.

الحديث

١ النبي «ص» : يا ابن مسعود! اذا تلوت كتاب الله تعالى، فأتيت على آية فيها أمر ونهي، فرددها نظراً واعتباراً فيها، ولا تسه عن ذلك! فإن نهيه يدل على ترك المعاصي، وأمره يدل على [عمل] البر والصلاح، فإن الله تعالى يقول: «فكيف إذا جمعتهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»^١.

٢ الامام الصادق «ع» : عليكم بالقرآن! فما وجدتم آية نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه هلك من كان قبلكم فاجتنبوه.^٢

١ - سورة آل عمران (٣) : ٢٥.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٣٠.

٣ - تفسير العياشي ١ / ٥.

الفصلُ الثاني والعشرون

كتاب البشرية عامّة

الكتاب

- ١ يا أيُّها النَّاسُ، قد جاءكم برهانٌ من ربِّكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً*^١
- ٢ هذا بيانٌ للنَّاسِ وهدىً وموعظةٌ للمتقين*^٢
- ٣ هذا بصائرٌ للنَّاسِ وهدىً ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون*^٣
- ٤ و ما أرسلناك إلاَّ كافَّةً للنَّاسِ، بشيراً ونذيراً، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمون*^٤

١ - سورة النساء (٤) : ١٧٤ .

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٨ .

٣ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٠ .

٤ - سورة سبأ (٣٤) : ٢٨ .

الفصل الثالث والعشرون

كتاب السياسة والولاية

أ - حكومة الربانيين

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم..^١
- ٢ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ..^٢
- ٣ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ..^٣
- ٤ .. وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ..^٤
- ٥ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *^٥

الحديث

١ و ٢ و ٣ - سورة النساء (٤) : ٥٩ و ٨٠ و ١٠٥.

٤ و ٥ - سورة المائدة (٥) : ٤٩ و ٥٥.

- ١ النبي «ص» - فيما رَوَى عنه الامامُ اميرُ المؤمنين: فيه بيانُ ما قبلكم من خبر .. وحكمُ ما بينكم ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: فيه نَبَأٌ مَنْ كان قبلكم، والحُكْمُ فيما بينكم ..^٢
- ٣ الامام علي «ع»: وفي القرآن .. حكمُ ما بينكم.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: ألا إنَّ فيه .. نظْمُ ما بينكم ..^٤
- ٥ الامام علي «ع» - فيما اجاب به طلحة : .. إن اخذتم بما فيه، نجوتُم من النار ودخلتم الجنة، فإنَّ فيه حُجَّتَنَا، وبيانَ حَقِّنا، وفرضَ طاعتِنَا ..^٥

ب - شجب الجبارين

الكتاب

- ١ وتلك عادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَصَوُا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا امْرَكُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ *^٦

* المقصودُ من ايراد امثالِ هذه الآية، هو الاشارةُ الى

الجانبِ السَّلْبِيِّ مِنَ الْقَضِيَّةِ، حَيْثُ نُلَاحِظُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُقَرِّعُ

١ و ٢ - تفسير العياشي ١ / ٣ و ٧.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٣٥؛ عبده ٣ / ٢٢٨.

٤ - نهج البلاغة / ٤٩٩؛ عبده ٢ / ٦٩.

٥ - الاحتجاج ١ / ٢٢٥.

٦ - سورة هود (١١) : ٥٩.

وَيُؤَنَّبُ قَوْمَ عَادٍ لِرُكُونِهِمْ إِلَى الظَّالِمِينَ. وَالنَّتِيجَةُ المنطقيَّةُ الَّتِي
يَسْتَخْلِصُهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ امْتِثَالِ هَذِهِ الآيَةِ، هِيَ أَنَّ لَا يَكُونُوا هُمْ
كَذَلِكَ.

- ٢ .. فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ *^١
- ٣ .. وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ *^٢
- ٤ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ..^٣
- ٥ .. وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ *^٤
- ٦ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالوتَ وَجُنودِهِ قَالُوا: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالوتَ ..^٥
- ٧ إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *^٦
- ٨ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *^٧
- ٩ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ،
قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى *^٨
- ١٠ .. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ، فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
لَأَنْفِصَامَ لَهَا ..^٩

١ - سورة البقرة (٢): ١٩٣.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ٨.

٣ - سورة يونس (١٠): ١٣.

٤ - سورة الشعراء (٢٦): ١٥١.

٥ - سورة البقرة (٢): ٢٥٠ - ٢٥١.

٦ و ٧ و ٨ - سورة طه (٢٠): ٢٤ و ٤٣ و ٤٧.

٩ - سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

الفصلُ الرَّابِعُ والعشرون

كتاب العزّة والاعتلاء

الكتاب

- ١ .. وكلمةُ الله هي العُليا، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ *^١
- ٢ .. واللهُ المثلُّ الاعلى، وهو العزيزُ الحكيمٌ *^٢
- ٣ .. واللهُ العزّةُ وِلِرسولِهِ وللمؤمنينِ ..^٣
- ٤ فلا تَهِنُوا وتَدْعُوا الى السَّلْمِ، وأنتمُ الأعلون، واللهُ معكم ..^٤
- ٥ ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا، وأنتمُ الأعلون، إن كنتم مؤمنين *^٥

الحديث

-
- ١ - سورة التوبة (٩) : ٤٠ .
 - ٢ - سورة النحل (١٦) : ٦٠ .
 - ٣ - سورة المنافقون (٦٣) : ٨ .
 - ٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٥ .
 - ٥ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٩ .

١ الامام علي «ع» : وكتابُ الله بين أظهرِكم، ناطقٌ لا يعينُ لسانُه، وبيتٌ لا تُهدمُ أركانه، وعِزٌّ لا تُهزمُ أعوانُه.١

٢ الامام علي «ع» : .. ثم أنزل عليه الكتاب نوراً .. وعِزّاً لا تُهزمُ انصارُه، وحقاً لا تُخذلُ اعوانُه ..٢

١ - نهج البلاغة / ٤١٢؛ عبده ٢ / ٢٢.

٢ - نهج البلاغة / ٦٤١؛ عبده ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣.

الفصل الخامس والعشرون

كتاب النهضة والفتح والثورة والتغيير

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيلِ الله اثاقلتم الى الارض، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل *^١
- ٢ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيلِ الله، ذلكم خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون *^٢
- ٣ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، فقاتلوا ائمة الكفر، انهم لا ايمان لهم، لعلهم ينتهون *^٣
- ٤ الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة، اتخشونهم؟ فالله احق ان تخشوه، ان كنتم مؤمنين *^٤
- ٥ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويسف صدور قوم مؤمنين *^٥

١ و ٢ - سورة التوبة (٩): ٣٨ و ٤١.

٣ و ٤ - سورة التوبة (٩): ١٢ - ١٣.

٥ - سورة التوبة (٩): ١٤.

- ٦ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ ۱
- ٧ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۗ ۲
- ٨ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۗ ۳
- ٩ .. وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۗ ۴
- ١٠ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۗ ۵
- ١١ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ ۶
- ١٢ .. فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ وَآتَيْنَاهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۗ ۷
- ١٣ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ ۸
- ١٤ .. نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ ۹
- ١٥ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ ۱٠

الحديث

١ و ٢ - سورة الانفال (٨) : ٦٠ و ٣٩.

٣ - سورة المجادلة (٥٨) : ٢١.

٤ - سورة الصافات (٣٧) : ١٧٣.

٥ - سورة غافر (٤٠) : ٥١.

٦ و ٧ - سورة الفتح (٤٨) : ١ و ١٨.

٨ - سورة النصر (١١٠) : ١.

٩ - سورة الصف (٦١) : ١٣.

١٠ - سورة القصص (٣٨) : ٥.

- ١ النبي «ص» - عثمان بن مظعون قال: قلتُ لرسول الله «ص»: إن نفسي تُحدِّثني بالسياحة وان ألحقَ بالجبال. فقال: «يا عثمان! لا تفعل، فإنَّ سياحةَ أمتي الغزوُ والجهاد»^١.
- ٢ النبي «ص»: من أقرَّ بالذُّلِّ طائعاً، فليسَ مِنَّا أهلَ البيت^٢.
- ٣ الامام الباقر «ع» - سليمان بن خالد قال: قال ابو جعفر «ع»: ألا أُخبرُك بالاسلام، اصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى، وجُعِلتُ فِداك! قال: أما اصله فالصلاة، وفرعه الزكاة، وذروة سنامه الجهاد^٣.
- ٤ الامام الصادق «ع»: شيعتنا اهلُ الهدى، واهلُ التقى، واهلُ الخير، واهلُ الايمان، واهلُ الفتح والظفر^٤.

الفات نظر

من اللّاحِبِ أَنْ جَعَلَ «المستضعفين» أئمةً وحُكَّاماً و وارثين
لما على الارض، يَسْتَلْزِمُ جَعَلَ «المستكبرين» و «الطواغيت
الاقتصاديّين» محكومين مقهورين مسلوبى الثروات المغتصبة.
وهذا هو التّغييرُ الثّوريّ بعينه، يعنى: جعلُ اعلى المجتمعِ اسفله
وأسفله أعلاه.
فلتكن كلُّ ثورةٍ تنتمى الى الاسلامِ من هذا النمط، حتى
تُصبحَ ثورةً فعليةً، هدامةً وبنّاءةً.

١ - الوسائل ١١ / ١٠.

٢ - تحف العقول / ٤٧.

٣ و ٤ - الكافي ٢ / ٢٣ - ٢٤ و ٢٣٣.

الفصلُ السادس والعشرون

كتاب السلام

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ..^١
- ٢ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ..^٢
- ٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ..^٣
- ٤ .. فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ..^٤
- ٥ .. وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ..^٥
- ٦ .. وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ..^٦

الحديث

-
- ١ - سورة البقرة (٢) : ٢٠٨ .
 - ٢ و ٣ - سورة الانفال (٨) : ٦١ و ١ .
 - ٤ - سورة الحجرات (٤٩) : ٩ .
 - ٥ و ٦ - سورة النساء (٤) : ٩٤ و ١٢٨ .

١ الامام علي «ع» : .. لا تَدْفَعَنَّ صلحاً دعاك اليه عدوك والله فيه رِضاً؛ فَإِنَّ فِي الصلحِ دَعَةً لجنودك، وراحةً من هُمومك، وأمناً لبلادك ..١

الفصل السابع والعشرون

كتاب أخبار الماضين والآتين

الكتاب

- ١ نحن نُقِصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ، بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ..^١
- ٢ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ..^٢
- ٣ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ، لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *^٣
- ٤ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فَوَادَكَ ..^٤
- ٥ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّهَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ..^٥
- ٦ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ، أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ *^٦
- ٧ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *^٧

١ - سورة يوسف (١٢) : ٣.

٢ - سورة طه (٢٠) : ٩٩.

٣ - سورة القصص (٢٨) : ٣.

٤ - سورة هود (١١) : ١٢٠.

٥ - سورة الاعراف (٧) : ١٠١.

٦ - سورة الانبياء (٢١) : ١٠٥.

٧ - سورة القصص (٢٨) : ٥.

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما روى عنه الامام علي بن أبي طالب : .. كتابُ الله، فيه بيانُ ما قبلكم من خبر، وخبرُ ما بعدكم^١..
- ٢ الامام علي «ع» : في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم^٢..
- ٣ الامام علي «ع» : ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي^٣..
- ٤ الامام الصادق «ع» : .. فيه خبرُ السماء، وخبرُ الارض، وخبر ما يكون، وخبر ما هو كائن، قال الله: «فيه تبيانُ كُلِّ شيء^٤»^٥.
- ٥ الامام الصادق «ع» : إن العزيزُ الجبار أنزل عليكم كتابه، وهو الصادقُ البارُّ، فيه خبرُكم، وخبرُ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وخبر السماء والارض، ولو أتاكم من يُخبركم عن ذلك لتعجبتم^٦.

١ - تفسير العياشي ١ / ٣.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٣٥ : عبده ٣ / ٢٢٨.

٣ - نهج البلاغة / ٤٩٩ : عبده ٢ / ٦٩.

٤ - اقتباس من الآية ٨٩، من سورة النحل (١٦) : «ونزلنا عليك الكتابَ تبيانا لكلِّ شيء...».

٥ - البحار ٩٢ / ٨٩، عن «بصائر الدرجات».

٦ - الكافي ٢ / ٥٩٩.

الفصل الثامن والعشرون

كتاب النقد والتصحيح

الكتاب

- ١ يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب..^١
- ٢ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ، لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ *^٢
- ٣ وما أنزلنا إليك الكتاب، إِلَّا لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *^٣
- ٤ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ *^٤

١ - سورة المائدة (٥) : ١٥.

٢ و ٣ - سورة النحل (١٦) : ٤٤ و ٤٤.

٤ - سورة النمل (٢٧) : ٧٦.

الفصلُ التاسعُ والعشرون

كتاب الاحكام والنظم الشاملة

الكتاب

- ١ .. تلك حدودُ اللهِ فلا تَعْتَدُوهَا، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * ١
- ٢ .. وتلك حدودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * ٢
- ٣ .. وتلك حدودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ .. ٣

* إِنَّ آيَاتِ الْأَحْكَامِ تَقْرُبُ مِنْ خَمْسِ مِثَّةِ آيَةٍ، رَاجِعْ
لتفصيلها: الكتَبَ المؤلِّفَةَ في فقهِ القرآنِ و آيَاتِ الاحكام. ولقد
جاءت في تَضَاعِيفِ هَذَا الكِتَابِ أَيْضاً عِدَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ.

الحديث

١ و ٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٢٩ - ٢٣٠.

٣ - سورة الطلاق (٦٥) : ١.

- ١ النبي «ص»: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَتَعَلَّمُوا غَرَائِبَهُ! وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ وُجُوهِ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحَكَّمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ. فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَدَعُوا الْحَرَامَ، وَاعْمَلُوا بِالْمُحَكَّمِ، وَدَعُوا الْمُتَشَابِهَ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: فالقرآن أمرٌ وزاجر، حُدِّ فِيهِ الْحُدُودُ، وَسُنَّ فِيهِ السُّنَنُ، وَضُرِبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ، وَشُرِّعَ فِيهِ الدِّينُ..^٢
- ٣ الامام الباقر «ع»: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَدْعُ شَيْئاً تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَّهُ لِرَسُولِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حِدّاً وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلاً يَدُلُّ عَلَيْهِ.^٣

١ - امالي الطوسي ١ / ٣٦٨.

٢ - تفسير العياشي ١ / ٧.

٣ - البحار ٩٢ / ٨٤، عن «بصائر الدرجات».

الفصلُ الثلاثون

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الكتاب

- ١ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *^١
- ٢ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..^٢
- ٣ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..^٣

* لقد عَقَدْنَا لِهَٰذِهِنِ الْأَمْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، بَاباً مُسْتَقِلاً يَأْتِي فِي

الاجزاء التَّالِيَةِ، ان شاء الله تعالى.

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٠٤.

٢ - سورة التوبة (٩) : ٧١.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ١١٠.

الفصلُ الحادي والثلاثون

كتاب التنمية والاقتصاد

الكتاب

- ١ ولقد مكنناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معاش..^١
- ٢ والارض مددناها وألقينا فيها رواسي، وانبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معاش..^٢
- ٣ هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه..^٣

* راجع بهذا الصدد: البابين، الحادي عشر والثاني عشر، في

الجزء الثالث من الكتاب وما بعده.

١ - سورة الاعراف (٧) : ٩.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ١٩ - ٢٠.

٣ - سورة الملك (٦٧) : ١٥.

الفصل الثاني والثلاثون

كتاب الاجتهاد والايجابية

الكتاب

- ١ وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بَاطِلًا ۗ ١
- ٢ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ۗ ٢
- ٣ .. فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ * ٣
- ٤ .. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ، يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ * ٤
- ٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * ٥
- ٦ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * ٦
- ٧ وما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ٧

١ - سورة ص (٣٨) : ٢٧.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٩١.

٣ - سورة غافر (٤٠) : ٧٨.

٤ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٧.

٥ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٣.

٦ - سورة الحجر (١٥) : ٣.

٧ - سورة الحجر (١٥) : ٨٥.

- ٨ وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *^١
- ٩ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى *^٢
- ١٠ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ، أَكَادُ أَخْفِيهَا، لِتُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - رُوي أَنَّ رجلاً جاء الى النبي، لِيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ، فانتَهى الى قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^٤، فقال: يكفيني هذا، وانصرف. فقال رسولُ الله: «انصرف الرجلُ وهو فقيه»^٥.

١ - سورة الذاريات (٥١) : ٥٦.

٢ - سورة النجم (٥٣) : ٣٩ - ٤٠.

٣ - سورة طه (٢٠) : ١٥.

٤ - سورة الزلزال (٩٩) : ٧ - ٨.

٥ - البحار ٩٢ / ١٠٧، عن «اسرار الصلاة».

الفصل الثالث والثلاثون

كتاب الطبيعة ومظاهر الحياة

الكتاب

- ١ والشَّمْسِ وَضُحَاهَا * والقَمَرِ إِذَا تَلَاها * والنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا *^١
- ٢ والضُّحَى * واللَّيْلِ إِذَا سَجَى *^٢
- ٣ والفَجْرِ * وليَالِ عَشْرِ * والشَّفَعِ وَالْوَتْرِ * واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ *^٣
- ٤ والسَّاءِ وَالطَّارِقِ * وما أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقِ * النُّجُومِ الثَّاقِبِ *^٤
- ٥ والسَّاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * واليَوْمِ الْمَوْعُودِ *^٥
- ٦ والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وهذا الْبَلَدِ الْأَمِينِ *^٦
- ٧ والعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فالمُورِيَاتِ قَدْحاً * فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً *^٧

١ - سورة الشَّمْسِ (٩١) : ١ - ٤.

٢ - سورة الضُّحَى (٩٣) : ١ - ٢.

٣ - سورة الفَجْرِ (٨٩) : ١ - ٤.

٤ - سورة الطَّارِقِ (٨٦) : ١ - ٣.

٥ - سورة الْبُرُوجِ (٨٥) : ١ - ٢.

٦ - سورة التِّينِ (٩٥) : ١ - ٣.

٧ - سورة الْعَادِيَاتِ (١٠٠) : ١ - ٣.

- ٨ فَلَأُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ * الْجَوَارِ الْكُنُوسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ *^١
- ٩ .. فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ ..^٢
- ١٠ .. وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *^٣

١ - سورة التَّكْوِيرِ (٨١) : ١٥ - ١٨.

٢ - سورة النَّعْلِ (٢٧) : ٦٠.

٣ - سورة ق (٥٠) : ٧.

الفصلُ الرَّابِعُ والثَّلَاثُونَ

كتابُ الباطنِ والملكوتِ

الكتاب

- ١ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟^١
- ٢ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^٢..
- ٣ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*^٣
- ٤ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا^٤..
- ٥ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ^٥..

الحديث

-
- ١ - سورة الاعراف (٧) : ١٨٥.
 - ٢ - سورة الانعام (٦) : ٧٥.
 - ٣ - سورة يس (٣٦) : ٨٣.
 - ٤ - سورة الشورى (٤٢) : ٥٢.
 - ٥ - سورة الرعد (١٣) : ٣١.

- ١ النبي «ص» : .. وله ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؛ فظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَباطنُهُ علمٌ؛ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، وَباطنُهُ عَمِيقٌ؛ لَهُ نُجُومٌ، وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ^١؛ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ؛ فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ^٢.
- ٢ النبي «ص» : أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَالتَّمَسُوا غَرَائِبَهُ ..^٣
- ٣ الامام علي «ع» : إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، وَباطنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتِ إِلَّا بِهِ^٤.
- ٤ الامام علي «ع» : .. هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَتَأْوِيلُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ؛ كَمَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ يُشْبِهُهُ، كَذَلِكَ لَا يُشْبِهُ فِعْلُهُ تَعَالَى شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ الْبَشَرِ، وَلا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ بِكَلَامِ الْبَشَرِ. فَكَلَامُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - صِفَتُهُ، وَكَلَامُ الْبَشَرِ أَعْمَالُهُمْ. فَلَا تُشَبِّهُ كَلَامَ اللَّهِ بِكَلَامِ الْبَشَرِ فَتَهْلِكُ وَتَضِلُّ^٥.
- ٥ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ .. حَتَّى تُوَصِّلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ عَجَائِبِهِ ..^٦
- ٦ الامام الحسين «ع» : كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ، وَالْإِشَارَةِ، وَاللِّطَائِفِ، وَالْحَقَائِقِ. فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ، وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ، وَاللِّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ^٧.

١ - في تفسير العياشي (١ / ٣) : «له تخومٌ، وعلى تخومه تخومٌ».

٢ - الكافي ٢ / ٥٩٩.

٣ - البحار ٩٢ / ١٠٦.

٤ - نهج البلاغة / ٧٥؛ عبده ١ / ٥١.

٥ - البحار ٩٢ / ١٠٧، عن كتاب «التوحيد».

٦ - الصحيفة السجادية / ٢٦٩ (الدعاء ٤٢).

٧ - البحار ٩٢ / ٢٠، عن «جامع الاخبار»، للصدوق.

- ٧ الامام الصادق «ع» : القرآن كله (ظاهره - ظ) تفرّيع، وباطنه تقريب.^١
- ٨ الامام الصادق «ع» : إنَّ للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاءَ ومنه ما لم يَجِئْ؛ فاذا وَقَعَ التأويلُ في زمانٍ امامٍ من الائمة عَرَفَهُ امامٌ ذلك الزمان.^٢

الفات نظر

هذه الآيات والأحاديث وامثالها، تُشيرُ الى طورٍ آخر من أطوار القرآن والى أبعاد القرآن الكريم من حيث خواصه الباطنية، واسراره الالهية المكنونة؛ فتدبرُ في آية «وَلَوْ أَنْ قَرَأْنَا ..» وآية «وكذلك أوحينا اليك روحاً ..» واضرابهما، ثم تدبرُ في كلام امير المؤمنين: «فكلامُ الله تعالى، صِفَتُهُ»، ثم انظرُ الى ما قاله الامام الرابع عليُّ بنُ الحسينِ السَّجاد: «حتى توصلَ الى قلوبنا فهمَ عجائبه». هذه كلها تُشيرُ الى ما هنالك من غرائب وعلومٍ وحقايق وقُدُراتٍ واسرار، تَعَلَّقُ ببواطنِ الكتابِ السماوي، وملكوتِ الآيات. ومن هذه الحقائق، مسائل مهمة تَعَلَّقُ بالبواطنِ القرآنية، من جهة الحروف والأسماء والكلمات، وما تحتها من غرائب وامكانات روحية، وقُدُراتٍ معنوية وتصرفاتِ الهية. وكان الشيخُ العالمُ الرباني، والحكيمُ الزاهد الالهي، والمتألهُ الكبير القرآني، الشيخ مجتبي القزويني الخراساني - رحمةُ الله عليه - يُشيرُ الى بعضها في بعض الاحيان. والعلماءُ بهذه الحقائق، لا يزيدون في بيانها على الاشارة حتى لا يَخْرُجوا من إطار ما اختاروه من الإلماح والاشارات.

١ - البحار ٩٢ / ٣٨٠.

٢ - البحار ٩٢ / ٩٧، عن «بصائر الدرجات».

الفصل الخامس والثلاثون

كتاب الفن والإبداع

الكتاب

- ١ .. وهذا لسان عربي مبين *^١
- ٢ إنا أنزلناه قرآناً عربياً، لعلكم تعقلون *^٢
- ٣ قرآناً عربياً غير ذي عوجٍ، لعلهم يتقون *^٣
- ٤ كتابٌ فصلت آياته، قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون *^٤
- ٥ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ..^٥
- ٦ كتابٌ أحكمت آياته، ثم فصلت، من لدن حكيمٍ خبير *^٦
- ٧ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس، على مكثٍ، ونزلناه تنزيلاً *^٧

١ - سورة النحل (١٦) : ١٠٣.

٢ - سورة يوسف (١٢) : ٢.

٣ - سورة الزمر (٣٩) : ٢٨.

٤ - سورة فصلت (٤١) : ٣.

٥ - سورة الشورى (٤٢) : ٧.

٦ - سورة هود (١١) : ١.

٧ - سورة الاسراء (١٧) : ١٠٦.

الحديث

- ١ النبي «ص» : .. ظاهره انيق، وباطنه عميق ..^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. إنَّ القرآنَ ظاهره انيق، وباطنه عميق ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : .. ارسله بكتابٍ فصله، وأحكّمه وأعزّه ..^٣
- ٤ الامام السّجاد «ع» : .. اللهم! فإذ أفدّتنا المعونة على تلاوته، وسهّلت جواسي السنتنا بحسن عبارته ..^٤

١ - الكافي ٢ / ٥٩٩.

٢ - نهج البلاغة / ٧٥؛ عبده ١ / ٥١.

٣ - تفسير العياشي ١ / ٧.

٤ - الصحيفة السجادية / ٢٦٦ (الدعاء ٤٢).

الفصل السادس والثلاثون

كتاب التّحدي والإعجاز

الكتاب

- ١ وإن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ..^١
- ٢ وما كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أم يقولون : افتراه؟ قُلْ : فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ..^٢
- ٣ أم يقولون : افتراه؟ قُلْ : فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ، مُفْتَرِيَاتٍ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *^٣
- ٤ أم يقولون : تَقَوَّلَهُ؟ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ *^٤
- ٥ قُلْ : لِيُنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، لَا يَأْتُونَ

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٣.

٢ - سورة يونس (١٠) : ٣٧ - ٣٨.

٣ - سورة هود (١١) : ١٣ - ١٤.

٤ - سورة الطور (٥٢) : ٣٣ - ٣٤.

بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً* ١

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» - في بيان قول النبي «ص»: «أُعْطِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»، قال: القرآن^٢.
- ٢ الامام الرضا «ع» - ذَكَرَ الرَّضَا يَوْمًا الْقُرْآنَ، فَعَظَّمَ الْحُجَّةَ فِيهِ، وَالآيَةَ وَالْمُعْجِزَةَ فِي نَظْمِهِ، قَالَ: هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى، وَطَرِيقَتُهُ الْمَثَلِيُّ^٣.

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٨٨.

٢ - امالي الطوسي ٢ / ٩٨ - ٩٩.

٣ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٣٠.

الفصل السابع والثلاثون

كتاب الخلود

الكتاب

- ١ قلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۗ
- ٢ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • وَأَخْرَجَ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ •
- ٣ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» : .. ولو أن الآية إذا نزلت في قومٍ ثم مات اولئك القوم ماتت

١ - سورة الانعام (٦) : ١٩ .

٢ - سورة الجمعة (٦٢) : ٢ - ٣ .

٣ - سورة سبأ (٣٤) : ٢٨ .

الآية، لما بقي من القرآن شيء؛ ولكن القرآن يجري أوله على آخره، ما دامت السماوات والارض. ولكل قوم آية يتلونها، هم منها، من خيرٍ اوشر..^١

٢ الامام الصادق «ع» : .. حتى جاء محمد «ص»، فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلّاه حلالاً الى يوم القيامة، وحرّاه حراماً الى يوم القيامة..^٢

٣ الامام الرضا «ع» - عن ابيه : أنّ رجلاً سأل ابا عبدالله «ع» : ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: إنّ الله - تبارك وتعالى - لم يجعله لزمان دون زمان، ولناسٍ دون ناس، فهو في كلّ زمانٍ جديدٌ، وعند كلّ قومٍ غضٌّ، الى يوم القيامة.^٣

٤ الامام الصادق «ع» : .. للقرآن تأويلٌ يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، فاذا جاء تأويلٌ شيءٍ منه وقع؛ فمنه ما قد جاء، ومنه ما يجيء.^٤

٥ الامام الرضا «ع» : .. هو حبلُ الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنة، والمنجّي من النار، لا يُخلَقُ على الازمنة، ولا يَفْتُ على الألسنة، لأنّه لم يُجعل لزمانٍ دون زمان، بل جعل دليلَ البرهان، والحجّة على كلّ انسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد.^٥

١ - تفسير العياشي ١ / ١٠.

٢ - الكافي ٢ / ١٧ - ١٨.

٣ - البحار ٢ / ٢٨٠، عن «علل الشرائع».

٤ - الغيبة، للنعماني / ١٣٤.

٥ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٣٠.

الفصلُ الثامن والثلاثون

كلمة جامعة عن القرآن

الكتاب

١ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين * ١

الحديث

١ النبي «ص»: إن هذا القرآن، هو النورُ المبين، والحبلُ المتين، والعروةُ الوثقى؛ مَنْ استضاء به نورهُ الله. ومن عقَد به اموره عصمه الله. ومن تمسك به أنقذه الله. ومن لم يفارق احكامه رَفَعَهُ اللهُ. وَمَنِ اسْتَشْفَى بِهِ شَفَاهُ اللهُ. ومن آثره على ما سواه هداهُ اللهُ. ومن طلب الهدى في غيره أضله اللهُ. ومن جعله شعاره ودثاره اسعدهُ اللهُ. ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومُعوَّلُهُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ، آوَاهُ اللهُ إِلَى جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ؛ فَلذَلِكَ قَالَ:

١ - سورة البقرة (٢) : ١ - ٢.

الفصل الثامن والثلاثون: كلمة جامعة عن القرآن

«وهُدَى» يعني: هذا القرآن هُدَى؛ و«بُشِرَى للمؤمنين»،^١ يعني: بشارة لهم في الآخرة.^٢

٢ الامام علي «ع»: .. ثم أنزل عليه (النبي) الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقُّده، وبحراً لا يُدرِك قعرُه، ومنهاجاً لا يُضِلُّ نهجُه، وشعاعاً لا يُظلمُ ضوؤه، وفرقاناً لا يُخمدُ برهانه، وتبياناً لا تُهدمُ اركانه، وشفاءً لا تُخشي أسقامه، وعزاً لا تُهزمُ انصاره، وحقاً لا تُخذلُ أعوانه؛ فهو معدنُ الايمان وُبُحوحته، وينابيعُ العلم وُبُحوره، ورياضُ العدل وُعُذرانه، وأثافيُّ الاسلام وبنياه، وأوديةُ الحق وغيطانه، وبحرٌ لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا يُنضبها الماتحون، ومناهل لا يُغيضها الواردون، ومنازل لا يضلُّ نهجها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السائرون، وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون.. وحبلاً وثيقاً عروته، ومَعْقِلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاّه، وسِلماً لمن دخله، وهُدَى لمن ائتمَّ به، وُعُذراً لمن انتحلّه، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمّله، ومَطِيَّةً لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجُنَّةً لمن استلّام، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى..^٣

٣ السيِّدة فاطمة «ع» - من خطبتها الشهيرة: أنتم عبادَ الله! نُصِبُ امره ونهيه، وحملةُ دينه ووحيه، وأمناءُ الله على انفسِكُم، وبلغاؤه الى الأمم، زعيمٌ حقٍ له فيكم، وعهدٌ قدّمه اليكم، وبقيةٌ استخلفها عليكم: كتابُ الله الناطق، والقرآن الصادق، والنورُ الساطع، والضياءُ اللامع، بينةٌ بصائرُه، منكشفةٌ

١ - سورة البقرة (٢): ٩٧.

٢ - البحار ٩٢ / ٣٢، عن «تفسير الامام العسكري».

٣ - نهج البلاغة / ٦٤١ - ٦٤٢؛ عبده ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٤.

سرائره، منجلیةً ظواهره، مُغْتَبَطَةٌ به اشیاعه، قائد الى الرضوانِ اتِّباعه، مُؤَدِّ
الى النجاة استماعه؛ به تُنالُ حججُ الله المُنَوَّرَة، وعزائمُه المفسَّرة،
ومحارمه المحذَّرة، وبيِّناته الجالیه، وبراهينه الكافية، وفصائلُه المندوبة،
ورُخَصُه الموهوبة، وشرائعهُ المكتوبة ..١

الفصلُ التاسع والثلاثون

حرمة القرآن

أ - فضل القرآن وعظمته

الكتاب

- ١ ولو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ ، لرأيتَه خاشعاً متصدّعاً من خشيةِ الله ..^١
- ٢ ولو أن قرآنًا سُيرتُ به الجبال، أو قُطِّعتْ به الأرض، أو كُلمَ به الموتى، بل لله الأمرُ جميعاً..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: فضلُ القرآن على سائر الكلام، كفضلِ الله على خلقه.^٣

١ - سورة الحشر (٥٩) : ٢١ .

٢ - سورة الرعد (١٣) : ٣١ .

٣ - البحار ٩٢ / ١٩ ، عن «جامع الاخبار» .

- ٢ النبي «ص»: القرآن أفضل كل شيء دون الله؛ فمن قرأ القرآن، فقد قرأ الله، ومن لم يقرأ القرآن، فقد استخف بحرمة الله ..^١
- ٣ النبي «ص»: من أعطاه الله القرآن، فرأى أن احداً أعطي شيئاً أفضل مما أُعطي، فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً.^٢

ب - حافظ القرآن

- ١ النبي «ص»: عددُ درجِ الجنة عددُ آيِ القرآن؛ فاذا دخل صاحبُ القرآن الجنة قيل له: إرقاً وقرأ، لكل آيةٍ درجة؛ فلاتكون فوقَ حافظِ القرآن درجةً.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع»: الحافظُ للقرآن، العاملُ به، مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البررة.^٤

ج - حامل القرآن

- ١ النبي «ص»: حَمَلَةُ القرآن، هُمُ المَحْفُوفُونَ بِرَحْمَةِ اللهِ، الملبسون نورَ الله عزَّ وجل. يا حَمَلَةَ القرآن! تحببوا الى الله بتوقير كتابه، يزدكم حُباً ويحببكم الى خلقه.^٥
- ٢ النبي «ص»: اشرفُ امتي حَمَلَةُ القرآن، واصحابُ الليل.^٦

١ - البحار ٩٢ / ١٩، عن «جامع الاخبار».

٢ الكافي ٢ / ٦٠٥.

٣ - البحار ٩٢ / ٢٢، عن كتاب «الامامة والتبصرة».

٤ - امالي الصدوق / ٥٣.

٥ - البحار ٩٢ / ١٧، عن «جامع الاخبار»

٦ - امالي الصدوق / ٢٠٧.

٣ النبي «ص» : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْتَخَشُّعِ، فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، لِحَامِلِ الْقُرْآنِ.
وَأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ، فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لِحَامِلِ الْقُرْآنِ.^١

د - تالي القرآن

١ النبي «ص» : ولتالي آيةٍ من كتاب الله، خيرٌ من تحت العرش الى تخوم
السُّفلى.^٢

٢ النبي «ص» : .. يُدْفَعُ عَنْ تَالِي الْقُرْآنِ بِلَوَى الْآخِرَةِ.^٣

٣ النبي «ص» : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ : صَوْتِ الدَّيْكَ، وَصَوْتِ
قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَصَوْتِ الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ.^٤

٤ النبي «ص» : يَا سَلْمَانَ! عَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ قِرَاءَتَهُ كِفَارَةٌ لِلذُّنُوبِ،
وَسِتْرٌ فِي النَّارِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ .. إِنْ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ نَظَرَ اللَّهُ
إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ ..^٥

٥ النبي «ص» : يَا سَلْمَانَ! الْمُؤْمِنُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبْوَابَ
الرَّحْمَةِ .. وَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.
وَإِنَّ أَكْرَمَ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ - بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ - الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ؛ يَخْرُجُونَ
مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَخْرُجُ الْأَنْبِيَاءُ، وَيُحْشَرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَمْرُونَ
عَلَى الصَّرَاطِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَأْخُذُونَ ثَوَابَ الْأَنْبِيَاءِ. فَطُوبَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ،

١ - الكافي ٢ / ٦٠٤.

٢ و ٣ - البحار ٩٢ / ١٩، عن «جامع الاخبار».

٤ - المستدرک ٢ / ٣٥١.

٥ - البحار ٩٢ / ١٧ - ١٨، عن «جامع الاخبار».

وحامل القرآن، مما لهم عند الله من الكرامة والشرف.^١

٦ الامام علي «ع»: لِيَكُنْ كُلُّ كَلَامِكُمْ ذَكَرَ اللهُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ
الله «ص» سُئِلَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَأَنْتَ
تَمُوتُ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».^٢

هـ - مستمع القرآن

١ الامام علي «ع»: مَنْ اسْتَمَعَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَبِيرٍ ذَهَبًا (وثبير، اسمُ
جبلٍ عظيم باليمن).^٣

٢ الامام الصادق «ع»: مَنْ اسْتَمَعَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ، كَتَبَ اللهُ
لَهُ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً.^٤

و- فضل قراءة القرآن في الصلاة

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين : قراءة القرآن في الصلاة،
أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة؛ وقراءة القرآن في غير الصلاة
أفضل من ذكر الله تعالى؛ وذكر الله تعالى أفضل من الصدقة؛ والصدقة
أفضل من الصيام؛ والصيام جنة من النار.^٥

١ - البحار ٩٢ / ١٨ - ١٩، عن «جامع الاخبار».

٢ و ٣ - البحار ٩٢ / ٢٠، عن «جامع الاخبار».

٤ - عدة الداعي / ٢٧٠.

٥ - البحار ٩٢ / ٢٠، عن «جامع الاخبار».

الفصل التاسع والثلاثون : حرمة القرآن

٢ الامام الباقر «ع» : مَنْ قَرَأَ فِي الْفَرِيضَةِ سُورَةَ «الْمُدَّثِّرِ»، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَجْعَلَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ «ص» فِي دَرَجَتِهِ؛ وَلَا يَدْرِكُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَقَاءٌ أَبَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ١.

٣ الامام الصادق «ع» : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ «الْمُزَّمِّلِ» فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، أَوْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، كَانَ لَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ شَاهِدَيْنِ مَعَ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ، وَأَحْيَاهُ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَأَمَاتَهُ مَيِّتَةً طَيِّبَةً ٢.

٤ الامام الصادق «ع» : إِقْرَأُوا سُورَةَ «الْفَجْرِ» فِي فَرَاثِكُمْ وَنَوَا فَلَإِيكُمْ، فَإِنَّهَا سُورَةُ الْحُسَيْنِ «ع»، وَارْغَبُوا فِيهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ! فَقَالَ لَهُ أَبُو أُسَامَةَ - وَكَانَ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ - : كَيْفَ صَارَتْ هَذِهِ السُّورَةُ لِلْحُسَيْنِ «ع» خَاصَّةً؟ فَقَالَ : أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * إِرْجِعِي ..»، إِنَّمَا يَعْنِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - فَهُوَ ذَا النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ .. فَمَنْ أَدْمَنَ قِرَاءَةَ الْفَجْرِ كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ «ع» فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣.

١ - مجمع البيان ١٠ / ٣٨٣ .

٢ - نواب الأعمال / ١٤٨ : مجمع البيان ١٠ / ٣٧٥ .

٣ - نواب الأعمال / ١٥٠ : مجمع البيان ١٠ / ٤٨١ : سفينة البحار ٢ / ٣٤٤ .

الفصلُ الأربعون

تعليم القرآن وتدارسه

الكتاب

١ .. كُونُوا رَبَّانِيِّينَ، بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: إن أردتُم عيشَ السُّعداءِ، وموتَ الشهداءِ، والنجاةَ يومَ الحسرةِ، والظِّلَّ يومَ الحرورِ، والهُدَى يومَ الضلالةِ، فادرسوا القرآنَ، فإنَّه كلامُ الرَّحمانِ، وجرزٌ من الشيطانِ، ورُجحانٌ في الميزان. ٢

٢ النبي «ص»: خيارُكم من تعلَّم القرآنَ وعَلَّمَه. ٣

٣ الامام الصادق «ع»: يَنْبَغِي للمؤمن أن لا يموتَ حتَّى يتعلَّم القرآنَ، أو يكونَ

١ - سورة آل عمران (٣): ٧٩.

٢ - البحار ٩٢ / ١٩، عن «جامع الاخبار».

٣ - الوسائل ٤ / ٨٢٥.

في تعلّمه^١.

الفات نظر

من أهمّ الوظائف الإسلامية، بعد تعلّم القرآن ودرسه، فقه القرآن وفهمه، والاستظهار به، ووعيه، والعمل بحلاله والوقوف عند حرامه؛ وتصديقه لا تأويله، وأخذ المعارف التوحيدية منه، لا من غيره، ولا منه ومن غيره، بصورة الالتقاط والتأويل - كما جاء فيما مرّ من الآيات والأحاديث، وفيما يأتي .

- ٤ النبي «ص» - من وصيته لمعاذ بن جبل، لما بعثه الى اليمن: يا معاذ! علّمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة .. وأوصيك بتقوى الله .. والفقه في القرآن.^٢
- ٥ الامام علي «ع»: من استظهر القرآن، وحفظه، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله به الجنة ..^٣
- ٦ الامام علي «ع»: اقرأوا القرآن واستظهِروه، فإن الله تعالى لا يُعذب قلباً وعى القرآن.^٤

١ - عُدّة الداعي / ٢٦٩.

٢ - تحف العقول / ٢٥ - ٢٦.

٣ و ٤ - البحار ٩٢ / ١٩ - ٢٠، عن «جامع الاخبار».

الفصلُ الحادي والأربعون

كيفية قراءة القرآن

أ- الأدب الظاهري للقراءة

الكتاب

- ١ .. وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *^١
- ٢ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: إقرأوا القرآن بألحان العرب واصواتها، وإياكم ولُحونِ اهلِ الفسقِ واهلِ الكبائر! فإنه سيَجِيءُ من بعدي اقوامٌ يُرَجِّعون القرآنَ ترجيحَ الغنا والنوحِ والرهبانية، لا يجوز تراقبهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوبُ من يُعجبهُ

١ - سورة المزمل (٧٣) : ٤.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ٢٠٤.

- شأنهم^١
- ٢ النبي «ص» : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ الصَّوْتُ الْحَسَنُ.^٢
- ٣ النبي «ص» : حَسَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ! فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع» - في قوله تعالى: «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» قال: هو أن تَتَمَكَّتَ فِيهِ، وَتُحَسِّنَ بِهِ صَوْتَكَ.^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» : إِذَا قُرِئَ عِنْدَكَ الْقُرْآنُ، وَجَبَ عَلَيْكَ الْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : لَا يَقْرَأُ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ طَهْوَرٍ، حَتَّى يَتَطَهَّرَ.^٦
- ٧ الامام الصادق «ع» - اسحاق بن عمار قال: قلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي أَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي، فَأَقْرَأُهُ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي أَفْضَلُ أَوْ أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ؟ فَقَالَ: «بَلِ اقْرَأْهُ وَأَنْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ، فَهُوَ أَفْضَلُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّظْرَ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ؟».^٧
- ٨ النبي «ص» : النَّظْرُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ عِبَادَةٌ، النَّظْرُ فِي وَجْهِ الْوَالِدِينَ، وَفِي الْمُصْحَفِ، وَفِي الْبَحْرِ.^٨
- ٩ الامام الصادق «ع» : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : نَظَّفُوا طَرِيقَ الْقُرْآنِ! قِيلَ :

١ - الوسائل ٤ / ٨٥٨.

٢ و ٣ - الوسائل ٤ / ٨٥٩.

٤ و ٥ - الوسائل ٤ / ٨٥٦ و ٨٦١.

٦ و ٧ - الوسائل ٤ / ٨٤٨ و ٨٥٤.

٨ - البحار ١٠ / ٣٦٨.

يا رسول الله! وما طريقُ القرآن؟ قال: «أفواهُكم». قيل: بماذا؟ قال:
«بالسَّواك»^١.

١٠ الامام الرضا «ع» - عن آبائه: قال رسول الله: «افواهُكم طُرُقُ مِنْ طُرُقِ رَبِّكُمْ،
فَنَظَّفُوهَا»^٢.

* وجاء في الاحاديث:

ان الامام عليّ بن الحسين زين العابدين «ع» كان احسنَ
الناس صوتاً بالقرآن. وكان يرفعُ صوتَه حتى يسمعهُ اهلُ الدار، وكان
السقاؤون يَمْرُون فيقفون ببابه يستمعون قراءته.
وان الامام ابا جعفر الباقر «ع» كان احسنَ الناس صوتاً
بالقرآن. وكان اذا قام من الليل وقرأ، رفعَ صوتَه، فيمرُّ به مارُّ الطريقِ
من الساقين وغيرهم، فيقومون فيستمعون الى قراءته^٣.

ب - الأدب الباطني للقراءة

الكتاب

١ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته، اولئك يؤمنون به ..^٤

١ - البحار ٧٦ / ١٣١، عن «المحاسن».

٢ - البحار ٧٦ / ١٣٠، عن «صحيفة الرضا».

٣ - الوسائل ٤ / ٨٥٨ - ٨٥٩.

٤ - سورة البقرة (٢): ١٢١.

٢ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، كِتَابًا مُمْتَشِبًا، مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ..^١

الحديث

١ الامام الصادق «ع» - كان اذا قرأ القرآن قال قبل ان يقرأ، حين يأخذ المصحف: اللهم! اني أشهد أن هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك، محمد بن عبدالله، وكلامك الناطق على لسان نبيك، جعلته هادياً منك الى خلقك، وحبلاً متصلاً فيما بينك وبين عبادك.

اللهم! اني نشرتُ عهدك وكتابك، اللهم! فاجعل نظري فيه عبادةً، وقراءتي فيه فكراً، وفكري فيه اعتباراً؛ واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه، واجتنب معاصيك! ولا تطبع عند قراءتي علي سمعي! ولا تجعل علي بصري غشاوة! ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها، بل اجعلني اتدبر آياته وأحكامه، آخذاً بشرائع دينك! ولا تجعل نظري فيه غفلةً، ولا قراءتي هذراً؛ انك انت الرؤوف الرحيم.^٢

٢ الامام الصادق «ع» : من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه، ولا يكتسي حُزناً ووجلاً في سره، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى .. فانظر كيف تقرأ كتاب ربك، ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل

١ - سورة الزمر (٣٩) : ٢٣.

٢ - البحار ٩٢ / ٢٠٧، عن كتاب «مصباح الانوار». وقد جاء هذا الحديث في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد (ص ١٣٦) مع تغيير في بعض الالفاظ. ولقد مر في الفصل العشرين، عن «البحار» (٩٨ / ٥) عن كتاب «الاقبال».

حدوده .. وَقِفْ عِنْدَ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَتَفَكَّرْ فِي أَمْثَالِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَاحْذَرِ أَنْ تَقَعَ مِنْ أَقَامَتِكَ حُرُوفَهُ، فِي إِضَاعَةِ حُدُودِهِ.^١

٣ الامام السجاد «ع»: آياتُ القرآنِ خزائن، فكلُّما فَتَحْتَ خِزانَةَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا.^٢

ج - القراءة التنبهية

١ النبي «ص»: من جعله (القرآن) إمامه، قاده الى الجنة .. ودليل على المعروف لمن عرفه.^٣

٢ الامام علي «ع»: .. قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلُّ حيث حلَّ ثقله، وينزل حيث كان منزله.^٤

٣ الامام علي «ع»: .. إنه ما توجه العباد الى الله بمثله. واعلموا! أنه شافعٌ ومُشفعٌ، وقائلٌ ومصدقٌ؛ وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فانه يُنادي منادٍ يوم القيامة: «ألا إن كلَّ حارثٍ مُبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثه القرآن»؛ فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم.^٥

١ - البحار ٨٥ / ٤٣.

٢ - الوسائل ٤ / ٨٤٩.

٣ - تفسير العياشي ١ / ٢ - ٣.

٤ - نهج البلاغة / ٢١١؛ عبده ١ / ١٥٢ - ١٥٢.

٥ - نهج البلاغة / ٥٦٧؛ عبده ٢ / ١١١ - ١١٢.

د- القراءة الاستذكارية

- ١ الامام علي «ع» - روى عبدالله بن سليمان، عن الامام الصادق، في بيان قوله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلاً» قال: قال أمير المؤمنين «ع»: «بَيْنَهُ تَبْيَانًا وَلَا تَهْذَهُ هَذَا الشَّعْرُ، وَلَا تَنْتُرُهُ نَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَكِنْ اقْرَعُوا بِهِ قُلُوبَكُمْ الْقَاسِيَةَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ...»^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْحُزْنِ فَأَقْرَأُوهُ بِالْحُزْنِ»^٢.

* جاء في الاحاديث، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص قال: ما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر «ع» ولا أرجى منه. وكانت قراءته حزناً، فاذا قرأ فكأنه يُخاطبُ انساناً.^٣

الفات نظر

لعلَّ المقصودَ بهذا الحزن والهمَّ، الذي ورد في هذا الحديث وفي احاديث أخرى، حتى قالوا: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْحُزْنِ فَأَقْرَأُوهُ بِالْحُزْنِ»، هو ذلك الحزن العميق والهمُّ المتأصلُ في أعماق النفس البشرية، على أثر انفصاله عن عالمِ الطُّهرِ الإلهيِّ الأزليِّ .
فعلى الانسان أن يُحييَ هذا الحزن في اعماق ذاته باستمرار، لِيَتَوَفَّرَ عَلَى رُوحٍ تَفْهَمُ مَعْنَى الْمُعَانَاةِ، وَقَلْبٍ قَلْبَتُهُ الْهُمُومُ الْكِبَارُ فَصَارَ كَذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ وَاَعْيَاءً - عَلَى الدَّوَامِ - لِانْفِصَالِ ذَاتِهِ عَنِ عَالَمِ الطُّهْرِ، وَمُدْرِكاً - بِاسْتِمْرَارٍ - لِحَجْمِ الْهَجْرَانِ الْكَبِيرِ، فَيَتَرَقَّبُ

زمن الوصال، وَيُجْهَدُ نَفْسَهُ لِمَنَالِهِ، وَيَطْوِي سَبِيلَ الْقَرَبِ مِنَ الْكَمَالِ
 الْأَعْلَى بِوِاسْطَةِ السَّيْرِ الرَّوْحِيِّ وَالسُّلُوكِ الْقَلْبِيِّ .
 وَإِنَّ هَذَا الْحُزْنَ الرَّوْحِيَّ السَّامِيَّ إِذَا خَبَتْ نَارُهُ فِي الْقَلْبِ
 وَأَنْطَفَأَتْ، يَذْهَلُ الْإِنْسَانُ عَنِ السَّبَبِ الْأَصِيلِ لِهَذَا الْحُزْنِ (وما هو
 إلا الانفصالُ عن جوار العالمِ الأبديِّ والابتعادُ عن قرب الكمالِ
 الدِّيومي). وإذا ذَهَلَ سَبَبُهُ وَمَنْشَأُهُ، لَا يَسْعَى لِسُلُوكٍ أَوْ مَجَاهِدَةٍ، فَيَخْلُو
 الْقَلْبُ مِنَ التَّوَلُّهِ وَالشَّوْقِ الْحَقِيقِيِّ، وَيَصِيرُ مُحْرُومًا مِنْ تَجَرُّعِ
 كَأْسِ الْحَبِّ (وهلَّ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحَبُّ ..) ١ الَّذِي تَنْتَشِي بِهِ
 الْإِكْوَانُ وَالْعَوَالِمُ وَالْأَشْيَاءُ عَلَى الدَّوَامِ (وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبَّحُ
 بِحَمْدِهِ). ٢.

ويُضْحِي الْإِنْسَانُ فِي حَالَةِ السَّلْبِ غَرِيبًا عَنْ ادْرَاكِ الْمِ الْبَيْنِ
 وَالْهَجْرَانِ، فَلَا يَجِدُ دَافِعًا لَطَلْبِ الْوَصْلِ وَالْقَرَبِ، فَلَا يَجِدُ لَطِيًّا
 طَرِيقًا أَوْ التَّمَاسَ فَيُضِ عُنَايَةً؛ وَهَذَا يُسَاوِقُ بَطْلَانَ وَجُودِ الْإِنْسَانِ
 وَحَيَاتِهِ، فَيَجْرُهُ إِلَى الْخُسْرَانِ الْمَبِينِ.

نعم، إِنَّ ذَلِكَ الْحُزْنَ الْبَاطِنِيَّ الْعَمِيقَ، هُوَ لَازِمٌ وَجُودِ الْإِنْسَانِ
 النَّابِهِ الْعَاقِلِ فِي التَّوْحِيدِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ : «.. تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَيْهِ» ٣.

وإذا آَلَفَ الْإِنْسَانُ هَذَا الْحُزْنَ وَعَرَفَهُ وَفَهِمَ مَنْشَأَهُ، وَاخْتَلَى مَعَ
 ذَاتِهِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، وَتَأَمَّلَ مَا يَكُمُنُ فِي أَعْمَاقِهِ مِنْ حُزْنٍ، فَلَمَسَ
 «الْهَجْرَانَ الْكَبِيرَ»، يُشْمَرُ عَنْ سَاعِدِيهِ لِلْخُلَاصِ مِنْ عَذَابِ هَذَا
 الْهَجْرَانِ، وَلِسُلُوكِ طَرِيقٍ يُنْقِذُهُ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَحْظِي بِمَرَاتِبٍ مِنْ

١ - الكافي ٢ / ١٢٥ - من حديث الإمام الصادق «ع».

٢ - سورة الاسراء (١٧) : ٤٤.

٣ - نهج البلاغة / ٢١٠ : عبده ١ / ١٥٠.

الفصل الحادي والأربعون : كيفية قراءة القرآن

الوصل، ويتصل بالسرور الابدی والطمانينة الروحية الدائمة التي لازوال لها، والحضور في ساحة «الوجود الخالص»، يعني المقام الذي لا يوجد فيه اثر لنقصٍ او حزنٍ او همٍّ او خوفٍ (الآ! إن اولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) .

وإن الآيات القرآنية - وخصوصاً الآي التي لها مناسبة قوية للموضوع المذكور من جهة المضامين - إذا تلت برقة وشوق، وقرئت بالحزن والاستذكار، وكُررت على مهلٍ ومكث، تُوثر اثرًا كبيراً عميقاً في ايجاد الشوق الروحي وتوهج السر، وتُشعل نار ذلك الهم السامي، وتخلق بروح الانسان إلى أجواء الواقع الفسيح وعالم النور والحياة الحقيقيين؛ ولذلك يقول معلم القرآن الأكبر، الإمام جعفر الصادق «ع»: «.. فأقرأوه بالحزن» .

وجاء في وصايا النبي «ص» لأبي ذر قوله: «يا اباذر! من استطاع أن يبكي فليبك . ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن و ليتباك . إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى، ولكن لا يشعرون»^١ وهذا التعليم يرشد الى فلسفة الحزن القلبي وأنه يوجب القرب، كما أن القسوة القلبية توجب البعد .

ومن تعاليم الامام الباقر «ع» قوله هذا: «استجلب نور القلب بدوام الحزن»^٢ . وهذا التعليم يشير الى الحزن المقصود .

ويقول الامام علي بن ابي طالب «ع»، في مواصفات المتقين: «.. أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ..»^٣ .

١ - مكارم الأخلاق / ٥٢٣ .

٢ - تحف العقول / ٢٠٧ .

٣ - نهج البلاغة ٦١٢؛ عبده ٢ / ١٨٦ .

وهذا التحزينُ الذي ورد في كلامه «ع»، هو ما يُتاحُ عند ترتيلِ آياتِ الكتابِ السماويِّ، خصوصاً لمن يَنصَهُرُ بنورانيَّةِ الآياتِ، فيقرأها كأنها تُنزلُ عليه . ومن ساعده التَّوفيقُ فاتَّصلَ بملكوتِ الآياتِ فهو أرقى، حيث يُصبحُ «قرآنُ الفجرِ» عنده مشهوداً.^١

وفي تركِ العطفِ الواقعِ في كلامه «ع»، عند قوله : «يُحزَنون ..»، نكتةٌ بلاغيَّةٌ هامَّةٌ، وهي أنَّ ترتيلَهُم هو تحزينُ أنفسهم وتنويرُ قلوبِهِم عيناً.

ولقد أشارَ الامامُ الصَّادقُ في حديثٍ آخر، الى أنَّ حُسنَ قراءةِ القرآنِ وتلاوتهِ أن يكونَ معها «.. اللينُ والرقةُ والدِّمعةُ والوجلُّ»^٢.
وَمِن المُلَاخِطِ أَنَّ هذا الحزنَ هو حزنٌ روحيٌّ قلبيٌّ وامرٌ باطنيٌّ - كما عبَّرنا عنه - فينبغي أن لا تَظْهَرَ آثارُه على الوجهِ والملامحِ، فالجديرُ أن يكونَ كما قال اميرُ المؤمنين «ع»: «العارفُ وَجْهُهُ مُسْتَبْشِرٌ وَقَلْبُهُ وَجِلٌّ محزونٌ»^٣.
ومن المناسبِ أن يُسمَّى الحزنُ المبحوثُ عنه بـ«الحُزنِ الرَّوحانيِّ».

١ - ليست هذه الإشارةُ مجردَ كلامٍ، بل هي مرحلةٌ فعليَّةٌ وتجربةٌ روحيَّةٌ باطنيَّة، حيث وَصَلَ إليها، الذي اسْتَسْهَلَ مشاقَّها وأعرَضَ عما يُعيقُ منها، فأعدَّ نفسه لها بما يلزمُها (من كسبِ المعارفِ الحقيَّةِ القرآنيَّةِ الخالصة، ومتابعةِ المراقباتِ والعباداتِ والرياضاتِ الشرعيَّة)؛ وكان الشَّيخُ مجتبي القزوينيُّ الخراسانيُّ من نماذجِ هؤلاء. وكان يحكي بعضَ ما وَقَعَ له منها أحياناً، عند ما يرى الإلماحَ إلى بعضِ ذلك ناجعاً.

٢ - سفينة البحار ٢ / ٤٢٢ .

٣ - غرر الحكم / ٥١ . راجع لفوائد أخرى عن الحزنِ ذلك : «سفينة البحار» ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩ . وقد جمع الكلامُ عن «الحزن»، شيخنا الدِّلمي، في «إرشاد القلوب»، فراجع : الباب ٣١ منه .

الفصل الثاني والأربعون

آثار قراءة القرآن

الكتاب

- ١ .. واذا تُلِّيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *^١
- ٢ .. إِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: نَوَّرُوا بِيوتِكُمْ بتلاوة القرآن! .. فَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا كَثُرَ فِيهِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، كَثُرَ خَيْرُهُ، وَأَمْتَعَ أَهْلَهُ، وَأَضَاءَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَضِيءُ نَجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا.^٣
- ٢ النبي «ص»: لَا يُعَذَّبُ اللَّهُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنِ.^٤

١ - سورة الانفال (٨) : ٢.

٢ - سورة مريم (١٩) : ٥٨.

٣ - عُدَّة الدَّاعِي / ٢٦٨ - ٢٦٩.

٤ - امالي الطوسي ١ / ٦.

- ٣ الامام علي «ع» : البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكرُ الله عز وجل فيه تكثُرُ بركتُه، وتَحضُرُه الملائكة وتهجُرُه الشياطين، ويضيءُ لأهلِ السماء كما تضيءُ الكواكبُ لأهلِ الارض ..^١
- ٤ الامام علي «ع» : إقرأوا القرآنَ واستظهِروه! فإنَّ الله تعالى لا يُعذِّبُ قلباً وَعَى القرآن.^٢
- ٥ الامام علي «ع» - فيمن لا يَهْلِكُ الناسُ لِحُرمتهم: .. والولدانِ يتعلَّمون القرآن.^٣
- ٦ الامام الباقر «ع» : .. ورجلٌ قرأ القرآن، فوضع دواءً القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه؛ فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وبأولئك يُدبِّلُ اللهُ عز وجل مِنَ الأعداءِ، وبأولئك يُنزلُ اللهُ عز وجل الغيثَ من السماء؛ فوالله لهؤلاء في قراء القرآن أعزُّ من الكبريت الأحمر.^٤
- ٧ الامام الصادق «ع» : من قرأ القرآن وهو شابٌّ مؤمن، اختلط القرآن بِلحمه ودَمِه، وجعله اللهُ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البرِّرة، وكان القرآن حَجِيزاً عنه يومَ القيامة.^٥
- ٨ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الإمام الصادق : اغتَنِمُوا الدُّعاءَ عندَ خمسٍ : عندَ قراءة القرآن، وعندَ الأذان، وعندَ نزولِ الغيث، وعندَ التقاءِ الصَّفِّينِ للشَّهادة، وعندَ دعوةِ المظلوم، ليس لها حجابٌ دونَ العرش.^٦

١ - الكافي ٢ / ٦١٠.

٢ - البحار ٩٢ / ١٩، عن «جامع الاخبار».

٣ - علل الشرايع / ٥٢١.

٤ - الكافي ٢ / ٦٢٧.

٥ - ثواب الاعمال / ١٢٦.

٦ - امالي الصدوق / ٢٣٤.

الفصل الثالث والأربعون

إقامة الحروف وإضاعة الحدود

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. وإِنَّ سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله. وليس عند أهل ذلك الزمان سلعةٌ أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرِّفَ عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر.^١

٢ الامام علي «ع» : .. فالكتابُ وأهلُه في ذلك الزمان في الناس وليسافيهم، ومعهم وليسامعهم، لأنَّ الضلالة لا توافق الهدى وان اجتماعا. فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم! فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره..^٢

٣ الامام الباقر «ع» : قُرَأَ القرآن ثلاثة: رجلٌ قرأ القرآن فاتَّخَذَهُ بضاعةً، واستجربَه الملوك، واستطال على الناس. ورجلٌ قرأ القرآن فحَفِظَ

١ و ٢ - نهج البلاغة / ٤٤٧ - ٤٤٨: عبده ٢ / ٤١ - ٤٢.

حروفه، وَضِعَ حدوده. ورجل قرأ القرآن ووضع دواء القرآن على داء قلبه ..^١

٤ الامام الصادق «ع» : .. واحذر أن تقع من اقامتك حروفه، في اضاءة حدوده.^٢

٥ الامام الصادق «ع» : القراء ثلاثة: قارئ القرآن قرأ القرآن لِيَسْتَدِرَّ به الملوك، وَيَسْتَطِيل به على الناس، فذلك من اهل النار. وقارئ قرأ القرآن فَحَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَعَّ حُدُودَهُ، فذلك من اهل النار. وقارئ قرأ القرآن فاستتر به تحت بُرْنِسِهِ، فهو يعمل بِمُحْكِمِهِ ومتشابهه، وَيُقِيمُ فرائضه، وَيُحِلُّ حلاله، وَيُحَرِّمُ حرامه، فهذا ممن يُنْقِذُهُ اللهُ من مُضِلَّاتِ الفتن، وهو من اهل الجنة، وَيَشْفَعُ فيمن يَشَاءُ.^٣

٦ الامام الجواد «ع» : .. فَأَعْرِفْ أشباهَ الأُحْبَارِ والرُّهْبَانَ، الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. ثم اعرف أشباههم من هذه الأمة، الذين اقاموا حروف الكتاب وحرّفوا حدوده، فهم مع السّادة والكبيرة^٤، فاذا تفرقت قادة الأهواء كانوا مع اكثرهم دنيا، وذلك مبلغهم من العلم ..^٥

١ - امالي الصدوق / ١٧٩.

٢ - البحار ٨٥ / ٤٣.

٣ - الوسائل ٤ / ٨٤٩.

٤ - اي السلاطين والظلمة والاغنياء والمترفين.

٥ - الكافي ٨ / ٥٤.

الفصل الرابع والأربعون

البلاغ والإكمال

الكتاب

- ١ هذا بلاغ للناس، ولينذروا به، وليعلموا أنّما هو آله واحد، وليذكروا أولوا الالباب *^١
- ٢ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس ..^٢
- ٣ اليوم، أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - لما نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم ..) قال: «الله

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٥٢.

٢ و ٣ - سورة المائدة (٥) : ٦٧ و ٣.

اكبرُ على إكمال الدين، واتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، وولاية عليٍّ بعدي»^١.

٢ الامام علي «ع» : .. أمر الله عز وجل نبيّه «ص» أن يُعلّمهم وُلاة أمرهم، وان يُفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلّاتهم وزكّاتهم وحجّهم، وينصّبني للنّاس بعد غدیر خم .. فقال: «ايها الناس! أتعلّمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «قم يا علي!» فقمتُ. فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللهم! وال من والاه، وعاد من عاداه». فقام سلمان فقال: يا رسول الله! ولاء كما ذا؟ فقال: «ولاء كولاى، من كنت اولى به من نفسه». فأنزل الله - تعالى ذكره - : «اليوم اكملت لكم دينكم» الآية، فكبر رسول الله «ص» وقال: «الله اكبر، تمام نبوتى وتمام دين الله، وولاية عليٍّ بعدي»^٢.

٣ الامامان الباقر والصادق «ع» : نزلت هذه الآية (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك) يوم الغدير، وفيه نزلت: «اليوم اكملت لكم دينكم...»^٣.

٤ الامام الصادق «ع» - في بيان الآية المذكورة (أي: اليوم اكملت لكم دينكم) قال: بإقامة حافظه ..^٤

٥ النسي «ص» : القرآن هُدًى من الضلالة .. وضياءً من الاحزان، وعصمة من الهلكة، ورشدٌ من الغواية، وبيانٌ من الفتن، وبلاغٌ من الدنيا الى الآخرة، وفيه كمال دينكم ..^٥

١ - الغدير ١ / ٢٣٣.

٢ - الغدير ١ / ١٦٥.

٣ و ٤ - الغدير ١ / ٢٣٤.

٥ - تفسير العياشي ١ / ٥.

الفصل الخامس والأربعون

أ- طلب الهداية من غير القرآن ضلال

الكتاب

- ١ .. فإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *^١
- ٢ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *^٢
- ٣ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا، وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ *^٣

الحديث

- ١ النسبي «ص»: من آثره (القرآن) على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله ..^٤

١ - سورة طه (٢٠) : ١٢٣.

٢ - سورة النساء (٤) : ١٧٦.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٧٧.

٤ - البحار ٩٢ / ٣١، عن «تفسير الامام العسكري».

- ٢ النبي «ص»: مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ، أَضَلَّهُ اللَّهُ ١..
- ٣ الامام علي «ع»: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» يَقُولُ: «أَتَانِي جِبْرِئِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! سَيَكُونُ فِي أُمَّتِكَ فِتْنَةٌ. قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرُجُ مِنْهَا؟ فَقَالَ: كِتَابُ اللَّهِ .. وَمَنِ التَّمَسَّ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ .. وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، لَا تُزِيغُهُ الْأَهْوِيَّةُ، وَلَا تُلْبِسُهُ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى الرَّدِّ، وَلَا يَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ...» ٢.
- ٤ الامام الرضا «ع»: كَلَامُ اللَّهِ لَا تَتَجَاوَزُوهُ، وَلَا تَطْلُبُوا الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فَتَضَلُّوا. ٣.

ب- لا يُفسر القرآن بالرأي

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ .. ٤

١- تفسير العياشي ١ / ٦.

٢- تفسير العياشي ١ / ٣.

٣- البحار ٩٢ / ١١٧، عن «امالي الصدوق».

٤- سورة آل عمران (٣): ٧.

الحديث

- ١ النبي «ص»: أكثر ما أخاف على أمّتي من بعدي، رجلٌ يتأوّل القرآن، يضعه على غير مواضعه^١.
- ٢ النبي «ص»: من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من نار^٢.
- ٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام عليّ بن موسى الرضا، عن امير المؤمنين : قال الله جلّ جلاله: «ما آمنَ بي من فسّر برأيه كلامي...»^٣.
- ٤ الامام علي «ع»: اياك أن تُفسّر القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء ..^٤
- ٥ الامام الصادق «ع»: من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يُوجر، وإن أخطأ كان إثمُه عليه^٥.

الافات نظر

لقد مرّ في الفصل التاسع والعشرين، عن النبيّ «ص» قوله: «... فإنّ القرآن نزل على خمسة وجوه: حلالٍ وحرامٍ ومُحكّمٍ ومُتشابهٍ وامثال؛ فاعملوا بالحلال، ودعوا الحرام، واعملوا بالمحكّم، ودعوا المُتشابه، واعتبروا بالامثال». هذا البيان النبويّ هدايةً الى فهم اقسام القرآن بصورةٍ عامّة وكيفية الاستفادة منه بصورةٍ صحيحةٍ مرضية. وإنّ قوله: «دعوا المُتشابه»، يأمرُ كلَّ الناس

١ و ٢ - البحار ٩٢ / ١١٢، عن «منية المريد».

٣ - امالي الصدوق / ٦.

٤ - البحار ٩٢ / ١٠٧، عن كتاب «التوحيد» للصدوق.

٥ - تفسير العياشي ١ / ١٧.

- من عالمٍ او متكلّمٍ او حكيمٍ او عارفٍ او فقيهٍ او غيرهم - أن يدعوا الآيات المتشابهة ويتركوا حلّها وبيان مغازيها لاهلها؛ وأن يجتنبوا تأويلها وفق مقاصدهم ومصطلحاتهم كلّ الاجتناب.

إن الوصول الى معاني الآي المتشابهة خاصّ بالنبيّ «ص» واوصيائه الوارثين لعلمه - كما ورد به النقل ويحكم به العقل ايضاً - لأنهم هم حملة القرآن الاصيلون، ومخاطبوه الاولون؛ «وانما يعرف القرآن من خوطب به». وان هذه الآي تعابير تمثيلية؛ وهي قليلة العدد بالنسبة الى كلّ القرآن؛ ولا سبيل الى درك مغازيها - لمكان التمثيل ونزولها بلسانه المعلوم لمخاطبه الاصيلي - الا بتعليم من الله الذي أنزلها وعلم النبيّ مغازيها ومعانيها وما هو المراد منها؛ فلا يفهمها على وجهها، الا النبيّ بتعليم الهيّ، وأوصيائه بتعليم نبويّ.

والتأويل الذي قدورد ذكره في الاحاديث وقالوا عنه: «إن للقرآن تأويلاً، فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجئ، فاذا وقع التأويل في زمان امامٍ من الائمة عرفه امام ذلك الزمان»^١، وقالوا: «... للقرآن تأويلٌ يجري كما يجري الليل والنهار»^٢، فالمقصود به مغزى الآيات المتشابهة التمثيليّ ومعناها التأويليّ، الذي يفهمه النبيّ والاصياء.

ولقد صرح القرآن الكريم بأن علم التأويل عند الله تعالى والراسخين في العلم (.. وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم..)^٣. ومن الواضح البين أن الذين جاء ذكرهم رديف ذكر الله

١ - البحار ٩٢ / ٩٧، عن «بصائر الدرجات».

٢ - الغيبة، للنعماني / ١٣٤.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٧؛ راجع ايضاً: الفصل ٣٤، من هذا الباب.

الفصل الخامس والاربعون : طلب الهداية من غير القرآن ضلال

تعالى في الكتاب السماوي، لا يكونون الآمن كان علمهم من علمه (كما نُشيرُ اليه في الفصل التالي).^١ ولقد تَكَلَّمَتِ الاحاديث عن تأويلِ القرآنِ وعلمه، وأنَّ هذا العلمِ مختصُّ باهله.^٢ فَاتَّضَحَ بذلك جلياً، أنَّ «علمَ التَّأويلِ» غيرُ عمليةِ التَّأويلِ^٣ والتفسيرِ بالرأي، التي قام بها البعض؛ فتأويل القرآن وآياته السماوية بهذا الشكل وتفسيرها بالآراء، من اكبر الأخطاء والضلالات، وإن كان المؤول والمفسر عالماً كبيراً، او حكيماً فاضلاً، او عارفاً محققاً؛^٤ ولاجل

١ - يأتي في الفصل التالي نموذج من احاديث هذا الموضوع، كقول الامام الباقر «ع»: «نحن تراجمه وحى الله»، وكقول الامام الصادق «ع»: «نحن .. عبية وحى الله».

٢ - راجع: قول الامام الصادق «ع»، في الفصل التالي. «... وذلك الباب، المأمون على سراه المكنون».

٣ - وبتعبير آخر: «تأول القرآن»، كماورد في الحديث النبوي المذكور.

٤ - إنَّ ذهنيَّةَ الفيلسوفِ والعارفِ والمتكلمِ وامثالهم مُتَأَنِّسَةٌ بالمصطلحاتِ التي لم تُؤخَذْ من القرآنِ وحامله، ولم تُتَّبَعْ من حاقِّ الحقائقِ القرآنيَّةِ، بل وردت علينا من القرونِ القديمةِ قبلَ الاسلامِ، من هنا وهناك، من اصحابِ النَّحْلِ الفكريةِ المختلفةِ، والاقطارِ المتباعدةِ.

وكان وقوعُ هذا الامر - غيرُ المُجازِفِ وغيرِ الظَّرْفِيِّ - في الاسلامِ، لمقاصدَ وغاياتٍ غيرِ خافيةٍ على المنقَّبينِ وأتباعِ البحثِ الحرِّ، من الذين لم تجذبهم أطرُ «المصطلحات»، ولم ترعبهم «الاسماء»، ولم تُحدِّدْ عقولهم تلك «المفاهيم»، ولم تخف عليهم «اسرارُ التاريخ». وليس مجالنا هذا بذلك المُتَّسِعِ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ البحثُ الضَّاحِي في حَوْلِ هذا الموضوعِ، فَإِنَّهُ يَطْلُبُ تَأليفاً مستقلاً حافلاً ..

ففي الضوءِ المذكورِ، يعني المُؤانسةَ الذهنيَّةَ والمُمارسةَ الفنيَّةَ المشارَ اليهما، تَدخُلُ تلكِ المفاهيمِ عندهم في فهمِ «القرآن» ومغازيه، فَتَطوُّرُ تَلَقُّيهِمْ عنها ووعِيهِمْ منها، فَتُبْعُدُهُمْ عن فهمِ حاقِّ القرآنِ واستيقانهِ الفطريِّ الخالصِ، والرَّجوعِ الصِّميرِ الى حَمَلَتِهِ واهله؛ وَتَحْمِلُهُمْ على تأويلِ الآياتِ السَّماويَّةِ وَفَقِّ مصطلحاتِهِم المأنوسةِ، لِحُبِّهِمْ لها وانصهارِهِمْ بها. وكثيرون منهم ينظرون الى مغازي القرآنِ بِمِنظارِ تلكِ المفاهيمِ و المصطلحاتِ - ولو بصورةٍ مغلولةٍ - بَدَلِ أَنْ يَنْظُرُوا اليها بِالمِنظارِ القرآنيِّ. وعندئذٍ يَقَعُ الخَطْبُ الفادحِ، حيثُ يُفْضِي الامرُ الى «تأولِ القرآن» وآياته، وتحريفِ الكلمِ عن مواضعِهِ، وجرِّ التعابيرِ القرآنيَّةِ الى غيرِ مقاصدها التي لِأجلِها نَزَلَتْ من السماءِ.

ذلك بعينه يقول النبيُّ المُنقِذُ الهادي «ص»: «أكثر ما أخافُ علي

راجع: الحديث ١ و٣ و٤، وتأمّل كلاً منها بامعان. وهناك احاديثُ وتعاليمُ أخرى كثيرة وردت بهذا الصدد، بالاضافة الى حكم العقلِ الرَّادِعِ عن عمليّة التَّأوُلِ المذكورة. وَلْيَكُنْ علي ذُكْرِكِ، أنَّ «العلماء» المذكورين في حديث الامام عليّ «ع»، ليسوا إلا الأئمّة الطّاهرين، العالمين بالقرآن الواقعيين

هذا هو الواقع المدروس؛ وهذا هو الذي كان النبيُّ الهادي «ص» يخافُ منه على الأُمّة الاسلاميّة اكثر ما يخاف. اذ من البديهيّ أنّ الرُّجُلَ الَّذِي يَذْكُرُهُ النبيُّ «ص» بوصفه «مُتَأوُّلاً» للقرآن، ليس يُقصدُ به أناسٌ عاديّون، او اهلُ الاسواقِ والمُزارعون، بل المرادُ هو العالمُ والمحقِّقُ عندَ الناسِ، المُمارِسُ للبحثِ والكلامِ عن العلمِ، المُتعاظي للمصطلحات. فكان النبيُّ الاعظم «ص»، يُشيرُ بهذه التحذيراتِ الى ما يرى من أنّه سيقعُ في أُمَّتِهِ، من عمليّة «التَّأوُلِ»، بيدَ عدّةٍ من رجالِ العلومِ والافكارِ واصحابِ المصطلحاتِ المُتخذةٍ من خارجِ «مُزْدَهَرِ الوَحْيِ» ومشرقِ «الحكمةِ المحمّديّة»، وخصوصاً بالنسبةِ الى ما يُمْتُّ الى :

- معرفة الله تعالى، و
- معرفة الارادة الالهية وكيفية جريانها، و
- معرفة الامرو الخلق، والفعل والايجاد، و
- معرفة الولاية، و
- معرفة الوحي وحقيقته، و
- معرفة العلم واصله وواقعه التّوريّ لا الصّوري، و
- معرفة الحقائق العالية، و
- معرفة الاسماء والصفات في ظهوراتها الغيبية والشهادية، و
- معرفة ما يتعلّق بالمُستأثِرِ من الاسمِ والعلمِ والقدرة، و
- معرفة النفس، و
- معرفة المعاد، و
- معرفة حقائق الاسبابِ وسببّيّتها، والعللِ وعليّتها، وما الى ذلك من سائرِ ابوابِ المُعتقِدِ والعلمِ والعملِ، كمعرفة «الصلاة» وما لها من الاهميّة، و..
- والتّحذيرُ المذكورُ قد أكّدَ عليه الاوصياء «ع» ايضاً. وهو امرٌ هامٌ عظيمٌ، ينوطُ به صيانةُ حدودِ «الحقائقِ المُنزّلة» و«العلمِ المصوب»؛ و يتوقّفُ عليه نجاحُ الانسانِ بوصولِهِ الى حقيقة العلم؛ فلا يسوغُ الاهمالُ فيه، والتّغافلُ عنه، وتركِ التّفقُّهِ في التعاليمِ والاحاديثِ الواردةِ بصدده، والآياتِ القرآنيّةِ الرّاميةِ الى هذا الغرضِ، ولا سيّما في مقامِ طلبِ المعرفةِ والعلمِ. ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله ..

الفصل الخامس والأربعون : طلب الهداية من غير القرآن ضلال

أمتي من بعدي، رجلٌ يتأولُ القرآن، يضعه على غير مواضعه».
أجل، إن لكل شيء سبباً وإن لكل علم مأتى. والورود الى علم القرآن التأويلي من غير طريقه ومآتاه ضلال، واستماعه من غير اهله خطأ. ولهذه العلة - التي يثبتها النقل ويحتمها العقل - فلا يجوز لأي أحد أن يأول القرآن الى مقصد فلسفي او غيره، وأن يفسر الآيات السماوية برأيه، وان يتبع ما تشابه منها ابتغاء تأييد مصطلح فلسفي او فكرة عرفانية او ماشابهما.

إن علم التأويل وحل الآي المتشابهة لا يوجد إلا عند صاحب القرآن ومدينة علمه، الذي اودعه علومه، ثم عند من يليهما من الاوصياء «ع». وهم ربانيوا الأمة وعلمائها وحكمائها الحقيقيون، وفي آياتهم نزل الكتاب، واليهم وقع الخطاب، وبهم عرف الصواب؛ فالنبي «ص» قد خوطب بالقرآن، وهم قد خوطبوا به بسببه، لأنه قد أورثهم علومه، حيث قال في الحديث المسلم به المشهور عند فرق المسلمين: «أنا مدينة العلم و علي بابها؛ فمن اراد المدينة فليأتها من بابها!»، وقال في حديث آخر رواه الفريقان ايضاً: «... فانهم (الائمة) عترتي، خلِقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي..»^١؛ فمن عندهم يُطلب علم القرآن لا من غيرهم، وبعلمهم وتعاليمهم واحاديثهم يفسر القرآن لاغيرها.

هذا في الآيات المتشابهة والمعاني الغامضة، أما الآيات المحكمات - وهن أم الكتاب - وهي الاكثرية الغالبة للآيات، فلكل

١ - قد أخرج العلامة الاميني هذا الحديث عن ثلاثة واربعين ومئة مصدر، من مصادر إخواننا اهل السنة (الغدِير ٦ / ٦١ - ٨١)؛ ثم أرجع القارىء للوقوف على كلمات أعلام اهل السنة حول صحة الحديث ومغزاه، الى الجزء الخامس من كتاب «عبيقات الانوار».

٢ - المراجعات / ٢٠، الطبعة العشرون، مطبوعات النجاج، بالقاهرة (١٣٩٩).

عالمٍ من العلماء - اذا كان صالحاً لتفسير القرآن وفهمه، واجداً للمواصفات اللازمة له، متضلّعاً في كلِّ علمٍ يُمْتُّ اليه - ان يُفسِّرَها طبقاً للموازن الثابتة لذلك. واذا كانت هذه الآيات ايضاً بحيث ورد في شرحها وتفسيرها حديث عن النبيّ «ص» او عن اوصيائه «ع»، فهو اولى بالاتباع بالضرورة العقلية والشرعية. فواجب المفسّر ان يُراجع اوّلاً، عند كلِّ آيةٍ، ما ورد عنهم فيفسّر به الآية - تاركاً الآراء جانباً - ومن واجبه ايضاً ان يُميّز بين ماورد تفسيراً وماورد تأويلاً حتى لا يختلط البابان. واذا كانت هناك آيات لم يرد فيها عنهم شيء، ولم تكن من «المتشابهات»، فله حقُّ التفسير على النحو المذكور.

الفصلُ السادس والأربعون

العلماء بالقرآن

الكتاب

- ١ .. وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..^١
- ٢ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: تالله لقد عُلِّمْتُ تبليغَ الرسالات، واطمَامَ العِدَات، وتَمَامَ الكلمات، وعندنا - اهل البيت - ابوابُ الحكم، وضياءُ الأمر. ألا! وإنَّ شرائعَ الدين واحدة، وسُبُلُه قاصدة، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.^٣

١ - سورة آل عمران (٣) : ٧.

٢ - سورة النحل (١٦) : ٤٣.

٣ - نهج البلاغة / ٣٧٠: عبده ١ / ٢٣٢.

- ٢ الامام الباقر «ع» - روى جابر ومحمد بن مسلم عنه، انه قال: نحنُ أهلُ الذكر.^١
- ٣ الامام الباقر «ع» - عن سدير الصيرفي: قلت لابي جعفر «ع»: جُعِلْتُ فداك! ما أنتم؟ قال: «نحنُ خُزَّانُ علمِ الله، ونحنُ تراجمَةُ وحيِ الله...».^٢
- ٤ الامام الصادق «ع»: نحنُ وُلاةُ امرِ الله، وخَزَنَةُ علمِ الله، وَعَيْبَةُ وحيِ الله.^٣
- ٥ الامام الصادق «ع»: من دانَ الله بغيرِ سَماعٍ عن صادقِ أَلَمَهُ اللهُ - البتة -^٤ العناء. ومن ادَّعى سَماعاً من غيرِ البابِ الذي فَتَحَهُ اللهُ، فهو مشرك. وذلك الباب، المأمونُ على سرِّ الله المكنون.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع» - منصورُ بن حازم قال: قلت لابي عبدالله «ع»: إن الله اجلُّ واكرمُ من ان يُعرَفَ بخلقه، بل الخلقُ يُعرَفون بالله. قال: «صَدَقْتُ». قلت: إنَّ مَنْ عَرَفَ أنَّ لَهُ رَبًّا، فَيَنْبَغِي لَهُ ان يَعْرِفَ أنَّ لَدَيْكَ الرَّبُّ رِضاً وَسَخَطاً، وأنَّه لا يُعرَفُ رِضاهُ وَسَخَطُهُ الا بِوَحْيِ أَوْ رِسولٍ؛ فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الوَحْيُ، فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ ان يَطْلُبَ الرُّسُلَ، فاذا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أنَّهُمْ الحُجَّةَ، وأنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ المَفترَضَةَ. وقلتُ للناس: تَعَلَّمونَ أنَّ رِسولَ اللهِ «ص» كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى: قلتُ: فحينَ مَضَى رِسولُ اللهِ «ص» مَنْ كان الحجةَ على خلقه؟ فقالوا: القرآن. فَنظَرْتُ في القرآن، فإذا هو يُخاصِمُ به المُرَجِيُّ والقَدَرِيُّ والزَّنديقُ الذي لا يُؤمِنُ به حتى يَغْلِبَ الرجالَ

١ - مجمع البيان ٦ / ٣٦٢.

٢ و ٣ - الكافي ١ / ١٩٢.

٤ - في بعض النسخ: «الزمه التيه».

٥ - الكافي ١ / ٣٧٧.

٦ - في بعض النسخ: «أليس تزعمون؟»، وهو الانسب، بقرينة «بلى» في جواب الناس.

بُخْصُومَتِهِ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقِيَمٍ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقًّا. فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ قِيَمُ الْقُرْآنِ؟ فَقَالُوا: ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ، وَعَمْرُ يَعْلَمُ، وَحُذَيْفَةُ يَعْلَمُ. قُلْتُ: كُلُّهُ؟ قَالُوا: لَا. فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَقَالُ إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيًّا «ع». وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي؛ فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا «ع» كَانَ قِيَمَ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مَفْتَرَضَةً، وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ «ص»، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ؛ فَقَالَ (الصَّادِقُ «ع»): رَحِمَكَ اللَّهُ.^٢

٧ الامام الباقر «ع»: إِنَّ مِنْ عِلْمٍ مَا أوتِينَا، تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَاحْكَامَهُ.^٣

٨ الامام الصادق «ع»: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَبْعَثُ مِنَّا مَنْ يَعْلَمُ كِتَابَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.^٤

الفات نظر

جاءَ في مِرَاةِ الْعُقُولِ: «قوله: إِلَّا بِقِيَمٍ، في الفائق: قِيَمُ الْقَوْمِ مَنْ يَقُومُ بِسِيَاسَةِ أُمُورِهِمْ. وَالْمَرَادُ هُنَا مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ، وَيَعْرِفُ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَمُجْمَلَهُ وَمُؤَوَّلَهُ، وَمَحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، بِوَحْيِ الْهَيِّ، أَوْ بِالْهَامِ رَبَّانِي، أَوْ بِتَعْلِيمِ نَبَوِيِّ، فَلَمَّا سَأَلَهُمْ عَنِ الْقِيَمِ، ذَكَرُوا جَمَاعَةً لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْلَهُ. وَالْقِيَمُ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْإِحْكَامِ...»^٥.

١ - اي: ذلك القيم.

٢ و ٣ - الكافي ١ / ١٦٨ - ١٦٩ و ٢٢٩.

٤ - البحار ٢ / ١٧٨، عن «بصائر الدرجات».

٥ - مرآة العقول ٢ / ٢٦٤.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ، أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوصاً عَلَيْهِ (كما صَرَّحَ بِهِ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِي) مَعْصُوماً مِنَ الزَّلَلِ، حَتَّى تَصِحَّ مُتَابَعَتُهُ وَقَبُولُ قَوْلِهِ.

وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُزَادَ عَلَى كَلَامِ الْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِي، هُوَ أَنَّ الْقِيَمَ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَكُونُ مِزَاجاً إِلَى مَا ذُكِرَ، قَائِماً بِنَشْرِ أَحْكَامِهِ وَتَطْبِيقِ بَرَامِجِهِ، كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنَ «الْقِيَمِ» لُغَةً؛ لِأَنَّ قِيَمَ الْقَوْمِ مَنْ يَقُومُ بِسِيَاسَةِ أُمُورِهِمْ - كَمَا مَرَّ - فَالْقُرْآنُ لَهُ قِيَمٌ. وَهَذَا حَكْمٌ عَقْلِيٌّ لَا مَحِيدَ عَنْهُ. إِذَا لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَأْتِيَ مَعْلَمٌ ثَوْرِيٌّ بِبَرَامِجِ وَتَعَالِيمِ، وَيُجَاهِدَ فِي بَثِّهَا وَتَبْلِيغِهَا أَشَدَّ الْجِهَادِ، ثُمَّ يَدْعُهَا بِأَيْدِي الْإِيَّامِ تَلْعَبُ بِهَا كَيْفَ تَشَاءُ. لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ الْوَاقِعُ أَنَّ هَذَا الْمَصْلَحَ يُوطِّدُ السَّبِيلَ لِتَنْفِيزِ الْقَوَانِينِ مِنْ بَعْدِهِ، وَيُرَكِّزُ أَصُولاً كَافِلَةً بِاسْتِمْرَارٍ مَا جَاءَ بِهِ؛ فَيَنْصَبُ قِيَمًا عَلَى الْأَمْرِ، عَالِماً بِهِ، حَتَّى يَبْسُطَ الْحَقَّ، وَيَعْمَلَ عَلَى اسْتِعَابِ الدِّينِ لِكُلِّ فَرْدٍ وَمَجْتَمَعٍ. فَعَلَى هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَلِيٌّ قِيَمَ الْقُرْآنِ» هُوَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِ، قَائِمٌ بِأَمْرِهِ، عَامِلٌ لِتَنْفِيزِ مُخَطَّطَاتِهِ، مُصِرٌّ عَلَى بَسْطِهِ عَمَلًا وَاقْدَامًا، كَمَا نُشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْفَصْلِ الْآتِي، مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ صَامِتٌ، وَلَكِنْ مَعَهُ نَاطِقٌ وَقِيَمٌ. وَإِلْجَلِ ذَلِكَ كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» يَقُولُ: «مَا يَضِيعُ لِلَّهِ حَدٌّ وَأَنَا حَاضِرٌ»^١. وَإِلْجَلِ ذَلِكَ أَيْضًا، جَعَلَ النَّبِيُّ «ص» بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، عَلِيًّا وَالْإِئِمَّةَ مِنْ وُلْدِهِ أَحَدَ الثَّقَلَيْنِ الْمُنشُودِينَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْمَشْهُورِ الْمُتَوَاتِرِ، مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً.

١ - إِذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَإِلَّا لَزِمَ أَنْ يَكُونُوا عَارِفِينَ بِهِ «جَمِيعَ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ»؛ وَهَذَا خُلْفٌ.

٢ - تَلْخِيصُ الشَّافِي ٢ / ١٥٦.

الفصل السابع والأربعون

صامت معه ناطق

الكتاب

١ .. قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب * ١

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. هذا القرآنُ انما هو خطُّ مسطور بين الدفتين، لا ينطقُ بلسان، ولا بدُّ له من ترجمان؛ وانما ينطقُ عنه الرجال .. فاذا حُكِمَ بالصدق في كتاب الله فنحن أحقُّ الناس به، وان حُكِمَ بسُنَّةِ رسول الله «ص» فنحن أولاهم به. ٢

٢ الامام علي «ع» : .. واعلموا انكم لن تعرفوا الرشدَ حتى تعرفوا الذي تركه. ولن تأخذوا بميثاقِ الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه. ولن تمسكوا به حتى

١ - سورة الرعد (١٣) : ٤٣.

٢ - نهج البلاغة / ٣٨٦ : عبده ٢ / ٧٢.

تعرفوا الذي نَبَذَهُ. فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.^١

٣ الامام الصادق «ع»: أَيْبَى اللَّهِ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ؛ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْمًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَابًا نَاطِقًا، عَرَفَهُ مِنْ عَرَفَهُ، وَجَهَلَهُ مِنْ جَهَلَهُ. ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» وَنَحْنُ.^٢

٤ الامام الباقر «ع»: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلَا صَوَابٌ، إِلَّا شَيْءٌ أَخَذُوهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي بِحَقٍّ وَلَا عَدْلٍ إِلَّا وَمِفْتَاحُ ذَلِكَ الْقَضَاءُ وَبَابُهُ وَأَوَّلُهُ وَسُنَّتُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «ع»^٣؛ فَإِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ كَانَ الْخَطَأُ مِنْ قِبَلِهِمْ إِذَا أَخْطَأُوا، وَالصَّوَابُ مِنْ قِبَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «ع» إِذَا أَصَابُوا.^٤

٥ الامام الصادق «ع» - يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ «ع» يَقُولُ، وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ - : عَجَبًا لِلنَّاسِ! يَقُولُونَ أَخَذُوا عِلْمَهُمْ كُلَّهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ «ص»، فَعَمِلُوا بِهِ وَاهْتَدَوْا؛ وَيُرُونَ أَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَمْ نَأْخُذْ عِلْمَهُ وَلَمْ نَهْتَدِ بِهِ، وَنَحْنُ أَهْلُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، فِي مَنْازِلِنَا أَنْزَلَ الْوَحْيَ، وَمِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ الْعِلْمُ. أَفْتَرَاهُمْ عِلْمُوا وَاهْتَدَوْا وَجَهَلْنَا

١ - نهج البلاغة / ٤٥٠: عبده ٢ / ٤٣.

٢ - الكافي ١ / ١٨٣.

٣ - هذه الامور واضحة لمن يعرف تاريخ الوقائع الاسلامية في الصدر الاول، وما جرى في عهد الراشدين، وما وقع للأمة وللخلفاء مع الامام امير المؤمنين «ع»، من مراجعاتهم الدائمة اليه لفهم تعاليم الدين وتحصيل تكاليفهم الشرعية في المسائل والقضايا.

٤ - البحار ٢ / ١٧٩، عن «مجالس المفيد».

وَضَلَّلْنَا؟ إِنَّ هَذَا مُحَالٌ^١.

٦ الامام الصادق «ع» : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، قَطَبَ الْقُرْآنِ، وَقَطَبَ
جَمِيعِ الْكُتُبِ، عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحَكَّمُ الْقُرْآنِ، وَبِهَا نُوْهَتْ الْكُتُبُ وَيَسْتَبِينُ
الْإِيمَانُ ..^٢

١ - البحار ٢ / ١٧٩، عن «مجالس المفيد».

٢ - تفسير العياشي ١ / ٥.

الفصل الثامن والأربعون

حبل ممدود (الثقل الأكبر)

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. يا أيها الناس! اني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوضَ واني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر، كتابُ الله عز وجل، سببُ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تزلوا، ولا تبدلوا؛ وعترتي أهل بيتي ..^١
- ٢ النبي «ص» - في مرضه الذي قبض فيه، وقد امتلأت الحجرة من اصحابه: «ايها الناس! يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي. وقد قدمت اليكم القول معذرةً اليكم. ألا! اني مُخلفٌ فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي». ثم أخذ بيد علي «ع» فرفعها فقال: «هذا علي مع القرآن والقرآن مع عليّ، خليفتان بصيران، لا يفترقان حتى يرده عليّ الحوض، فأسألهما ماذا خُلفَ فيهما».^٢

١ - راجع بصدد هذا الحديث المتواتر واسناده الكثيرة المتضاربة، بل المتواترة، من طرق أهل السنة وكلمات اكابر علماء إخواننا في شرحه : كتاب «عقبات الانوار»، اجزاء «حديث الثقلين».

٢ - امالي الطوسي ٢ / ٩٣.

٣ الامام الصادق «ع» : .. قد أمر رسولُ الله «ص» أن يُقْتَدَى بِالْقُرْآنِ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: الثَّقَلَ الْأَكْبَرَ، وَالثَّقَلَ الْأَصْغَرَ؛ فَأَمَّا الْأَكْبَرُ فَكِتَابُ رَبِّي، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَعِزَّتِي، أَهْلُ بَيْتِي، فَاحْفَظُونِي فِيهِمَا، فَلَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا»^١.

الفصلُ التاسع والأربعون

ظِلٌّ وارِفٌ

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع» : .. لو ماتَ مَنْ بَيْنَ المشرقِ والمغربِ، لَمَا اسْتَوْحَشْتُ بعدَ أن يكونَ القرآنُ معي.^١
- ٢ الامام الكاظم «ع» : مَنْ اسْتَكْفَى بِآيَةٍ مِنَ القرآنِ، مِنْ المشرقِ الى المغربِ كُفِيَ، اذا كان بيقين.^٢
- ٣ الامام السجاد «ع» : اللهم صل على محمدٍ وآله! واجعلنا مِمَّنْ يعتصمُ بحبله (القرآن)، ويأوي من المتشابهاتِ إلى حِرزِ مَعْقِلِهِ، ويسكنُ في ظِلِّ جَنَاحِهِ، ويهتدي بضوءِ صَبَاحِهِ، ويقتدي بتبليجِ أسفاره، ويستصبحُ بمصباحه، ولا يلتمسُ الهدى في غيره.^٣

١ و ٢ - الكافي ٢ / ٦٠٢ و ٦٢٣.

٣ - الصّحيفة السّجادية / ٢٦٧ (الدعاء ٤٢).

الفصلُ الخمسون

حياة في حياة

الكتاب

- ١ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ..^١
- ٢ مِنْ عَمَلٍ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^٢
- ٣ هُمُ الْبَشَرِيُّ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *^٣
- ٤ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..^٤
- ٥ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ *^٥
- ٦ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ *^٦

١ - سورة الانفال (٨) : ٢٤.

٢ - سورة النحل (١٦) : ٩٧.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٦٤.

٤ - سورة ابراهيم (١٤) : ٢٧.

٥ - سورة غافر (٤٠) : ٥١.

٦ - سورة فصلت (٤١) : ٣١.

٧ .. وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانِ، لو كانوا يَعْلَمُونَ* ١

الحديث

١- القرآن والحياة المادّية

١ الامام السجاد «ع» : اللهم صل على محمد وآله! وَاجْبُرْ بالقرآن خَلْتنا من عَدَمِ الإملاق، وَسُقِ لنا به رَغَدَ العيشِ وَخِصَبَ سَعَةِ الارزاق. ٢

٢- القرآن والحياة الرّوحية

٢ الامام السجاد «ع» : .. وَجَنَّبْنَا به الضرائبَ المذمومة وَمَدَانِي الاخلاق، وَاعْصِمْنَا به مِنْ هُوَةِ الكفر ودواعي النفاق. ٣

٣- القرآن وساعات الرّحيل

٣ الامام السجاد «ع» : .. وَهُونَ بالقرآن عندَ الموت على انفسنا كَرَبِ السِّيَاقِ، وَجَهْدِ الأنينِ، وترادفَ الحَشَارِجِ اذا بَلَغَتِ النفوسُ التَّرَاقِي، وقيل مَنْ راق؟ وتجلّى مَلِكُ الموت لِقَبْضِها مِنْ حُجْبِ الغيوبِ، وربماها عن قوسِ المَنايَا بِأسْهُمِ وَحِشَةِ الفِراقِ، ودافَ لها من دُعاغِ الموت كَأَساً مَسْمومَةً

١ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٦٤.

٢ و ٣ - الصّحيفة السّجادية / ٢٧٠ (الدعاء ٤٢).

المذاق، وَدَنَامِنَا إِلَى الْآخِرَةِ رَحِيلٌ وَإِنطَاقٌ، وَصَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي
الْإِعْنَاقِ، وَكَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ.^١

٤- القرآن ومنازل الكرامة

٤ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ،
وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ
وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَسَلْمًا نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ،
وَسَبَبًا نُجْزِي بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ، وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ
الْمُقَامَةِ.^٢

١ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٢٧١ (الدَّعَاءُ ٤٢).

٢ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٢٦٨ (الدَّعَاءُ ٤٢).

نظرة الى الباب

إنَّ القرآنَ لوحَةٌ الهيئة، انعكست فيها عوالمُ التكوينِ وأنظمتُهُ التشريعية؛ فهو تعبيرٌ كلاميٌّ عما وقع وجرى في الكونِ وعما يقع ويجري. فعلى هذا، تكون معرفةُ القرآن، أصلَ الحركة والتكامل الانساني. والكمالُ الذي يحصل للانسان بالتفاعل مع القرآن لا يحصل له بغيره. وبالقرآن يتسنى للانسان أن يعرفَ موقعه في الوجودِ وعوالمه، وما كان المقصودُ من خلقه.

إنَّ الانسان يعرفُ بالرجوع الى هذه اللوحةِ الربانية، حقيقةَ روحه وبدنه، وحقيقةَ الدنيا والآخرة وغير ذلك من الحقائق، وكذلك يعرفُ صلته بالله، وصلاته بسائر افراد الانسان. وهذه معرفةٌ شاملةٌ تتيحُ للانسان أن ينسجمَ مع الحياة ومظاهرها وحركاتها وأهدافها، وأن يقعَ في المسير الصحيح الطبيعي للحياة الانسانية، التي تجتهد رسالةُ الله على الارض لتحقيقها.

وذلك لأنَّ القرآن نورٌ وهادٍ، يُخرج المجتمعَ الانساني من الموت الى الحياة، ومن اليأس الى الرجاء، ومن الكسل الى النشاط، ومن السكون الى الحركة، ومن الذل الى العز، فيقومُ بتوجيه الحركات الاجتماعية، فيجعلها في طريق التحقيق والنمو الاجتماعيين. ولاجل ذلك يقول سيدنا ومولانا ونبينا محمد «ص»: «... فاذا التَبَسْتُ عليكمُ الفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فعليكم بالقرآن!».^١

نظرة الى الباب

فالانسان في رجوعه الى القرآن، يكون كسيارة انتظمت في مدارها فتحرّكت نحو الكمال الغائي في منظومتها وفي الكون الاعظم. ويتضح بما اقضيناه في هذه النظرة، ان القرآن مدرسة حية متحركة تضمّ آحاد الانسان بعضها الى بعض، وتجعل منهم كتلة متوحّدة، وبنينا مرصوفاً، وتضمن لهم - اذا عملوا بتعاليمه - الوصول الى حياة طيبة حرة صاعدة.

وهذه الميزات انما توجد في القرآن الكريم، اذا كان مهيمناً على المجتمع، سائداً على الطبقات، نافذاً في حياة الجميع، معمولاً به عند الناس؛ لا في قرآنٍ قد اتّخذهُ الناس مهجوراً، وجعلوه منعزلاً عن ساحات الحياة الفردية والاجتماعية؛ ولا في قرآنٍ قد قلبوه ظهراً لبطن، وأخلوه عن محتوياته العملية الاصلاحية، وجعلوه ذريعةً للارتزاق والمعيشة، كما يفعله المنحرفون من القراء، والعلماء؛ أو ما جعلوه وسيلةً لاستثمار الناس والتمويه عليهم، باظهار العقيدة به وطبعه ونشره، بصورة جميلة، كما يفعله الساسة والجبابرة الخائنون؟ فينبغي أن نرجع نحن - معاشر المسلمين - الى القرآن، وأن نطبّق أصوله، ونعرف تعاليمه معرفةً دقيقةً شاملة، ونركّز برامجه، ونبث توجيهاته، ونسعى لتجسيد دساتيره في حياتنا الظاهرة والباطنة، وحياتنا الفردية والاجتماعية، وحياتنا السياسية والادارية، وحياتنا الاقتصادية والمعيشية؛ حتى نجعل من هذه الحياة التي نعيشها حياة طيبة، حرة، عزيزة، سامية، تدفعنا الى العدالة والحق، والحرية والسمو، والسيادة والتقدم. وبذلك يمكننا أن نخدم البشرية عامّة، وان نبسط رسالة الله في اقطار الارض، كما كان كذلك في الصدر الاول من تاريخنا، حيث كانت الاصول القرآنية، نقطة انطلاقٍ لتحويلات لا نظير لها في التاريخ.

وهناك فاجعة عظيمة يجب ان لا يغفل عنها المسلمون، ولا سيّما المفكرين والدعاة. وتلك الفاجعة هي التي تظهر في طريقة سلكها اعداء

القرآن أو الخائفون من نفوذ أصوله الاجتماعية، ومبادئه السياسية، وموازينه الحقوقية، ومثله الاخلاقية، ومقاطعته الثقافية العالية، وأسسهِ الاصلاحية، وأنظمتِه الراقية، المضادة لأيّ ظلمٍ وتعدُّ واحجاف وجناية واختلاس. وهذه الفاجعة انما كانت، لان أبالسة الشرِّ والفساد، حيث لم يتمكنوا من المحاربة الصريحة للكتاب الالهي، عمَدوا الى محاربة غير صريحة، هي أشدُّ ضرراً، وأسوأ عاقبة، وأدعى الى الانحطاط والميوعة، من المحاربة الصريحة - غير الممكنة في الأغلب - . وذلك لأنهم عمَدوا الى اقامة حروفه واضاعة حدوده، فحوّلوه عن وضعه وبدّلوا تعاليمه، واماتوا توجيهاته، وفسّروه بصورة تلائم ميولهم الزائفة، وشوّهوا موقفه التربويّ الحاسم، وأخمدوا مشاعله الاصلاحية وخنقوا أصواته التحرريّة، فيجب أن تكون المجتمعات الاسلامية على يقظة وانتباه لهذه الفاجعة الكبرى.

وهناك دسيسة اخرى، لاغفال حقائق القرآن وتشويه اهدافه، وهو الفات الانظار الى ألفاظه وقرآته، والى مسائله الادبية ولا غير، لكي لا تتوجّه الافكار الى تطبيق تعاليمه وارشاداته، وتركيز أصوله، وتعميم توجيهاته وخصوصاً في فلسفته السياسيّة والاقتصاديّة.

فالقرآن الكريم، بعنوان الهادي والمصلح، وبصورة ايدولوجية حيّة بناءً، انما هو رهينُ العمل به واستعمال دساتيره؛ كذلك رسالة القرآن التاريخية والايديولوجية، في ساحات الحياة البشرية، لا تتحقّق بقراءته وطبعه ونشره وتذهيبه والتبرك به، بل تتحقق بالرجوع اليه وتطبيقه عملاً وفكراً.

واذا رجعنا الى القرآن، بالصورة المذكورة، يُمكننا أن نُدويّ أدواء المجتمع، وان نَعقِدَ أوسمةَ العدالة والعزّ والحقّ والصّلاح على هامةِ الشمس.

البَابُ السَّابِعُ

الباب السابع : الزّواد الضادقون وبعض خصائصهم وفيه فصول:

الفصلُ الأوّلُ

الصدق والأهليّة والإخلاص

أ - الصّدق والأمانة

الكتاب

- ١ وقال موسى : يا فرعون إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ..^١
- ٢ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * .. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * .. وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : فيما وصف به النبيّ الاعظم «ص» : .. قد قال الرسولُ

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٠٤ - ١٠٥ .

٢ - سورة الحاقة (٦٩) : ٤٠ و ٤٤ - ٤٦ و ٥١ .

الصادق^١.. فهو امينك المأمون^٢.

٢ الامام علي «ع» : اللهم! داخي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيئات الاباطيل، والدامغ صولات الاضاليل، كما حمل فاضطلع، قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير - ناكل عن قدم، ولاواه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ امرك، حتى أوري قبس القابس، واضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام، واقام موضحات الاعلام، ونيرات الاحكام، فهو امينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعتك بالحق ورسولك الى الخلق^٣.

٣ الامام علي «ع» : .. والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق، ما أنطق الا صادقاً^٤..

ب - الاهلية والجدارة

الكتاب

١ - نهج البلاغة / ٤٨١؛ عبده ٢ / ٥٩.

٢ - نهج البلاغة / ٣١٥؛ عبده ١ / ٢٠٣.

٣ - نهج البلاغة / ١٦٨؛ عبده ١ / ١١٦ - ١١٨.

٤ - نهج البلاغة / ٥٦٤؛ عبده ٢ / ١٠٩.

- ١ ولقد آتينا ابراهيمَ رُشدَه مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ *^١
- ٢ وَإِذِ ابْتَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ :
وَمَن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ : لَأَيُّنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *^٢
- ٣ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا : لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ :^٣
- ٤ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ،
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا *^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. ربُّ رحيم، ودينٌ قويم، وامامٌ عليم ..^٥
- ٢ الامام علي «ع» : .. فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ! فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ
الْجَهْلِ. هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ،
وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ (أَيُّ
الْقُرْآنِ) بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.^٦
- ٣ الامام علي «ع» : .. أَلَا! وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مَنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مَنِيرٍ، وَيَحْدُو

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٥١.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٢٤.

٣ - سورة الانعام (٦) : ١٢٤.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٢١.

٥ - نهج البلاغة / ٤٥٤، عبده ٢ / ٤٥.

٦ - نهج البلاغة / ٤٥٠؛ عبده ٢ / ٤٣.

فيها على مثال الصالحين، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصَدَعَ شَعْبًا،
وَيَشَعَبَ صَدْعًا..^١

٤ الامام الصادق «ع» : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْضَحَ بِأُتَمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا
عَنْ دِينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَا جِهَةٍ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ؛
فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدَ «ص» وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ، وَجَدَّ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ،
وَعَلِمَ فَضْلَ طَلَاوَةِ إِسْلَامِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَمًا
لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حِجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ، وَغَشَّاهُ
مِنْ نَوْرِ الْجَبَّارِ، يُمَدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ وَلَا يُنَالُ مَا
عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عَالِمٌ
بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجَى، وَمُعَمَّيَاتِ السُّنَنِ، وَمُشَبَّهَاتِ الْفِتَنِ..^٢

٥ الامام الرضا «ع» - عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرَّضَا «ع» بِمَرُورٍ،
فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِي بَدَءِ مَقَدِّمِنَا، فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ
وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي «ع» فَأَعْلَمْتُهُ
خَوْضَ النَّاسِ فِيهِ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ! جَهْلَ الْقَوْمِ وَخُدْعُوهُ عَنِ
آرَائِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ «ص» حَتَّى اكْتَمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْزَلَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَّ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَالْحُدُودَ
وَالْأَحْكَامَ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًّا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا فَرَّطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^٣. وَأَنْزَلَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ - وَهِيَ آخِرُ عَمْرِهِ «ص» :-
«الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»^٤.

١ - نهج البلاغة / ٤٥٨ : عبده ٢ / ٤٧.

٢ - الكافي ١ / ٢٠٣.

٣ - سورة الانعام (٦) : ٣٨.

٤ - سورة المائدة (٥) : ٣.

الفصل الأول : الصدق والأهلية والإخلاص

وامرُ الامامة من تمام الدين، ولم يمضِ «ص» حتى بينَ لِأُمَّتِهِ معالِمَ دينهم، وأوضحَ لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً «ع» علماً واماماً، وما ترك شيئاً يحتاجُ إليه الأمة إلا بيَّنه. فمن زعمَ أنَّ الله عز وجل لم يُكَمِّل دينه، فقد ردَّ كتابَ الله، ومن ردَّ كتابَ الله فهو كافر به. هل يعرفون قدرَ الامامة ومحلَّها من الأمة فيجوزُ فيها اختيارهم؟! إنَّ الامامةَ أجلُّ قدرًا، واعظمُ شأنًا، واعلى مكانًا، وأمنعُ جانبًا، وابعُدُ غورًا من أن يبلغها الناسُ بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يُقيموا اماماً باختيارهم. إنَّ الامامةَ خصَّ الله عز وجل بها ابراهيمَ الخليل، بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة، وفضيلةً شرفه بها واشادَ بها ذكره فقال: «انِّي جاعلك للناس اماماً»؛ فقال الخليل «ع»: سروراً بها: «ومن ذريتي؟»، قال الله - تبارك وتعالى - : «لا ينال عهدى الظالمين». ^١ فأبطلت هذه الآية امامة كلِّ ظالمٍ الى يوم القيامة، وصارت في الصِّفوة. ثم اكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته - أهل الصِّفوة والطهارة - فقال: «ووهبنا له اسحاقَ ويعقوبَ نافلاً، وكلاً جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا، واوحينا اليهم فعلَ الخيرات وإقامَ الصلاةِ وايتاءَ الزكاةِ وكانوا لنا عابدين» ^٢، فلم تزل في ذريته يرثها بعضُ عن بعض، قرناً فقرناً، حتى ورثها الله تعالى النبي «ص» فقال - جلَّ وتعالى - : «إنَّ اولى الناسِ بابراهيمَ للذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا، والله وليُّ المؤمنين» ^٣، فكانت له خاصة، فقلدها «ص» علياً «ع» بأمر الله تعالى على رسمِ ما فرض الله، فصارت في ذريته الاصفياء الذين آتاهم الله العلمَ والايمان، بقوله تعالى: «وقال الذين أوتوا العلمَ والايمانَ

١ - سورة البقرة (٢) : ١٢٤.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٧٢ - ٧٣.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٦٨.

لقد لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ»، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ «ع» خَاصَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَانَبِيِّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ «ص».

فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ؟! إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ. إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ «ص»، وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع» وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَالِحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي، وَفِرْعُهُ السَّامِي. بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَتَوْفِيرُ الْفِيءِ وَالصَّدَقَاتِ، وَامْتِثَالُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ. الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ، وَيُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ، وَيَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ ..

الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَحِجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَالِدَاعِي إِلَى اللَّهِ، وَالذَّابُّ عَنِ حَرَمِ اللَّهِ. الْإِمَامُ الْمَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبْرَأُ عَنِ الْعِيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ، الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغِيظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ .. مُضْطَلِّعٌ بِالْإِمَامَةِ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ، مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ، قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلًّا، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ، حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ ..

٦ الإمام علي «ع» : .. قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِيَّ عَلَى الْفُرُوجِ، وَالْدَّمَاءِ، وَالْمَغَانِمِ، وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ؛ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ؛ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ؛ وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ؛ وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ

بالحقوق ويقف بها دون المقاطع؛ ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة^١.

ج - الإخلاص

الكتاب

- ١ وأذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً*^٢
- ٢ قل : ما أسألكم عليه من أجر، وما أنا من المتكلفين*^٣
- ٣ وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين*^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. أشهد أن لا اله الا الله، وحده لا شريك له، شهادة ممتحناً اخلاصها، معتقداً مصاصها، نتمسك بها أبداً ما أبقانا، ونذخرها لأهاويل ما يلقانا؛ فانها عزيمة الايمان، و فاتحة الاحسان، ومرضاة الرحمان، ومدخرة الشيطان.^٥

١ - نهج البلاغة / ٤٠٧ : عبده ٢ / ١٩ .

٢ - سورة مريم (١٩) : ٥١ .

٣ - سورة ص (٣٨) : ٨٦ .

٤ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٠٩ .

٥ - نهج البلاغة / ٤١ - ٤٢ : عبده ١ / ٢٢ .

- ٢ الامام علي «ع» : قد كنتُ وما أُهددُ بالحرب، ولا أُرهبُ بالضرب، وانا على ما قد وَعَدَنِي ربي من النَّصْرِ..^١
- ٣ الامام علي «ع» : .. وَتُؤْمِنُ به ايمانَ من رَجاه موقِنًا، وانا بَ اليه مؤمنًا، وَخَنَعَ له مُدْعِنًا، وَأَخْلَصَ له مُوحِّدًا..^٢

د - التَّصَلُّبُ في إِجْراءِ العَدالةِ والحَقِّ

الكتاب

- ١ .. وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهَا رَأْفَةٌ في دِينِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : لَا يَضِيعُ لَهِ حَدٌّ وَأَنَا حَاضِرٌ.^٤
- ٢ الامام علي «ع» : .. فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا

١ - نهج البلاغة / ٥٦٢ : عبده ٢ / ١٠٧.

٢ - نهج البلاغة / ٥٨٨ : عبده ٢ / ١٢٥.

٣ - سورة النور (٢٤) : ٢.

٤ - تلخيص الشافعي ٢ / ١٥٦.

مشقة شديدة، ومذاقة مريرة.^١

٣ الامام علي «ع» - فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة؛ ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق.^٢

٤ الامام علي «ع»: .. لكتني أضرب بالمقبل الى الحق، المدبر عنه، وبالسامع المطيع، العاصي المريب ابداً، حتى يأتي عليّ يومي..^٣

٥ الامام علي «ع»: .. فلا بقرن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه. ما لي ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين؛ واني لصاحبهم بالامس، كما أنا صاحبهم اليوم.^٤

١ - نهج البلاغة / ٤٨٧؛ عبده ٢ / ٦٢.

٢ - نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ١ / ٤٢.

٣ - نهج البلاغة / ٥٩؛ عبده ١ / ٣٧.

٤ - نهج البلاغة / ١١١؛ عبده ١ / ٧٧.

الفصل الثاني

في سبيل الانسان وسعادته

الكتاب

- ١ ولكل أمة رسول، فاذا جاء رسوهم قضى بينهم بالقسط، وهم لا يظلمون *^١
- ٢ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم، يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين *^٢
- ٣ .. ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك، فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابا رحيا *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم،

١ - سورة يونس (١٠) : ٤٧.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٦٤.

٣ - سورة النساء (٤) : ٦٤.

الفصل الثاني : في سبيل الانسان وسعادته

واعترامٍ من الفتن، وانتشارٍ من الأمور، وتلظُّ من الحروب، والدنيا كاسفةٌ
النور، ظاهرةُ الغرور، على حينِ اصفرارٍ من ورقها، وإياسٍ من ثمرها،
واغورارٍ من مائها، قد دَرَسَتْ منارُ الهدى، وظَهَرَتْ اعلا الردى^١.. فجاءهم
بتصديق الذي بين يديه، والنور المُقتدى به^٢.

٢ الامام علي «ع» : .. فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا «ص» بالحق، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ
الاثان الى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الى طَاعَتِهِ، بِقِرَآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ
وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ اذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ اذْجَحَدُوهُ.^٣

١ - نهج البلاغة / ٢٢١ : عبده ١ / ١٥٥ - ١٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ٤٩٩ : عبده ٢ / ٦٩.

٣ - نهج البلاغة / ٤٤٦ : عبده ٢ / ٤١.

الفصل الثالث

طلب الصّلاح والإصلاح

الكتاب

- ١ ربِّ هَبْ لي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ *^١
- ٢ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ *^٢
- ٣ .. إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: اللهم! إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان، ولا التماسَ شيءٍ من فضول الحُطام، ولكن لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ من دينك،

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٨٣.

٢ - سورة الانبياء (٢) : ٧٢.

٣ - سورة هود (١١) : ٨٨.

الفصل الثالث : طلب الصّلاح والإصلاح

وَنُظِهَرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.^١

٢ الامام الحسن «ع» : .. تركت قتالك، وهولي حلال، لصلاح الامة وألفتهم ..^٢

٣ الامام الحسن «ع» : ولو كنت بالحزم في امر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً واشدّ شكيمَةً، ولكان رأيي غير ما رأيتم؛ ولكنني أشهد الله وإياكم، إنني لم أردد بما رأيتم الا حِقْنَ دِمَائِكُمْ ..^٣

٤ الامام الحسن «ع» : .. إنني لما رأيتمكم ليس بكم عليهم قوّة، سلّمتُ الامر، لِأَبْقَى أَنَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ.^٤

الفات نظر

يريدُ الامام السَّبْطُ المَجْتَبِي «ع» بقوله: «لِأَبْقَى أَنَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ» بقاءً في الأُمَّةِ يُقَطِّعُ بِهِ يَدُ الْجَبَابِرَةِ عَنِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ وَتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الاسْتِبْدَادِ وَالظُّلْمِ - كما هو معلومٌ مِنَ السِّيَاقِ - فَإِنَّ حُضُورَ الأِمَائِلِ بَيْنَ الأُمَّةِ يُحَدِّدُ سُلْطَاتِ المَعْتَدِينَ، وَيُحْيِي مَعَالِمَ الدِّينِ، فَحَيْثُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لِلأَمَامِ وَأَصْحَابِهِ الحَرْبُ، إِذْ «لَمْ يَكُنْ بِهِمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ»، اتَّخَذُوا مَوْقِفًا آخَرَ لِدَفْعِ عَادِيَةِ الفَسَادِ. فَلَمْ يَكُنْ هَذَا تَجَافِيًا عَنِ التَّكْلِيفِ الاجْتِمَاعِيِّ الحَاسِمِ أَمَامَ الطَّوَاغِيَتِ، أَوْ اِهْمَالًا فِيهِ، بَلْ هُوَ تَغْيِيرٌ لِمَوْضِعِ المَقَاوِمَةِ وَالصُّوْدِ، حَتَّى يَتَبَلُورَ الوَاقِعُ المَتَغَلِّبُ، فَيُؤَدِّي إِلَى اِيقَاطِ البَصَائِرِ، وَإِرْهَافِ وَعْيِ الجَمَاهِيرِ،

١ - نهج البلاغة / ٤٠٦ - ٤٠٧؛ عبده ٢ / ١٩.

٢ - الغدير ١٠ / ١٦٠.

٣ - الامامة والسياسة ١ / ١٤١، طبعة مصر.

٤ - تحف العقول / ٢٢٧.

وتقویمِ حِسْمُ السّیاسی. ومن هنا كان هذا الاعدادُ السیاسی
مُنْطَلَقاً لِحَرَکاتٍ واعيّةٍ بِناءٍ هَدَامَةٍ أَمَامَ الطُّغَاةِ، كما وَقَعَ نَمُودَجُ
مِثَالِيٌّ مِنْهَا فِي «حَرَکةِ عاشوراء»، ثم فِي «ثُورَةِ زید»، ثم فِي «واقعةِ
فَخِّ» واستمراراً الى یومنا هذا.

فالموقفُ الَّذی اتَّخَذَهُ الامامُ الحسَنُ السَّبِطُ «ع»، مِنْ معاویةِ
ابنِ اَبی سَفیان، انما كان تَغْییراً تكتيکياً مع بقاء الاهداف، ولم یکن
تَغْییراً استراتيجياً علی حساب الاهداف.

۵ الامام الحسين «ع» : .. إني لم أخرجُ أشيراً، ولا بَطِراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً؛
وانما خَرَجْتُ لَطَلْبِ الاصلاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهِيَ
عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَابِي عَلِي بْنِ اَبِي طَالِبٍ ..^۱

الفصلُ الرَّابِعُ

في ساحاتِ العملِ

الكتاب

- ١ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ *^١
- ٢ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا *^٢
- ٣ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ، إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا *^٣

الحديث

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٧٣.

٢ - سورة النساء (٤) : ٨٤.

٣ - سورة مريم (١٩) : ٥٤ - ٥٥.

- ١ الامام علي «ع» : أيها الناس ! إنني والله ما أحتكم على طاعةٍ الاّ وأسبقكم اليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ الاّ وأتأهني قبلكم عنها.^١
- ٢ الامام علي «ع» : إنني لأرفع نفسي عن أن أنهى الناس عمّا لست أنتهي عنه، او أمرهم بما لا أسبقهم اليه بعملٍي، وارضى منهم بما لا يرضى ربي.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : إنكم والله لكثيرٌ في الباحات، قليلٌ تحت الرايات؛ واني لعالمٌ بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنني والله لا ارى اصلاحكم بإفساد نفسي ..^٣
- ٤ الامام علي «ع» : .. والله إن امرأً يمكّن عدوّه من نفسه يعرّق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره. انت فكن ذاك إن شئت. فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضربٌ بالمشرفيّة، تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.^٤

١ - نهج البلاغة / ٥٦٤؛ عبده ٢ / ١٠٩.

٢ - غرر الحكم / ١٢٧.

٣ - نهج البلاغة / ١٦٣ - ١٦٤؛ عبده ١ / ١١٤.

٤ - نهج البلاغة / ١١٣ - ١١٤؛ عبده ١ / ٧٩ - ٨٠.

الفصل الخامس

في خدمة الناس وحاجاتهم

الحديث

١ الامام علي «ع» - نَظَرَ عَلِيٌّ إِلَى امْرَأَةٍ عَلَى كِتْفِهَا قِرْبَةً مَاءٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا الْقِرْبَةَ فَحَمَلَهَا إِلَى مَوْضِعِهَا، وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا فَقَالَتْ: بَعَثَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ صَاحِبِي إِلَى بَعْضِ الثُّغُورِ فُقُتِلَ، وَتَرَكَ عَلِيٌّ صَبِيانًا يَتَامَى، وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، فَقَدْ أَلْجَأْتَنِي الضَّرُورَةُ إِلَى خِدْمَةِ النَّاسِ؛ فَاَنْصَرَفَ وَبَاتَ لَيْلَتَهُ قَلِقًا؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ حَمَلَ زَنْبِيلاً فِيهِ طَعَامٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْطِنِي أَحْمِلْهُ عِنكَ! فَقَالَ: مَنْ يَحْمِلُ وَزْرِي عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَاتَى وَقَرَعَ الْبَابَ فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي حَمَلَ مَعَكَ الْقِرْبَةَ، فَافْتَحِي فَإِنَّ مَعِيَ شَيْئًا لِلصَّبِيانِ. فَقَالَتْ: رَضِيَ اللَّهُ عَنكَ، وَحَكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ. فَدَخَلَ وَقَالَ: أَنِّي أَحْبَبْتُ اكْتِسَابَ الثَّوَابِ، فَاخْتَارِي بَيْنَ أَنْ تَعْجُنِينَ وَتَخْبِزِينَ، وَبَيْنَ أَنْ تُعَلِّينَ الصَّبِيانَ لِأَخْبِرَ أَنَا. فَقَالَتْ: أَنَا بِالْخُبْزِ أَبْصُرُ عَلَيْهِ أَقْدَرُ، وَلَكِنْ شَأْنُكَ وَالصَّبِيانِ، فَعَلَّلَهُمْ حَتَّى أَفْرُغَ مِنَ الْخُبْزِ! قَالَتْ: فَعَمَدْتُ إِلَى الدَّقِيقِ فَعَجَنْتُهُ، وَعَمَدَ عَلِيٌّ «ع» إِلَى اللَّحْمِ فَطَبَخَهُ، وَجَعَلَ يُلْقِمُ الصَّبِيانَ مِنَ اللَّحْمِ وَالتَّمْرَ وَغَيْرِهِ؛ فَكَلَّمَا نَاولَ الصَّبِيانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ! اجْعَلْ عَلِيٌّ

ابن ابي طالب في حِلِّ مما مرَّ في أمرِك. فلَمَّا اخْتَمَرَ العَجِينِ قالت: يا عبدَ الله! أُسْجِرُ التَّنُورَ. فبادَرَ لِسَجْرِهِ، فلما أشعَلَهُ ولفَحَ في وجهِهِ جَعَلَ يقول: ذُقْ يا علي! هذا جزاءُ مَنْ ضَيَّعَ الأرامِلَ واليتامى. فرَأَتْهُ امرأةٌ تعرِفُهُ فقالت: ويحكِ هذا اميرُ المؤمنين! .. فبادرتِ المرأةُ وهي تقول: واحيائي منك يا اميرَ المؤمنين! فقال: بل واحيائي منك يا أمةَ الله، فيما قصَّرتُ في أمرِك! ١

٢ الامام علي «ع» - محمد بن العُتَمَة، عن ابيه، عن عمِّه قال: رأيتُ في المدينة رجلاً على ظَهْرِهِ قِرْبَة وفي يده صَحْفَة يقول: «اللهم! وليّ المؤمنين وجارِ المؤمنين، إقبَلْ قرباني الليلة، فما أمسيتُ أملكُ سِوَى ما في صَحْفَتِي وغيرِ ما يُواريني. فإنك تعلمُ أنّي منَعْتُهُ نفسي سَغْبِي ٢، أطلبُ القُرْبَة اليك غُناً. اللهم! فلا تخلقْ وجهي ولا تُردِّ دعوتي!». فأتيتُهُ حتى عرَفْتُهُ، فإذا هو عليُّ ابنُ ابي طالب «ع»، فأتني رجلاً فأطعمته. ٣

٣ الامام علي «ع»: إنَّ سعيدَ بنَ قيسَ الهمدانيّ رأى اميرَ المؤمنين «ع» يوماً، في شِدَّةِ الحرِّ في فناءِ حائطٍ، فقال: يا اميرَ المؤمنين! بهذه الساعة؟ قال: ما خرجتُ إلَّا لأعينَ مظلوماً أو أُغيثَ ملهوفاً. ٤

١ - البحار ٤١ / ٥٢، عن كتاب «المناقب».

٢ - كذا في المصدر. وفي «المناقب» (٢ / ٧٦): «مع شِدَّةِ سَغْبِي». وهو الظاهر الصحيح.

٣ - المستدرک ١ / ٥٤٠.

٤ - المستدرک ٢ / ٤٠٩.

الفصل السادس

في بيوت البؤساء

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: كان عليُّ بنُ الحسين «ع»: .. لِيَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ فَيَحْمِلُ الجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَفِيهِ الصَّرْرُ مِنَ الدنانيرِ والدرَاهِمِ، وَرَبَّمَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ الطَّعَامَ أَوِ الحَطْبَ حَتَّى يَأْتِيَ بِأَبَا بَابًا فَيَقْرَعَهُ، ثُمَّ يُنَاوِلُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ؛ وَكَانَ يُغَطِّي وَجْهَهُ إِذَا نَاوَلَ فَقِيرًا لئَلَّا يَعْرِفَهُ. فَلَمَّا تُوفِّي «ع» فَقَدُوا ذَلِكَ فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ عَلِيٌّ بنَ الحُسَيْنِ «ع». وَلَمَّا وُضِعَ «ع» عَلَى المُغْتَسَلِ نَظَرُوا إِلَى ظَهْرِهِ وَعَلَيْهِ مِثْلُ رُكْبِ الإِبِلِ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنَازِلِ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ ..^١

٢ الامام السجاد «ع» - عن سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: رَأَى الزُّهْرِيُّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ «ع» لَيْلَةً بَارِدَةً مَطِيرَةً، وَعَلَى ظَهْرِهِ دَقِيقٌ وَحَطْبٌ وَهُوَ يَمْشِي، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: أُرِيدُ سَفْرًا أُعِدُّ لَهُ زَادًا أَحْمِلُهُ إِلَى مَوْضِعِ حَرِيزٍ. فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: فَهَذَا غَلَامِي يَحْمِلُهُ عَنْكَ فَأَبِي. قَالَ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ فَإِنِّي أَرْفَعُكَ عَنْ حَمَلِهِ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ بنَ الحُسَيْنِ: «لَكِنِّي لَا أَرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا

١ - البحار ٤٦ / ٦٢، عن كتاب «الخصال».

يُنَجِّينِي فِي سَفَرِي وَيُحْسِنُ وَرُودِي عَلَيَّ مَا أَرِدُ عَلَيْهِ. أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ، لَمَّا مَضَيْتَ لِحَاجَتِكَ وَتَرَكْتَنِي»، فَانصَرَفَ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَسْتُ أَرَى لِدَلِّكَ السَّفَرَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ أَثْرًا؟ قَالَ: بَلَى يَا زُهْرَى! لَيْسَ مَا ظَنَنْتَ وَلَكِنَّهُ الْمَوْتُ، وَلَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ. إِنَّمَا الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ، تَجَنُّبُ الْحَرَامِ وَبَدْلُ النَّدَى وَالْخَيْرِ.^١

٣ الامام الصادق «ع» - عن مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» فِي لَيْلَةٍ قَدْ رَشَّتْ، وَهُوَ يُرِيدُ ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ؛ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ رُدِّهِ عَلَيْنَا!»، قَالَ: فَاتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «أَنْتَ مُعَلَّى؟» قُلْتُ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَقَالَ لِي: «إِلْتَمَسَ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ!»، فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ (مُنْتَشِرٍ) كَثِيرٍ، فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُهُ، فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ - أَعْجُزُ عَنْ حَمَلِهِ - مِنْ خُبْزٍ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! أَحْمِلْهُ عَلَيَّ رَأْسِي، فَقَالَ: «لَا، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ إِمضِ مَعِي!». قَالَ: فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ، فَجَعَلُ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ حَتَّى أَتَى عَلَيَّ آخِرِهِمْ، ثُمَّ انصَرَفْنَا..^٢

١ - الوسائل ٦ / ٢٧٩ - ٢٨٠.

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

الفصل السابع

مع المرضى والمحتاجين

١ الامام الصادق «ع»: مرّ عليّ بن الحسين «ع» على المُجذّمين^١، وهو راكب حمّاره، وهم يتغذّون، فدَعَوْه الى الغداء فقال: «أما إنّي لولا أنّي صائمٌ لفعلتُ». فلما صار الى منزله أمرَ بطعامٍ فُصِنِعَ، وأمرَ أن يتنوّقوا فيه، ثم دعاهم فتغذّوا عنده وتغدّى معهم^٢.

٢ الامام الصادق «ع» - عن هشام بن سالم (محمد) قال: كان ابو عبد الله اذا أعتَمَ وذَهَبَ من الليل شَطْرَهُ، أخذَ جِراباً فيه خبزٌ ولحمٌ والدراهم، فحمّله على عُنُقِهِ، ثمّ ذَهَبَ به الى اهل الحاجة من اهل المدينة، فيقسِمُهُ فيهم وهم لا يعرفون. فلما مضى ابو عبدالله فقدوا ذلك فعَلِموا أنّه كان ابا عبدالله «ع»^٣.

١ - المجذّم (بفتح الذال) والمجذوم، بمعنى.

٢ - الكافي ٢ / ١٢٣.

٣ - الوسائل ٦ / ٢٧٨.

الفصل الثامن

لامولى ولا عبد

الحديث

١ الامام الرضا «ع» - عن عبدالله بن الصّلت، عن رجلٍ من أهل بلخ قال: كنتُ مع الرضا «ع» في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدةٍ له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم؛ فقلتُ: جِعلتُ فداك! لو عَزَلتَ لهؤلاء مائدةً؟ فقال: «مه! إن الربَّ - تبارك وتعالى - واحدٌ، والأُمُّ واحدةٌ، والابَّ واحدٌ، والجزاء بالاعمال»^١.

٢ الامام الرضا «ع» - حَدَّثنا ياسرُ الخادم قال: لَمَّا كان بيننا وبينَ طوس سبعةً منازلٍ إعتَلَّ ابوالحسن «ع»، فدَخَلنا طوس وقد اشتَدَّتْ به العلة، فبقينا بطوس أياماً؛ فكان المأمونُ يأتيه في كلِّ يومٍ مرتين. فلَمَّا كان في آخر يومِهِ الذي قُبِضَ فيه، كان ضعيفاً في ذلك اليوم؛ فقال لي بعد ما صَلَّى الظهر: يا ياسر! ما أَكَل الناس شيئاً؟ قلتُ يا سيدي! من يأكلُ هيهنا مع ما أنت فيه؟ فانتصب «ع» ثم قال: هاتوا المائدة! ولم يدعِ من حَشِمِه احداً الا أقعدَه معه على المائدة، يَتَفَقَّدُ واحداً واحداً، فلَمَّا أَكَلوا قال: إبعثوا الى النساءِ

الفصل الثامن : لامولى ولا عبد

بالطعام، فحُمِلَ الطعام الى النساء. فلَمَّا فرَغوا من الاكل أُغْمِيَ عليه
وضُفَّ فوقَعتِ الصَّيحةُ ..١

١ - عيونُ اخبار الرضا ٢ / ٢٤١.

الفصل التاسع

رفع قيمة الانسان

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..^١
- ٢ قالوا: أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ * قال: وما علمي بما كانوا يعملون؟ *
إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ * وما أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ بَغَىٰ عَلَىٰ فَقِيرٍ، أَوْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِ وَاسْتَحَقَّرَهُ، حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الذَّرَّةِ - فِي صُورَةِ رَجُلٍ - حَتَّىٰ يَدْخُلَ النَّارَ.^٣

١ - سورة البقرة (٢): ٢٦٤.

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ١١١ - ١١٤.

٣ - ثواب الاعمال / ٣٣٥.

٢ الامام علي «ع» - عن الحارثِ الهمداني قال: ساءرتُ اميرَ المؤمنين «ع» فقلتُ يا اميرَ المؤمنين! عَرَضْتُ لِي حَاجَةٌ. قال: «وَرَأَيْتَنِي لَهَا اَهْلًا؟ قلت: نَعَمْ يا اميرَ المؤمنين! قال: «جزاك اللهُ عني خيراً». ثم قامَ الى السَّراجِ فأغشاها وجلس، ثم قال: «إنما أغشيتُ السَّراجَ لئلا أرى ذلَّ حاجتك في وجهك، فتكلَّم! فإنِّي سمعتُ رسولَ الله «ص» يقول: "الحوائجُ امانةُ الله في صُدورِ العباد، فمن كَتَمها كَتَبَ له عِبادَةً، ومن أفساها كانَ حقاً على مَنْ سَمِعَها أن يُعِينَه"»^١.

٣ الامام علي «ع» - إن رجلاً جاءَ الى عليِّ بنِ ابي طالب فقال له: يا اميرَ المؤمنين! إنَّ لي اليك حاجةً، فقال: «أُكْتُبُها في الأرض، فإنِّي أرى الضُّرَّ فيك بيناً»، فكتبَ في الارض: أنا فقيرٌ محتاج. فقال علي: «يا قنبر؟ أُّكُسُه حُلَّتَيْن». فَأَنشَأَ الرَّجُلُ يقول:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تُبْلِي مَحَاسِنُهَا
فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَّلاً
إِنْ نَلْتِ حُسْنَ ثَنَائِي نَلْتِ مَكْرُمَةً
وَلَسْتَ تَبْغِي بِمَا قَدْ نَلْتَهُ بَدَلاً
إِنَّ الثَّنَاءَ لِيُحْيِي ذَكَرَ صَاحِبِهِ
كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ
فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَ

فقال «ع»: «أعطوه مئةَ دينار!» فقبل له: يا اميرَ المؤمنين! لقد أغنيتَه. فقال:

«إني سمعتُ رسولَ الله «ص» يقولُ "أنزلِ الناسَ منازلهم" ..». ثم قال
«إني لأعجبُ من اقوامٍ يشترون المَعالِكِ بأموالِهِم، ولا يشترون الأحرارَ
بمعروفِهِم»^١.

٤ الامام الصادق «ع» - عن اسحاق بن ابي ابراهيم قال: كنتُ عند ابي -
عبدالله «ع» وعنده المعلّى بن خنيس، اذ دخل عليه رجلٌ من اهلِ
خراسان فقال: يا ابنَ رسولِ الله! .. قد قلّ ذاتُ يدي ولا أقدرُ أتوجّهُ الى
اهلي إلا أن تُعينني! فنظر ابو عبدالله يميناَ وشمالاً وقال: «ألا تسمعون ما
يقولُ اخوكم؟ إنّما المعروفُ ابتداءً، فأما ما أعطيتَ بعدما سأل، فإنما هو
مكافأةٌ لما بذلَ لك من [ماءٍ] وجهه .. وقد قال رسولُ الله «ص»: "والذي
فلق الحبة، وبراً النّسمة، وبعثني بالحقّ نبياً، لما يتجشّم من مسألته اياك،
اعظمُ ممّا ناله من معروفِك"^٢.

٥ الامام علي «ع» - وجد عليّ درعاً له عند نصرانيّ، فجاء به إلى شريح
يُخاصمه اليه. قال عليّ: «إنّ هذا درعي لم أبع ولم أهب». فقال (شريح)
للنصرانيّ: ما يقول اميرُ المؤمنين؟ فقال النصرانيّ: ما الدرُعُ الأدرعي، وما
اميرُ المؤمنين عندي الا بكاذب. فالتفت شريحُ الى عليّ فقال: يا اميرَ
المؤمنين! هل من بيّنة؟ قال: «لا». فقضى بها للنصراني. فمشى هينئاً ثم أقبل
فقال: أمّا أنا فأشهدُ أنّ هذه احكامُ النبيين، اميرُ المؤمنين يمشي بي الى
قاضيه، وقاضيه يقضي عليه^٣ ..

١ - امالي الصدوق / ٢٤٢ - ٢٤٣.

٢ - البحار ٩٦ / ١٤٦ - ١٤٧. عن كتاب «قضاء الحقوق»، للشيخ سديد الدين السّوريّ.

٣ - الغارات ١ / ١٢٤ - ١٢٥.

الفصلُ العاشرُ

البساطة في العيش

الحديث

١ النبي «ص» - لما نزلت هذه الآية على النبي: «وإن جهنم لموعدهم اجمعين * لها سبعة ابواب، لكل باب منهم جزء مقسوم»^١، بكى النبي «ص» بكاءً شديداً، وبكت صحابته لبكائه؛ ولم يدروا ما نزل به جبرئيل «ع» ولم يستطع احدٌ من صحابته ان يكلمه. وكان النبي «ص» اذا رأى فاطمة «ع» فرح بها. فانطلق بعض اصحابه الى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول: «وما عند الله خيرٌ وابقى»^٢. فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي «ص» وبكائه. فنهضت والتفت بشملة لها خَلَقَةٌ - قد خيَطت اثنا عشر مكاناً بسَعْفِ النخل - فلما خرَجت نظر سلمان الفارسي الى الشملة وبكى وقال: وأحزناه، إن قيصر^٣ وكسرى لفي السندس والحريز، وابنة محمد «ص» عليها شملةٌ صوفٍ خَلَقَةٌ قد خيَطت في إثني-

١ - سورة الحجر (١٥) : ٤٣ - ٤٤.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٦؛ تمام الآية: «وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها، وما عند الله خيرٌ وابقى، افلاتعقلون؟».

٣ - الظاهر انه سَقَطَتْ كلمة «بنات» من هنا: «إن بنات قيصر..».

عشر مكاناً. فلما دخلت فاطمةُ على النبي «ص» قالت: «يا رسولَ الله! إنَّ سلمانَ تعجَّبَ من لباسي، فَوَ الذي بعثَكَ بالحق ما لي ولعليّ منذ خمسَ سنينِ الآمسكُ كبشٍ، نَعِلفُ عليها بالنهار بعيرنا، فاذا كان الليلُ افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لَمِنَ أدمٍ حشوها ليفٌ». فقال النبي «ص»: «يا سلمان! إنَّ ابنتي لفي الخيلِ السوابق»^١.

٢ الامام علي «ع»: .. ولقد كان في رسول الله «ص» كافٍ لك في الأُسوة، ودليلٌ لك على ذمِّ الدنيا وعيبيها، وكثرةِ مخازيها ومساوئها، اذ قبضتُ عنه اطرافها، ووطئتُ لغيره أكنافها، وفطمتُ عن رضاها، وزويي عن زخارفها. وإن شئتُ ثنيتُ بموسى كليمِ الله - صَلَّى اللهُ عليه - حيث يقول: «ربِّ إنِّي لما أنزلتَ اليَّ من خير فقير»^٢؛ والله ما سأله الا خبزاً يأكله، لأنَّه كان يأكلُ بقلةِ الارض. ولقد كانتُ خُضرةُ البقل تُرى من شَيفِ صفاقِ بطنه، لهزاليه وتشدُّبِ لحمه. وان شئتُ ثلثتُ بدواد - صَلَّى اللهُ عليه - صاحبِ المزامير، وقارئِ اهلِ الجنة، فلقد كان يعملُ سفائفَ الخوصِ بيده ويقول لجلسائه: «أيُّكم يكفيني بيعها؟» ويأكلُ قرصَ الشعير من ثمنها. وان شئتُ قلتُ في عيسى بنِ مريم - عليه السَّلام - فلقد كان يتوسدُ الحجر، ويلبسُ الخشن، ويأكلُ الجشِب، وكان إدامه الجوع، وسراجُه بالليلِ القمر، وظلالُه في الشتاء مشارقَ الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تُنبِتُ الارضُ للبهائم، ولم تكن له زوجةٌ تفتنه، ولا ولدٌ يحزنه، ولا مالٌ يلفته، ولا طمعٌ يُذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه ..^٣

٣ الامام الصادق «ع»: قال عيسى بنُ مريم «ع» في خطبته، قنام لها في بني-

١ - البحار ٨ / ٣٠٣، عن كتاب «الدروع الواقية»، للسيد ابن طاووس الحسني.

٢ - سورة القصص (٢٨): ٢٤.

٣ - نهج البلاغة / ٥٠٧؛ عبده ٢ / ٧٣ - ٧٤.

اسرائيل: أَصَبَحْتُ فِيكُمْ وَإِدَامِي الْجُوعَ، وَطَعَامِي مَا تَنْبُتُ الْأَرْضُ
لِلْوَحُوشِ وَالْأَنْعَامِ، وَسِرَاجِي الْقَمَرِ، وَفِرَاشِي التُّرَابِ، وَوِسَادَتِي الْحَجَرِ،
لَيْسَ لِي بَيْتٌ يَخْرُبُ، وَلَا مَالٌ يَتَلَفُ، وَلَا وَلَدٌ يَمُوتُ، وَلَا امْرَأَةٌ تَحْزَنُ.
أَصَبَحْتُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَامْسَيْتُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَأَنَا أَغْنَىٰ وَوَلَدِ آدَمَ.^١

٤ الامام علي «ع»: ألا! وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه
بقرصيه؛ ألا! وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد،
وعفة وسداد، فوالله ما كنت من دنياكم تبرأ، ولا أدخرت من غنائمها وفراً،
ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً.^٢

٥ الامام علي «ع» - إغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثم ابتاع قميص كرابيس
بثلاثة دراهم، فصلى بالناس فيه الجمعة، وما خيط جربانه.^٣

٦ الامام علي «ع»: .. والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها،
ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اغرب عني ف «عند الصباح
يحمد القوم السرى».^٤

٧ الامام علي «ع» - عن ابي اسحاق السبيعي قال: كنت على عنق ابي يوم
الجمعة، وامير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» يخطب وهو يتروخ بكمه،
فقلت: يا ابيه! امير المؤمنين يجد الحر؟ فقال لي: لا يجد حراً ولا برداً،
ولكنه غسل قميصه وهو رطب، ولاله غيره، فهو يتروخ به.^٥

١ - البحار ١٤ / ٣٢١، عن «معاني الاخبار».

٢ - نهج البلاغة / ٩٦٦؛ عبده ٣ / ٧٨ - ٧٩.

٣ - الفارات ١ / ٩٧؛ مكارم الاخلاق / ١٢٩.

٤ - نهج البلاغة / ٥١٢؛ عبده ٢ / ٧٦.

٥ - الفارات ٩٨ - ٩٩.

٨ الامام علي «ع» - عن صالح، انَّ جَدَّتَهُ أَتَتْ عَلِيًّا «ع» ومعه تَمْرٌ يَحْمِلُهُ، فَسَلَّمَتْ وَقَالَتْ: أَعْطِنِي هَذَا التَّمْرَ أَحْمِلُهُ. قال (علي): «ابو العيال احقُّ بحمله». قالت: وقال: «الأُ تَأْكُلِينَ منه؟» قالت: قلتُ لا أُرِيدُهُ. قالت: فانطَلَقَ به الى منزله، ثم رَجَعَ وهو مُرْتَدٍ بِتَلْكَ المِلْحَفَةِ، وفيها قُشُورُ التَّمْرِ، فَصَلَّى بالناس فيها الجمعة.^١

٩ الامام الصادق «ع» - عن اسماعيل بن جابر قال: اتيتُ ابا عبدالله «ع» واذا هو في حائِطٍ له، وبيده مِسْحَاةٌ وهو يَفْتَحُ بها الماء، وعليه قَمِيصٌ شَبهُ الكَرَابِييسِ، كَأَنَّهُ مَخِيطٌ عَلَيْهِ من ضيقه.^٢

١ - الغارات ١ / ٨٩.

٢ - الوسائل ١٢ / ٢٣ - ٢٤.

الفصل الحادي عشر

الزهد والقناعة

الحديث

١ النبي «ص» - إنه أتى قُبَا يومَ خَميسٍ، وهو صائمٌ، فلَمَّا أَمْسَى قال: «هل عندكم من شراب؟». فقامَ رجلٌ من الانصار فأتاه بقَدَحٍ لَبِنٍ مَضْرُوبٍ بَعْسَلٍ، فلَمَّا طَعِمَهُ رسولُ الله «ص» نَزَعَهُ مِنْ فِيهِ وقال: «إِدامانِ يُجْتزى بأحدهما دونَ صاحبه، لا أشربُه ولا أُحَرِّمُه ولكنِّي أتواضعُ لربِّي، فإنَّه مَنْ تواضعَ لله رَفَعَهُ، ومن تكبَّرَ خَفَضَهُ، ومنِ اقْتَصَدَ في مَعِيشَتِهِ رَزَقَهُ اللهُ، ومن بَدَّرَ حَرَمَهُ اللهُ، ومن أكثرَ ذَكَرَ اللهُ رَزَقَهُ اللهُ»^١.

٢ الامام علي «ع» - ممَّا وَصَفَ به زهدَ النبي «ص»: «قد حَقَّرَ الدنيا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَهَا وَهَوَّنَهَا؛ وَعَلِمَ أَنَّ اللهُ زَواها عنه اِختياراً، وبَسَطَها لغيره اِحتقاراً، فأَعْرَضَ عن الدنيا بقلبه، واماتَ ذَكَرَها عن نفسه، وأَحَبَّ ان تَغيبَ زينتُها عن عينه، لكيلا يَتَّخِذَ منها رِياشاً، او يَرَجُوَ فيها مَقاماً»^٢.

٣ الامام الرضا «ع» - عن آباءه، عن عليّ «ع» قال: كُنَّا مَعَ النبي «ص» في حَفْرِ

١ - المستدرک ٣ / ٩٧.

٢ - نهج البلاغة / ٣٣٦: عبده ١ / ٢١٤.

الخدق، اذ جاءته فاطمة ومعها كسيرةٌ من خُبز فدفعَها الى النبي، فقال النبي: «ما هذه الكسيرة؟» قالت: «قُرصاً خَبَزْتُهُ للحسن والحسين، جئتُك منه بهذه الكسيرة». فقال النبي «ص»: «أما إنّه أوّل طعامٍ دَخَلَ فَمَ أَيْبِكَ منذُ ثلاثٍ»^١.

٤ الامام علي «ع»: ما كان لنا إلا إهابٌ كبشٍ، أبيتُ مع فاطمة بالليل، ويُعلَفُ عليها النّاضِح.^٢

٥ الامام علي «ع» - .. اشترى ثوباً، فأعجبه، فتصدّق به.^٣

٦ الامام علي «ع»: من يشتري سيفي هذا؟ فوالله لو كان عندي ثمنُ إزارٍ ما بعته.^٤

٧ الامام الباقر «ع»: ولقد وليّ (عليّ) خمسَ سنين، ما وضع أجره على أجره ولا لبنه، ولا أقطع قطعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء..^٥

٨ الامام علي «ع» - قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون انه كان زاهداً. قال له علي «ع»: لقد كان كذلك ومحمد «ص» ازهد الانبياء «ع»، ما رفعت له مائدة قطُّ وعليها طعام، وما أكل خبز برقط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليالٍ متواليات قطّ. تُوفّي ودرعه مرهونةٌ عند يهودي بأربعة دراهم. ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطئ له من البلاد ومكّن له من غنائم العباد. ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلاث مئة ألفٍ وأربع مئة ألف، ويأتيه السائل بالعهشي فيقول: «والذي بعث محمداً بالحق، ما أمسى في آل محمد صاعٌ

١ - البحار ٢٠ / ٢٤٥.

٢ و٣ و٤ - المناقب ٢ / ٩٥ - ٩٧.

٥ - امالي الصدوق / ٢٥٠.

- من شعير، ولا صاع من برّ، ولا درهم ولا دينار»^١.
- ٩ الامام الرضا «ع» - عن ابي عباد قال: كان جلوس الرضا «ع» في الصيف على حصير، وفي الشتاء على مسح، ولبس الغليظ من الثياب، حتى إذا برز للناس تزين لهم^٢.
- ١٠ الامام العسكري «ع» - قال كامل: فلما دخلت على سيدي ابي محمد، نظرت الى ثياب بياض ناعمة عليه فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله؟ فقال متبسماً: «يا كامل! - وحسر ذراعيه فاذا مسح أسود خشن على جلده، فقال: - هذا لله وهذا لكم...»^٣.
- ١١ الامام علي «ع»: .. فدعوني أكتف من دنياكم بملحي وأقراصى، فبتقوى الله أرجو خلاصى. ما لعلّي ونعيم يفتنى، ولذة تنحتها المعاصى؟ سألقى وشيعتى ربنا بعيون ساهرة، وبطون خماص^٤..
- ١٢ الامام علي «ع» - كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة، ثم ينضحه بالماء ثم يصلي فيه ركعتين ثم يقول: «تشهدان لي يوم القيامة»^٥.
- ١٣ الامام علي «ع» - إن علياً قدم اليه لحم غث فقيل له: نجعل لك فيه سمناً. فقال: «إنا لا نأكل إدامين جميعاً»^٦.

١ - الاحتجاج ١ / ٣٣٥.

٢ - البحار ٤٩ / ٨٩، عن «العيون».

٣ - البحار ٥٠ / ٢٥٣، عن كتاب «الغيبة»، للشيخ الطوسي.

٤ - البحار ٧٧ / ٣٩٥، عن «امالي الصدوق».

٥ - الغارات ١ / ٤٦ - ٤٧.

٦ - المناقب ٢ / ٩٩.

١٤ الامام علي «ع» - قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين «ع» : لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، قدّمتُ إليه عند افطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش. فلما فرغ من صلاته، أقبل علي فطوره، فلما نظر إليه وتأمله، حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً وقال: «يا بُنية! أتقدمين الي ابيك إدامين في فرد طبقٍ واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟ انا أريد أن أتبع اخي وابن عمي رسول الله «ص»، ما قدّم إليه إدامان في طبقٍ واحد، الي أن قبضه الله. يا بنية! ما من رجلٍ طاب معظّمه ومشرّبُه وملبّسه، الاّ طال وقوفُه بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة. يا بنية! إنّ الدنيا في حلالها حسابٌ وفي حرامها عقابٌ..»^١.

١٥ الامام علي «ع» - رآه عديّ بن حاتم، وبين يديه شنة فيها قراح ماءٍ وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: «إني لا اري لك يا امير المؤمنين! لتظّل نهارك طاوياً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك؟». فقال «ع»: «علّل النفس بالقنوع! والاّ طلبت منك فوق ما يكفيها»^٢.

١٦ الامام الصادق «ع» - عن ابيه: إنّ امير المؤمنين علي بن ابي طالب أتى بخبيص فابى أن يأكله، فقالوا له: أتحرّم؟ قال: «لا، ولكنني أخشى ان تتوق اليه نفسي فأطلبه». ثم تلا هذه الآية: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها»^٣.

١٧ الامام علي «ع» - قال سويد بن غفلة: دخلتُ على علي بن ابي طالب العصر،

١ - البحار ٤٢ / ٢٧٦.

٢ - المناقب ٢ / ٩٨.

٣ - سورة الاحقاف (٤٦) : ٢٠.

٤ - امالي المفيد / ٧٨ - ٧٩.

فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا، بَيْنَ يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ فِيهَا لَبَنٌ حَازِرٌ، اجِدُ رِيحَهُ مِنْ شِدَّةِ حُمُوضَتِهِ، وَفِي يَدِهِ رَغِيفٌ ارَى قِشَارَ الشَّعِيرِ فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ يَكْسِرُهُ بِيَدِهِ أحيانًا، فَاذَا غَلَبَهُ كَسَرَهُ بِرُكْبَتِهِ وَطَرَحَهُ فِيهِ. فَقَالَ: «أَدْنُ وَأَصِيبُ مِنْ طَعَامِنَا هَذَا!» فَقُلْتُ: «إِنِّي صَائِمٌ». فَقَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» يَقُولُ: «مَنْ مَنَعَهُ الصَّوْمُ مِنْ طَعَامٍ يَشْتَهِيهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُطْعِمَهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ وَيَسْقِيَهُ مِنْ شَرَابِهَا»». قَالَ (سُوَيْدٌ): فَقُلْتُ لِجَارِيَتِهِ - وَهِيَ قَائِمَةٌ بِقَرِيبٍ مِنْهُ - : وَيَحِكُ يَا فِضَّةُ! أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي هَذَا الشَّيْخِ! أَلَا تَنخُلُونَ لَهُ طَعَامًا مِمَّا ارَى فِيهِ مِنَ النَّخَالَةِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ تَقَدَّمَ الْيَنَا أَنْ لَا نَنخُلَ لَهُ طَعَامًا. قَالَ «ع»: «مَا قُلْتَ لَهَا؟» فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ لَمْ يُنخُلْ لَهُ طَعَامًا، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خَبْزِ الْبُرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». - وَفِي رِوَايَةٍ: «أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» يَأْكُلُ أَيْبَسَ مِنْ هَذَا، وَيَلْبَسُ أَخْشَنَ مِنْ هَذَا، فَإِنَّ أَنَا لَمْ أَخْذُ بِهِ خِفْتُ أَنْ لَا أَلْحَقَ بِهِ»^١.

١٨ الامام الصادق «ع»: مَا اعْتَلَجَ عَلَى عَلِيٍّ «ع» امْرَانِ اللَّهِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا، وَمَالَ زَالَ عِنْدَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا عَمِلَتْ يَدُهُ، يُؤْتِي بِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَإِنْ كَانَ لِيَأْخُذُ السُّوَيْقَ فَيَجْعَلُهُ فِي الْجِرَابِ ثُمَّ يَخْتِمُ عَلَيْهِ، مَخَافَةَ أَنْ يُزَادَ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَمَنْ كَانَ أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَلِيٍّ «ع»؟^٢

١٩ الامام علي «ع» - تَرَصَّدَ غِدَاءَهُ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ، فَأَتَتْ فِضَّةٌ بِجِرَابٍ مَخْتُومٍ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ خَبْزًا مَتَغَيَّرًا خَشِنًا. فَقَالَ عَمْرُو: يَا فِضَّةُ! لَوْ نَخَلْتِ هَذَا الدَّقِيقَ وَطَيَّبْتِهِ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَفْعَلُ فَنَهَانِي، وَكُنْتُ اضْعُ فِي جِرَابِهِ طَعَامًا طَيِّبًا فَخْتَمَ جِرَابَهُ. ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَّهُ فِي قَصْعَةٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ ذَرَّ عَلَيْهِ

١ - كشف الغمّة ١ / ١٦٣؛ البحار ٤٠ / ٣٣١.

٢ - الفارات ١ / ٨١ - ٨٢.

المِلح، وحَسَرَ عن ذراعِهِ، فلَمَّا فرَغ قال: «يا عمرو! لقد حانتُ هذه - ومدَّ يَدَهُ الى مَحاسنِهِ - وخَسِرْتُ هذه إن أُدخِلها النَّار من أجلِ الطَّعام، وهذا يَجزِيني»^١.

٢٠ الامام علي «ع» - وَضَعَ خِوانٌ مِنْ فالوذجِ بين يديه، فوجأً بِأصْبِعِهِ حتى بَلَغَ أسْفَلَهُ، ثم سَلَّها ولم يأخُذْ مِنْهُ شيئاً وتَلَمَّظَ بِأصْبِعِهِ وقال: «طَيِّبٌ، طَيِّبٌ، وما هو بحرام، ولكن أكرَهُ أن أُعوِّدَ نَفْسِي بما لم أُعوِّدْها». وفي خِبر، من الصادق «ع»: «انه مدَّ يَدَهُ اليه ثم قَبَضَها فقيِل له في ذلك، فقال: ذكرتُ رسولَ الله انه لم يأْكُلْه قَطُّ، فَكَرِهْتُ أن آكُلْه»^٢.

الفصلُ الثاني عشر

تعظيم المسؤولية والاهتمام بها

الكتاب

- ١ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم، عزيزٌ عليه ما عنتم، حريصٌ عليكم،
بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم *^١
- ٢ فلعلك باخع نفسك على آثارهم، إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفاً؟ *^٢
- ٣ طه * ما أنزلنا عليك القرآنَ لِتَشقى *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: لو وُضعتِ الشمسُ في يميني والقمرُ في شمالي، ما تركتُ
هذا القولَ حتى أنفذَهُ أو أُقتلَ دونه ..^٤

١ - سورة التوبة (٩) : ١٢٨.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٦.

٣ - سورة طه (٢٠) : ١ - ٢.

٤ - المناقب ١ / ٥٨.

٢ الامام علي «ع» : أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! لولا حضور الحاضر وقيام الحجّج بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقاروا علي كظّة ظالمٍ ولا سغبٍ مظلومٍ، لألقيتُ حبلها على غاربها، وسقيتُ آخرها بكأسٍ أولها، ولألقيتُم دنياكم هذه أزهّد عندي من عَفْطَةِ عَنزٍ^١

٣ الامام علي «ع» - عند خروجه لقتال أهل البصرة؛ قال عبّاد بن عباس: دخلتُ على أمير المؤمنين «ع» بذي قارٍ - وهو يَخِصِفُ نَعْلَهُ - فقال لي: «ما قيمة هذا النعل؟» فقلتُ: لا قيمة لها. فقال «ع»: «والله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ باطلاً»، ثم خرج فخطبَ الناس.^٢

٤ الامام علي «ع»: .. والله لو أُعْطِيتُ الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلبٍ شعيرةٍ ما فعلته. وإن دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فم جرادةٍ تقضمها. ما لعلّي ولنعيمٍ يَفْنِي؟ ولذّةٍ لا تَبْقَى؟ نعوذُ بالله من سُبَاتِ العقل وقُبْحِ الزلّل، وبه نستعين.^٣

٥ الامام علي «ع»: لم تكن بيعتكم آيائي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً. إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم. أيها الناس! أعينوني على أنفسكم؛ وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزائمه، حتى أوردّه منهل الحق وان كان كارهاً.^٤

٦ الامام علي «ع» - لما أُشِيرَ إليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يُرصد لهما القتال: والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم، حتى يصل إليها طالبها

١ - نهج البلاغة / ٥٢: عبده ١ / ٣١ - ٣٢.

٢ - نهج البلاغة / ١١١: عبده ١ / ٧٦.

٣ - نهج البلاغة / ٧١٤: عبده ٢ / ٢٤٥.

٤ - نهج البلاغة / ٤١٧: عبده ٢ / ٢٦.

الفصل الثاني عشر: تعظيم المسؤولية والاهتمام بها

وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمَطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ «ص» حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.^١

٧ الامام علي «ع» - إِنَّ قَنْبِرًا قَدَّمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع» جَامَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فِي الرَّحْبَةِ وَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَتْرُكُ شَيْئًا إِلَّا قَسَمْتَهُ فَخَبَأْتُ لَكَ هَذَا؛ فَسَلِّ سَيْفَهُ وَقَالَ: «وَيْحَكَ! لَقَدْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُدْخِلَ بَيْتِي نَارًا؟» ثُمَّ اسْتَعْرَضَهَا بِسَيْفِهِ، فَضَرَبَهَا حَتَّى انْتَثَرَتْ مِنْ بَيْنِ أِنَاءٍ مَقْطُوعٍ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ وَقَالَ: «عَلَيَّ بِالْعُرْفَاءِ!» فَجَاؤُوا؛ فَقَالَ: «هَذَا بِالْحِصَصِ...».^٢

٨ الامام علي «ع» - عَنْ سَالِمِ الْجَحْدَرِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ «ع» أُتِيَ بِمَالٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ: «إِقْتَسِمُوا هَذَا الْمَالَ!». فَقَالُوا: قَدْ أَمْسَيْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخَّرَهُ إِلَى غَدٍ! فَقَالَ لَهُمْ: «تَقْبَلُونَ لِي أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ؟» قَالُوا: مَاذَا بِأَيْدِينَا؟ فَقَالَ: «لَا تُؤَخِّرُوهُ حَتَّى تَقْسِمُوهُ».^٣

١ - نهج البلاغة / ٥٨ - ٥٩: عبده ١ / ٣٦ - ٣٧.

٢ - المناقب ٢ / ١٠٨.

٣ - البحار ٤٠ / ٣٢١.

الفصل الثالث عشر

الاستعداد للدفاع والحرب

الكتاب

١ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُهُمْ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ..^١

الحديث

١ النبي «ص»: للجنة باب يقال له بابُ المجاهدين، يَمْضُونَ اليه فاذا هو مفتوح، وهم مُتَقَلِّدُونَ بسيفِهم، والجمعُ في الموقف، والملائكة تُرْحَبُ بهم. فمن ترك الجهادَ أَلْبَسَهُ اللهُ ذُلًّا في نفسه، وفقراً في معيشته، ومَحَقًّا في دينه. إنَّ الله - تبارك وتعالى - أَعَزَّ أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا ومراكزِ رِمَاحِهَا.^٢

٢ النبي «ص»: من بَلَغَ رسالةَ غازٍ، كان كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، وهو شريكه في بابِ

١ - سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ - امالي الصدوق / ٥١٧.

غزوته^١.

٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق «ع»: خيولُ الغزاةِ خيولُهم في الجنة^٢.

٤ النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق، عن آبائه: الخيرُ كله في السيف، وتحت ظلِّ السيف، ولا يُقيمُ الناسَ الا السيفُ؛ والسيفُ مقاليدُ الجنة والنار^٣.

٥ الامام علي «ع»: لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ، ولا يُدْرِكُ الحَقُّ اِلاَّ بِالْجِدِّ^٤.

٦ الامام علي «ع»: معاشرَ المسلمين! اسْتَشْعِرُوا الخَشْيَةَ،^٥ وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا على النُّواجِدِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى للسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ؛ وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ، وَقَلَقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الخَزَرَ، وَأَطْعَمُوا الشَّرَرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصَلُوا السُّيُوفَ بِالخُطَا. واعلموا! أنكم بعينِ الله ومع ابنِ عمِّ رسولِ الله «ص»: فعاوِدُوا الكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الأَعْقَابِ، وَنَارُ يَوْمِ الحِسَابِ. وَطَيَّبُوا عَن أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامشُوا الى الموتِ مَشياً سُجْحاً. وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ والرُّوْاقِ المُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا تَبَجَه! فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلوَثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً، حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الحَقِّ، «وَأَنْتُمْ الأَعْلُونَ، وَاللهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمُ»^٦.

١ و ٢ و ٣ - امالي الصدوق / ٥١٧.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٣؛ عبده / ١ / ٧٠.

٥ - اي الخشية من الله تعالى، حتى تكون سبباً لعدم الخشية من غيره، والاستقامة أمام أعداء الدين.

٦ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٥.

٧ - نهج البلاغة / ١٥٨؛ عبده / ١ / ١١٠ - ١١٢.

٧ الامام علي «ع» - فيما كتب الى الخارجين باليمن: من عبد الله عليّ امير المؤمنين، الى من شاقَّ وغَدَرَ من أهل الجُندِ وصنعا. أمّا بعد، فإنّي أحمدُ الله الذي لا إله الا هو، الذي لا يُعقَّبُ له حُكم، ولا يُردُّ له قضاء، ولا يُردُّ بأُسه عن القوم المجرمين. وقد بلغني شِقاؤكم واعراضكم عن الدّين، بعد الطّاعة وإعطاء البيعة، فسألْتُ أهلَ الدّينِ الخالص، والورعِ الصادق، واللّبِّ الرَّاجح، فحدّثتُ عن ذلك بما لم أرَ لكم في شيءٍ منه عُذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجةً ظاهرة؛ فاذا أتاكم رسولي فتفرّقوا وانصرفوا الى رحالكم، أعفُ عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأعمل فيكم بحُكم الكتاب. وان لم تفعلوا، فاستعدّوا لُقدوم جيشِ جَمِّ الفُرسان، عظيمِ الاركان، يقصدُ من عَصَى وطغى، فتطحنوا طحنَ الرُّحى؛ فَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ، ومن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، وما ربُّك بظلامٍ للعبيد.^١

٨ الامام علي «ع» - في حثِّ أصحابه على القتال: فَقَدِّمُوا الدّارع، وأخروا الحاسِر، وعضوا على الأضراس، فإنّه أنبى للسيوف عن الهام؛ والتّووا في أطرافِ الرّماح، فإنّه أَمورٌ للأسيئة؛ وغضوا الأبصار فإنّه أربطُ للجأش، وأسكنُ للقلوب؛ وأميتوا الأصوات، فإنّه أطرْدُ للفشل .. وأيمُ الله لئن فررتم من سيفِ العاجلة، لا تسلموا من سيفِ الآخرة .. الجَنّة تحت أطرافِ العوالي ..^٢

٩ الامام علي «ع» - قاله لأصحابه في ساعة الحرب: إنَّ الموتَ طالبٌ حيثُ لا يَفوتُهُ المُقيم، ولا يُعجزُهُ الهارب. إنَّ أكرمَ الموتِ القتلُ! والذي نفسُ ابنِ أبي طالبٍ بيده، لألْفُ ضربةٍ بالسيفِ أهونُ عليّ من ميتةٍ على الفراشِ في

١ - مُستدرِكُ نهجِ البلاغة / ١٣٥ - ١٣٦.

٢ - نهجِ البلاغة / ٣٨٢ - ٣٨٣؛ عبده ٢ / ٤ - ٥.

غير طاعة الله .. وكأني أنظر اليكم تكشون كشيئ الضباب، لا تأخذون حقاً ولا تمنعون ضيماً. قد خليتكم والطريق، فالنجاة للمقتحم، والهلكة للمتلوم.^١

١٠ الامام علي «ع» - قال لابنه محمد بن الحنفية، لما أعطاه الراية يوم الجمل: تزول الجبال ولا تزُل! عَضَّ على ناجِدِك! أَعِرِ الله جُمُجَمَتَكَ! تَدُ في الارضِ قَدَمَكَ!..^٢

١١ الامام علي «ع»: فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قُبَلِ الأشراف، أو سفاح الجبال، أو أثناء النهار، كيما يكون لكم رداءً، ودونكم مرداً؛ ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين؛ واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن. واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً. وإذا غشيتكم الليل فاجعلوا الرماح كفةً، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة.^٣

١٢ الامام الباقر «ع»: يا حاكم! كلنا قائم بأمر الله. قلت: فأنت المهدي؟ قال: كلنا نهدي إلى الله. قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: كلنا صاحب السيف ووارث السيف..^٤

١٣ الامام الكاظم «ع» - أبراهيم بن الحميد قال: دخلت على ابي الحسن الأول «ع»، في بيته الذي يصلي فيه، فاذا ليس في البيت إلا خصة،

١ - نهج البلاغة / ٣٨٠ - ٣٨١؛ عبده ٢ / ٣ - ٤.

٢ - نهج البلاغة / ٦٢؛ عبده ١ / ٣٩.

٣ - نهج البلاغة / ٨٥٤؛ عبده ٣ / ١٤.

٤ - الكافي / ١ / ٥٣٦.

وسيفٌ مُعلّق، ومُصحَف.^١

١٤ الامام الهادي «ع» - سَعَى البَطْحَانِي بِأَبِي الْحَسَنِ «ع» الى المتوكّل وقال: عنده أموالٌ وسِلاحٌ. فتقدّم المتوكّل الى سعيد الحاجب أن يهجمَ عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده، الأموال والسِلاح، ويحمّله اليه. قال ابراهيمُ بنُ محمد: فقال لي سعيد الحاجب: صرّت الى دار أبي الحسن «ع» بالليل، ومعِي سُلّمٌ، فصعدتُ منه الى السطح ونزلتُ من الدَّرَجَةِ الى بعضها في الظُّلْمَةِ، فلم أدِر كيف أصلُ الدار، فناداني ابوالحسن «ع» من الدّار: «يا سعيد! مكانك حتى يأتوك بشمعة». فلم ألبثُ أن أتوني بشمعة، فنزلتُ فوجدتُ عليه جُبَّةً صوفٍ وقلنسوةً منها، وسجّادته على حصير بين يديه، وهو مُقبِلٌ على القبلة، فقال لي: «دونك البيوت!» فدخلتها وفتشتها، فلم أجد فيها شيئاً .. فقال لي ابوالحسن «ع»: «دونك المُصلّى!»، فرفعتُه، فوجدتُ سيفاً في جَفَنِ مَلْبوسٍ ..^٢

الفات نظر

أمثالُ هذا الموقف نجدُها كثيرةً في أحوال الائمة وحياتهم، حيث كانوا متأهبين لتركيز الحق وصيانته بالقوة والسلاح. وكانوا على هذا التأهب والاستعداد، في كل مقام يناسب هذا الأمر. وكم كانوا يُحرّضون الشيعة وشبّانهم على تعلّم الرماية والفروسية. فلتكن من تلك المواقف، أسوةً للشيعة، ولتقم بهذه التعبئة - ولا سيّما في هذه الازمان - حتى يُتاح لها بسطُ العدالة والحق ونشرُ رسالة الدين على الارض، وقطعُ يد الجبابة والخائنين، والانتصارُ

١ - قرب الاسناد / ١٧٤.

٢ - كشف الغمة / ٢ / ٣٧٩.

الفصل الثالث عشر: الاستعداد للدفاع والحرب

في كل ساحات الحياة الحرة الكريمة، كما قال الامام جعفرُ
الصادق «ع»: «شيعتنا أهل الهدى، وأهل التقى، وأهل الخير،
وأهل الايمان، وأهل الفتح والظفر»^١.

الفصل الرابع عشر

حقوق الناس والعمل على تحقيقها وصيانتها

الكتاب

- ١ ونَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ *^١
- ٢ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، يَأْتِ بِهَا اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ *^٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا، فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا *^٣

الحديث

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٧ .

٢ - سورة لقمان (٣١) : ١٦ .

٣ - سورة النساء (٤) : ٢٩ - ٣٠ .

الفصل الرابع عشر: حقوق الناس والعمل على..

١ النبي «ص»: «إِنَّ اقْرَبَكُمْ مِنِّي غَدًا وَأَوْجِبَكُمْ عَلَيَّ شَفَاعَةً، اصْدُقْكُمْ لِسَانًا، وَأَدَاكُمْ لِلْإِمَانَةِ، وَأَحْسِنُكُمْ خُلُقًا، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ»^١.

٢ الامام علي «ع» - الى بعض عمّاله: فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ، لِأَعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَا ضَرْبَنَّاكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لِهَمَّا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفْرًا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا، وَأُزِيلَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا. وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا يُسْرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي. فَضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضِيعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ^٢.

٣ الامام علي «ع» - قَدِمَ عَلَيْهِ عَقِيلٌ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ: «أَكْسُ عَمَّكَ!» فَكَسَاهُ قَمِيصًا مِنْ قُمُصِهِ، وَرِدَاءً مِنْ أَرْدِيَّتِهِ. فَلَمَّا حَضَرَ الْعِشَاءُ فَإِذَا هُوَ خُبْزٌ وَمِلْحٌ، فَقَالَ عَقِيلٌ: لَيْسَ مَا أَرَى. فَقَالَ: «أَوْ لَيْسَ هَذَا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ؟ فَلَهُ الْحَمْدُ كَثِيرًا». فَقَالَ (عَقِيلٌ): أَعْطِنِي مَا أَقْضِي بِهِ دِينِي، وَعَجَّلْ سَرَاحِي حَتَّى أَرْحَلَ عَنْكَ. قَالَ: «فَكَمْ دَيْنُكَ يَا أَبَا يَزِيدَ؟» قَالَ: مِئَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ: «وَاللَّهِ مَا هِيَ عِنْدِي وَلَا أَمْلِكُهَا، وَلَكِنْ أَصْبِرْ حَتَّى يَخْرُجَ عَطَايَ فَأُوَاسِيكَهُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلْعِيَالِ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْطَيْتُكَ كُلَّهُ». فَقَالَ عَقِيلٌ: بَيْتُ الْمَالِ فِي يَدِكَ وَانْتَ تُسَوِّفُنِي إِلَى عَطَائِكَ. وَكَمْ عَطَاؤُكَ وَمَاعَسِي يُكُونُ لَوْ أَعْطَيْتَنِيهِ كُلَّهُ؟ فَقَالَ: «مَا أَنَا وَانْتَ فِيهِ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ فَوْقَ

١ - امالي الصدوق / ٤٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ٩٥٧، عبده ٣ / ٧٤ - ٧٥.

قصر الامارة، مُشرفين على صناديقِ اهلِ السُّوق، فقال له علي «ع» : - إن أبيت يا ابا يزيد ما اقول، فأنزل الى بعضِ هذه الصّناديق، فأكسر أقفاله وخذ ما فيه!» فقال: وما في هذه الصّناديق؟ قال: «فيها اموالُ التُّجار!». قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قومٍ قد توكّلوا على الله وجعلوا فيها اموالهم. فقال اميرُ المؤمنين: «أتأمرني أن افتح بيتَ مالِ المسلمين فأعطيك اموالهم، وقد توكّلوا على الله وأقفلوا عليها؛ وان شئت أخذت سيفك واخذت سيفي وخرجنا جميعاً الى الحيرة، فإن بها تجاراً مياسير، فدخنا على بعضهم فأخذنا ماله». قال: أو سارقاً جئت؟! قال: «تسرق من واحدٍ خيرٌ من أن تسرق من المسلمين جميعاً».١.

٤ الامام علي «ع» - جاء عليّ حتى مرّ بالأنبار فاستقبله بنوخشنوشك، دهاقنتها .. فلما استقبلوه نزلوا، ثم جاؤوا يشتدون معه، قال: «ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟» قالوا: أمّا هذا الذي صنعنا فهو خلقٌ منا نُعظّم به الأمراء، وأمّا هذه البراذينُ فهديّة لك. وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهيئنا لدوابكم علفاً كثيراً. قال: «أمّا هذا الذي زعمتم أنه منكم خلقٌ، تُعظّمون به الأمراء، فوالله ما ينتفع بهذا الأمراء، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له! وأمّا دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم، أخذناها منكم. وأمّا طعامكم الذي صنعتم لنا فإننا نكره أن نأكل من اموالكم شيئاً إلا بشمن». قالوا: يا امير المؤمنين! نحن نُقوّمه ثم نقبلُ ثمنه. قال: «إذا لا تقوّمونه قيمته، نحن نكتفي بما دونه». قالوا: يا امير المؤمنين! فإن لنا من العرب موالٍ ومعارف، فتمنّعنا ان نُهدي لهم، وتمنّعهم أن يقبلوا منا؟ قال: «كلّ العرب

لَكُمْ مَوَالٍ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّتَكُمْ، وَإِنْ غَضِبَكُمْ أَحَدٌ فَأَعْلِمُونَا ..»^١.

٥ الامام علي «ع» - عاصم بن كليب الجرمي، عن ابيه، إنه قال: كنتُ عند عليّ «ع» فجاءه مالٌ من الجبل، فقام فقمنا معه حتى انتهى الى خر بندجن وجمالين^٢، فاجتمع الناسُ اليه حتى ازدحموا عليه؛ فأخذ جبالاً فوصلها بيده وعقد بعضها الى بعض، ثم أدارها حول المتاع، ثم قال: «لا أجلُّ لأحدٍ أن يُجاوِزَ هذا الحبل». قال: فقعدنا من وراء الحبل ودخل عليّ «ع» فقال: «أين رؤوسُ الأسباع؟» فدخلوا عليه، فجعلوا يحملون هذا الجوالق الى هذا الجوالق، وهذا الى هذا، حتى قسموه سبعة أجزاء. قال: فوجد مع المتاع رغيفاً، فكسره سبع كسِرٍ، ثم وضع على كلِّ جزءٍ كِسرةً. ثم قال:

هذا جنائي وخياره فيه
إذ كلُّ جانٍ يده الى فيه

قال: ثم أقرعَ عليها، فجعل كلُّ رجلٍ يدعو قومه فيحملون الجوالق^٣.

٦ الامام علي «ع» - مما كتب الى زياد بن ابيه، وهو خليفة عامليه عبدالله بن عباس: .. وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لن بلغني أنك خنت من فيء

١ - وقعة صيفين / ١٤٣ - ١٤٤.

٢ - «.. والظاهر - والله العالم - ان العبارة قد كانت هكذا: خر بنده جن وجمالين، وخر بنده كلمة فارسية مركبة من كلمتي «خر» و«بنده»، ومعناها صاحب الحمار وموجره ومكريه، المكاري، وكلمة «جن» في آخرها علامة الجمع الفارسي، معرب «گان» .. وخر بنده جن معربة من «خر بندگان»، واما جمالين بالجيم فهو جمع جمال، وهو معروف». هذه فائدة نقلناها من تعاليق كتاب «الفارات» ج ١ / ٥٢؛ غير أنه اذا كانت كلمة «خر بند جن»، معربة من «خر بندگان» الفارسية، فلا تحتاج الى الهاء - كما هو معلوم.

٣ - الفارات ١ / ٥٢ - ٥٣.

المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّةً تدعك قليل الوفر، ثقيل الظّهر، ضئيل الأمر. والسلام^١.

٧ الامام علي «ع»: أدقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا من فضولكم، واقصدوا قصد المعاني؛ وإياكم والإكثار، فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار^٢.

* راجع ايضاً: الفصل الاول من هذا الباب، فقرة «د».

١ - نهج البلاغة / ٨٧٠: عبده ٣ / ٢٢.

٢ - مُستدرِكُ نهج البلاغة / ١١١.

الفصلُ الخامس عشر

المثل العليا

أ - من أخلاق الرائد

الكتاب

- ١ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ *^١
- ٢ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ، وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ، قُلْ : أُوذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» لَا يَدْعُ أَحَدًا يَمْشِي مَعَهُ إِذَا كَانَ رَاكِبًا حَتَّى يَحْمِلَهُ مَعَهُ، فَإِنْ أَبِي قَالَ: «تَقَدَّمَ أَمَامِي وَأَدْرِكُنِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي

١ - سورة القلم (٦٨): ٤.

٢ - سورة التوبة (٩): ٦١.

تريد!». ودعاه قومٌ من اهل المدينة الى طعامٍ صنعوه له ولا صحابٍ له خمسة، فأجاب دعوتهم. فلما كان في بعض الطريق أدركهم سادسٌ، فماشاهم. فلما دنوا من بيت القوم، قال للرجل السادس: «إن القوم لم يدعوك، فأجلس حتى نذكر لهم مكانك ونستأذنهم لك»^١.

٢ الامام علي «ع»: ما صافح رسول الله احداً قط فنزع يده من يده، حتى يكون الذي هو ينزع يده. وما فاوضه احد قط في حاجة او حديث فانصرف، حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف .. وما سُئل شيئاً قط فقال: لا^٢.

٣ الامام الحسن «ع»: سألت خالي، هند بن ابي هالة التميمي - وكان وصافاً عن حليّة النبي «ص» - .. فقال: كان رسول الله «ص» فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلاًلؤ القمر ليلة البدر.. اذا زال زال قلعا، يخطو تكفوفاً، ويمشي هوناً، سريع المشية، اذا مشى كأنما ينحط من صبيب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يسوق اصحابه، ويبدر من لقي بالسّلام.

قال (الامام الحسن): قلت له: صف لي منطقه. قال: كان رسول الله «ص» متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين. يعظم النعمة وان دقت، ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فاذا تعوطي الحق لم يعرفه احد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له .. إذا أشار أشار بكفه كلها .. جلُّ ضحكته التّبسم .. قال: فسألته من مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول

الفصل الخامس عشر: المثل العليا

الله «ص» يَخْزُنُ لِسَانَهُ الْإِذَا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُنْفِرُهُمْ .. وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، فَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيه، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ .. لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَجُوزُهُ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مَوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً.

قال: فسألته عن مجلسه؟ قال: كان رسول الله «ص»: لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله - جل اسمه - ولا يوطن إلا ما كن وينهى عن إيظانها؛ وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كلاً من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالس أو قاومه في حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه. ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فكان لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواءً. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وإمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيه الحرم .. يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته مع جلسائه؟ قال: كان رسول الله «ص»

دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح .. قد ترك نفسه من ثلاث: المرء والإكثار وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته ولا عثراته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير؛ وإذا سكت تكلموا، ولا يتأزعون عنده الحديث. من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أوليهم. يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة في

١ - يعني: لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به - (مكارم الاخلاق / ١٢).

منطقه ومسالته، حتى أن كان اصحابه ليستجلبونهم. ويقول: «إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه!» ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام.

قال: قلت: كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوت رسول الله «ص» على اربعة: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه. وجمع له الحذر في اربعة: اخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة^١.

٤ الامام الصادق «ع»: كان رسول الله «ص» يقسم لحظاته بين اصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية .. ولم يبسط رسول الله رجليه بين اصحابه قط^٢..

٥ الامام الصادق «ع»: لقي النبي «ص» حذيفة فمد النبي يده فكف حذيفة يده، فقال النبي: «يا حذيفة! بسطت يدي اليك فكففت يدك عني؟» فقال حذيفة: يا رسول الله! بيدك الرغبة، ولكني كنت جنباً، فلم أحب أن تمس يدي يدك وأنا جنب؛ فقال النبي: «أما تعلم! أن المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»^٣.

ب - تحقيق النصر بالعدل، لا بالجور

١ - مكارم الاخلاق / ٩ - ١٤؛ البحار ١٦ / ١٤٩ - ١٥٣؛ والألفاظ مأخوذة من المصدرين .

٢ - الوسائل ٨ / ٤٩٩.

٣ - الوافي ١ (م ٣) / ١١١.

الكتاب

- ١ .. وما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا *^١
- ٢ ولا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ، ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - لَمَّا عُوتِبَ عَلَى تَصْيِيرِهِ النَّاسَ إِسْوَةً فِي الْعَطَاءِ، مِنْ غَيْرِ تَفْضِيلِ أُولَى السَّابِقَاتِ وَالشَّرَفِ: اتَّأَمَّرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فَيَمُنُّ وَوَلِيْتُ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا؛ وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ..^٣
- ٢ الامام علي «ع» - قِيلَ لَهُ أُعْطِي هَذِهِ الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ وَفِرَارِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ! فَقَالَ «ع»: اتَّأَمَّرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ؟ لَا وَاللَّهِ، لَا أَفْعَلُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا لَاحَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ؛ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَالُهُمْ لِي لَوَاسَيْتُ بَيْنَهُمْ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْوَالُهُمْ؟^٤

ج - التواضع الحق

-
- ١ - سورة الكهف (١٨) : ٥١.
 - ٢ - سورة هود (١١) : ١١٣.
 - ٣ - نهج البلاغة / ٣٨٩ - ٣٩٠: عبده ٢ / ١٠.
 - ٤ - البحار ٤٠ / ٣٢١.

الكتاب

١ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * ١

الحديث

١ النبي «ص» - عليّ بن المُغيرة قال: سمعتُ ابا عبدالله «ع» يقول: إنَّ جبرئيل اتى رسولَ الله «ص» فَخَيْرُهُ وَاشارَ عليه بالتواضع، وكان له ناصحاً؛ فكان رسولُ الله «ص» يأكلُ إكلَّةَ العبدِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العبدِ، تواضعاً لله - تبارك وتعالى - ٢.

٢ النبي «ص»: يا اباذرّ! إِنِّي أَلْبَسُ الغليظَ، وَأَجْلِسُ على الارضِ، وَأَلْعَقُ أَصَابِعِي، وَأَرْكَبُ الحِمَارَ بغيرِ سَرَجٍ، وَأَرْدِفُ خَلْفِي؛ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنتي فليسَ مِنِّي. ٣.

٣ الامام علي «ع» - قد لَقِيَهُ عندَ مسيرِهِ الى الشّامِ دهاقينُ الأنبارِ، فترجّلوا له وَاشتدّوا بين يَدَيْهِ: «ما هذا الذي صَنَعْتُمُوهُ؟» فقالوا: خُلِقَ مِنّا نُعْظُمُ به أُمراءُنا، فقال: «والله ما يَنْتَفَعُ بهذا امرأؤُكم، وَإِنَّكُمْ لَتَشْقُونَ على انْفُسِكُمْ في دنياكم، وَتَشْقُونَ به في آخِرَتِكُمْ. وما أَخْسَرَ المَشَقَّةَ وراءَها العِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ معها الامانُ مِنَ النارِ». ٤.

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٢١٥.

٢ - الكافي ٨ / ١٣١.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥٤٥.

٤ - نهج البلاغة / ١١٠٤؛ عبده ٣ / ١٦٠.

٤ الامام الصادق «ع»: خَرَجَ اميرُ المؤمنين الى اصحابِه - وهو راكبٌ - فَمَشَوْا خلفه، فَالْتَفَتَ اليهم فقال: «لكم حاجة؟» فقالوا: لا، يا اميرَ المؤمنين! ولكنَّا نُحِبُّ أَنْ نَمشيَ مَعَكَ؛ فقال لهم: «انصِرِفُوا! فَإِنَّ مَشِيَ الماشي مَعَ الرَّاكِبِ مَفْسَدَةٌ للرَّاكِبِ، وَمَذَلَّةٌ للماشي» .. وَرَكِبَ مرَّةً أُخْرَى فَمَشَوْا خلفه فقال: «انصِرِفُوا! فَإِنَّ خَفَقَ النُّعَالِ خَلْفَ أَعْقَابِ الرِّجَالِ، مَفْسَدَةٌ لِقُلُوبِ النُّوكِيِّ»^١.

د - الايمان بالانسان

الكتاب

١ قُلْ : اذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ..^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - مَرَّ شَيْخٌ مَكْفُوفٌ كَبِيرٌ يَسْأَلُ، فَقَالَ اميرُ المؤمنين: «ما هذا؟» قالوا: يا اميرَ المؤمنين! نصرانيٌّ. فقال امير المؤمنين: «إِسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبُرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ! أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ المَالِ»^٣.

٢ الامام علي «ع»: .. لَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا العَسَلِ، وَلُبَابِ

١ - البحار ٤١ / ٥٥.

٢ - سورة التوبة (٩): ٦١.

٣ - الوسائل ١١ / ٤٩.

هذا القمّح ، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني
جشعي الى تخيير الأطمعة، ولعلّ بالحجاز او اليمامة من لا طمّع له في
القرص ولا عهد له بالشّبع! او أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرثى وأكباد
حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَةً
وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنْ يُقَالَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ
أَكُونَ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ؟^١.

٣ الامام علي «ع» : .. لقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخلُ على المرأة
المُسلِمة والأخرى المُعاهِدة، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا وَرِعَاثَهَا، مَا
تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انصَرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا
مِنْهُمْ كَلِمٌ وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ. فَلَوْ أَنَّ امْرَأً أُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا اسْفَاءً، مَا
كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا^٢..

* وتجدُ لذلك أمثلة كثيرة في سيرة النبيّ الاعظم «ص»

والائمة المعصومين «ع» وتعاليمهم، فراجع .

هـ - اعمل لنفسك بنفسك

١ - نهج البلاغة / ٩٧٠ - ٩٧١؛ عبده ٣ / ٨٠ - ٨١.

٢ - نهج البلاغة / ٩٥؛ عبده ١ / ٦٤ - ٦٥.

الكتاب

- ١ ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبالٍ أوبي معه والطير، والناله الحديد * أن
اعملُ سابغاتٍ، وقدر في السرد..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: جُعتُ يوماً بالمدينة جوعاً شديداً فخرجتُ أطلبُ العملَ في
عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأةٍ قد جمعتُ مدراً فظننتُها تريدُ بله، فأتيتها
فقاطعتها عليه، كلُّ ذنوبٍ على تمرّة؛ فمددتُ ستةَ عشرَ ذنوباً حتى مجلتُ
يدي، ثم أتيتُ الماء فأصبتُ منه، ثم أتيتها فقلتُ: بكفي هكذا، بين يديها..
فعدتُ لي ستةَ عشرةَ تمرّة. فأتيتُ النبي «ص» فأخبرته، فأكلَ معي منها.^٢

و- التفاعل مع الواقع البشريّ

الكتاب

- ١ .. عزيزٌ عليه ما عنتمُ..^٣

١ - سورة سبأ (٣٤): ١٠ - ١١.

٢ - كشف الغمّة ١ / ١٧٥ - ١٧٦.

٣ - سورة التوبة (٩): ١٢٨.

٢ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا * ١

الحديث

١ النبي «ص» - مما روى عنه الامام امير المؤمنين، حيث قال: وقد سألتُ رسولَ الله «ص» حينَ وجَّهني الى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: «صلَّ بهم كصلاةِ أضعفهم، وكُن بالمؤمنين رحيماً»^٢.

٢ الامام الباقر «ع» - انه (عليّ بن ابي طالب) اتى البزازين فقال لرجل: بعني ثوبين! فقال الرجل: يا امير المؤمنين عندي حاجتك. فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلامٍ فأخذ ثوبين، احدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، فقال: يا قنبر! خذ الذي بثلاثة، فقال: انت اولى به، تصعد المنبر وتخطبُ الناس! فقال: وانت شابٌ ولك شرةُ الشباب! وانا أستحي من ربي ان أتفضلَ عليك، سمعتُ رسولَ الله «ص» يقول: «ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون». فلما لبسَ القميص، مدَّ كُمَّ القميص، فأمر بقطعه واتخذه قلانس للفقراء^٣..

ز - الأبوة الاجتماعية

١ - سورة الانسان (٧٤) : ٨.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٢٣؛ عبده ٣ / ١١٤.

٣ - المناقب ٢ / ٩٧.

الحديث

١ النبي «ص» - فيما روى عنه الامامُ أبو جعفرٍ الباقر: لا تَصْلُحُ الامامةُ الاً لرجلٍ فيه ثلاثُ خِصالٍ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عن معاصي الله، وَجِلْمٌ يَمْلِكُ به غَضَبَهُ، وَحَسَنُ الوِلايةِ على مَنْ يَلِي، حتى يكونَ لهم كالوالدِ الرَّحيمِ . - وفي روايةٍ أُخرى: حتى يكونَ للرعيّةِ كالأبِ الرَّحيمِ.^١

٢ الامام علي «ع» - جاء الى امير المؤمنين عسلً وتينً من همدان وحُلوان، فأمر العرفاء ان يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوسِ الأزقاقِ يَلْعَقُونَهَا، وهو يقسمُها للناس، قَدْحاً قَدْحاً؛ فقليل له: يا امير المؤمنين! ما لهم يَلْعَقُونَهَا؟ فقال: إن الامامَ ابو اليتامى، وانما أَلْعَقْتُهُمْ هذا بِرِعايةِ الآباءِ^٢

٣ النبي «ص»: من تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ، ومن تَرَكَ ديناً او ضياعاً فَعَلَيَّ واليِّ^٣.

* جاء في تفسير عليّ بن ابراهيم القمي، عند قوله تعالى:

«النبيُّ أولى بالمؤمنين من انفسهم ..»^٤: .. فلما جعل الله النبيَّ «ص» ابا للمؤمنين ألزَمَهُ مؤونتهم وتربية ايتامهم؛ فعند ذلك صعد رسولُ الله «ص» المنبر فقال: «من تَرَكَ مالا ..»، فألزمَ الله نبيّه للمؤمنين ما يلزمه الوالد. وألزمَ المؤمنين من الطاعة له ما يلزمه الولد للوالد. فكذلك ألزم امير المؤمنين «ع» ما ألزم رسول الله «ص» من بعد ذلك، وبعده الائمة «ع» واحداً واحداً^٥.

١ و ٢ - الكافي ١ / ٤٠٧ و ٤٠٦.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٩٠.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣): ٦.

٥ - تفسير القمي ٢ / ١٧٦؛ المستدرک ٢ / ٤٩٠.

٤ الامام علي «ع» - في عهده للاشتر النخعي: ثم الله! الله! في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين، واهل البؤسى والزمنى؛ فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى - وكل قد استرعت حقه - فلا يشغلنك عنهم بطر! فإنك لا تُعذر بتضييع التافه لإحكام الكثير المهم؛ فلا تُشخص همك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم. وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تفتحهم العيون، وتحقره الرجال؛ ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك امورهم؛ ثم اعمل فيهم بالإعذار الى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم. وكل فأعذر الى الله في تأدية حقه اليه. وتعهد اهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه. وذلك على الولاة ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة، فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم^١.

ح - المساواة الشاملة

١ الامام علي «ع»: ألا! لا يقولن رجال منكم غداً، قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الانهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأمرتهم الى حقوقهم التي يعملون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرّمنا ابن ابي طالب حقوقنا. ألا وايمانا رجل من المهاجرين والانصار،

١ - نهج البلاغة / ١٠١٩ - ١٠٢٠؛ عبده ٣ / ١١١ - ١١٢.

الفصل الخامس عشر: المثل العليا

من اصحاب رسول الله، يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته، فإن له الفضل النير غداً عند الله، وثوابه واجره على الله. وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده.

فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لاحد على احد؛ وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء، وفضل الثواب. لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً، ما عند الله خير للأبرار. واذا كان غداً - ان شاء الله - فأغدوا علينا! فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم، ولا يتخلفن احد منكم، عربي ولا عجمي، كان من اهل العطاء او لم يكن، إلا حضر.. فلما كان من الغد غدا وغدا الناس، فقَبَضَ المال فقال لعبيد الله بن ابي رافع - كاتبه - : إبدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير؛ ثم ثن بالانصار، فأفعل معهم مثل ذلك؛ ثم من لم يحضر من الناس كلهم، الاحمر والاسود، فاصنع به ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا امير المؤمنين! هذا غلامي بالامس وقد أعتقته اليوم؟ فقال: «نعطيه كما نعطيك». فأعطى كل واحد منهم ثلاثة دنانير، ولم يفضل احداً على احد. وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحکم ورجال من قريش ..

فقام ابو الهيثم وعمار وابو ايوب وسهل بن حنيف وجماعة منهم، فدخلوا على عليّ «ع» فقالوا: يا امير المؤمنين! انظر في امرك، وعائين فوقك هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السر الى رفضك، هداك الله لرشدك. وذاك لأنهم كرهوا الإسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الاعاجم، أنكروا واستشاروا عدوك

وعظّموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان، فرقةً للجماعة، وتألفاً لاهل الضلالة، فرأيتك! فخرج علي «ع» فدخل المسجد وصعد المنبر فقال: «أما بعد، فإننا نحمد الله ربنا .. فأفضل الناس عند الله منزلةً واقربهم من الله وسيلةً، أطوعهم لأمره وأعملهم بطاعته وطاعة الرسول. هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكراً؛ قال الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم"». ثم صاح بأعلى صوته: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول! فإن توليتم فإن الله لا يحب الكافرين». ثم قال: «يا معشر المهاجرين والانصار! آمنون على الله ورسوله باسلامكم "بل الله يئن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين"»^٢.

فقال: «انا ابوالحسن» (وكان يقوله اذا غضب) ثم قال: «ألا! إن هذه الدنيا التي أصبحتم تمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، فلا تغرّنكم! فقد حذرتموها؛ واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لا نفسكم على طاعة الله، والذل لحكمه - جل ثناؤه - فأما هذا الفيء فليس لاحد على احد فيه أثره، فقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وانتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله، به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتول كيف شاء؛ فإن العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله، لا وحشة عليه .. وأما ما ذكرتموه من الإستشارة بكما، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتوني

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

٢ - سورة الحجرات (٤٩): ١٧. وكلامه «ع» قبل الآية (آمنون على الله ورسوله باسلامكم)، مأخوذ من صدر الآية المذكورة (يؤمنون عليك أن أسلموا، قل: لا تمنوا عليّ اسلامكم).

اليها.. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ»، ثم قال: «رَجِمَ اللهُ امْرَأَةً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَرَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا لِلْحَقِّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ...»^١.

٢ الامام علي «ع»: قال علي بن ابي رافع، وكان علي مال امير المؤمنين: اخذت مني ابنته عقد لؤلؤ، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة ايام، في ايام الاضحى، فراه عليها، فرفعه وقال لي: «أتخون المسلمين؟» فقصصت عليه وقلت: قد ضمنت من مالي. فقال: «رده من يومك هذا، وإياك أن تعود لمثل هذا فتناك عقوبتي!» - ثم قال: «لو كانت ابنتي أخذت هذا العقد على غير عارية مضمونة، لكانت اذاً اول هاشمية قطعت يدها على سرقة»؛ فقالت ابنته في ذلك مقالا؛ فقال: «يا بنت علي بن ابي طالب! لا تذهبن بنفسك عن الحق، اكل نساء المهاجرين تزين في هذا العيد بمثل هذا؟»^٢.

٣ الامام علي «ع» - إن طلحة والزبير جاءا الى امير المؤمنين وقالوا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال: «فما كان يعطيكما رسول الله «ص»؟» فسكتا. قال: «أليس كان رسول الله «ص» يقسم بالسوية بين المسلمين؟» قالوا: نعم. قال: «فسنة رسول الله اولى بالاتباع عندكم ام سنة عمر؟» قالوا: سنة رسول الله يا امير المؤمنين! لنا سابقة وعناء وقرابة. قال: «سابقتهما أقرب ام سابقتي؟» قالوا: سابقتك. قال: «فقرابتكما، ام قرابتي؟». قالوا: قرابتك. قال: «فعناؤكم اعظم ام عناي؟» قالوا: عناؤك. قال: «فوالله ما أنا واجيري هذا الا بمنزلة واحدة»؛ وأومى بيده الى الاجير^٣.

١ - البحار ٨ / ٣٩٣ - ٣٩٤ (طبعة الكمباني); راجع ايضاً: الكافي ٨ / ٣٦٠ - ٣٦٢.

٢ - المناقب ٢ / ١٠٨.

٣ - المناقب ٢ / ١١٠ - ١١١.

٤ الامام علي «ع» - في خطابه لشريح القاضي، في قضية: .. ثم أتيتك بقنبر، فشهد أنّها درعٌ طلحة أخذت غلواً يوم البصرة، فقلت: «هذا مملوك، ولا أقضي بشهادة المملوك»، ولا بأس بشهادة المملوك اذا كان عدلاً^١.

ط - كأحدهم، بل أخف مؤونة

١ الامام الباقر «ع» - فيما وصف به النبي «ص»: يا محمد! (أي: محمد بن مسلم، الراوي)، لعلك ترى أنّه شبع من الخبز، ثلاثة أيام متوالية، منذ أن بعته الله الى أن قبضه؟ .. لا والله، ما شبع من خبز البرّ ثلاثة أيام متوالية، منذ بعته الى أن قبضه. أما إني لا أقول: إنه كان لا يجد، لقد كان يُجيزُ الرجل الواحد بالمئة من الابل، فلو أراد أن يأكل لأكل^٢ ..

٢ الامام الصادق «ع»: قال رسول الله «ص»: عُرِضْتُ عَلَيَّ بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! لَا، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً. فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ دَعَوْتُكَ وَذَكَرْتُكَ^٣.

٣ الامام الباقر «ع»: وَاللَّهِ إِنْ كَانَ عَلَيٌّ لَيَأْكُلُ أَكْلَ الْعَبْدِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ. وَإِنْ كَانَ لَيَشْتَرِي الْقَمِيصَيْنِ السُّنْبُلَانِيِّينَ، فَيُخَيِّرُ غَلَامَهُ خَيْرَهُمَا، ثُمَّ يَلْبَسُ الْآخَرَ. فَإِذَا جَازَ أَصَابِعَهُ قَطَعَهُ، وَإِذَا جَازَ كَعْبَهُ حَذَفَهُ .. وَإِنْ كَانَ لَيَطْعَمُ النَّاسَ خُبْزَ الْبُرِّ وَاللَّحْمَ، وَيُنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَالزَّيْتِ وَالخَلَّ^٤ ..

١ - التهذيب ٦ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٢ و٣ - الكافي ٨ / ١٣٠ - ١٣١ .

٤ - امالي الصدوق / ٢٥٠ .

ي - من إشراق الضمير العملاق

١ الامام علي «ع»: ما يحبسُ أشقاكم أن يجيءَ فيقتلني؟ .. قالوا: يا أمير المؤمنين! أخبرنا بالذي يخضبُ هذه من هذه، نبيدُ عشيرته. فقال: «إذا - والله - تقتلون بي غيرَ قاتلي»!١.

٢ الامام علي «ع»: يا بني عبدِ المطلب! لا أُلْفِينَكُم تَخوضونَ دماءَ المسلمين خَوْضاً، تقولون: قُتِلَ أميرُ المؤمنين، قُتِلَ أميرُ المؤمنين. ألا! لا تَقْتُلَنَّ بي الآ قاتلي. أنظروا إذا أَنَامْتُ من ضربته هذه، فاضربوه ضربةً بضربة. ولا يُمَثِّلُ بالرجل، فأنِّي سمعتُ رسولَ الله «ص» يقول: «أيَّاكم والمُثَلَّة ولو بالكلبِ العَقور»٢.

٣ الامام السجاد «ع» - لما ضربَ ابنُ ملجم - لعنه الله - أميرَ المؤمنين عليَّ ابنَ أبي طالب «ع» .. فوقعتِ الضربة وهو ساجدٌ على رأسه على الضربة التي كانت، فخرجَ الحسنُ والحسينُ وأخذا ابنَ ملجم وأوثقاه. واحتُمِلَ أميرُ المؤمنين فأدخلَ داره، فقعدتُ لبابهُ عندَ رأسه وجلستُ أمُّ كلثوم عندَ رِجْلَيْهِ، ففتحَ عينيه فنظرَ اليهما فقال: الرفيقُ الاعلى خيرٌ مُستَقراً وأحسنُ مَقيلاً، ضربةً بضربة أو العفو، إن كان ذلك٣..

٤ الامام علي «ع» - .. فلما أفاقَ ناوَله الحسنُ «ع» قَعْباً من اللبن، فشرب منه قليلاً ثم نَحاه عن فيه وقال: «إحْمِلوه الى اسيرِكم!» ثم قال للحسن: «بحقِّي عليك يا بُنَيَّ! إلا ما طَبَّبْتُم مَطْعَمَه ومشرَبه، وأرفُقوا به الى حين موتي،

١ - البحار ٤٢ / ١٩٦: عن «تذكرة خواص الأمة».

٢ - نهج البلاغة / ٩٧٨: عبده ٣ / ٨٦ - ٨٧.

٣ - امالي الطوسي ١ / ٣٧٥.

- وتَطْعُمُهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتَسْقِيهِ مِمَّا تَشْرَبُ، حَتَّى تَكُونَ أَكْرَمَ مِنْهُ...»^١.
- ٥ الامام علي «ع» : دخلت بلادكم بأشمالى هذه ورحلتى وراحتى هاهي، فإن خرجت من بلادكم بغير ما دخلت، فإنني من الخائنين^٢.
- ٦ الامام علي «ع» - رُئِيَ عَلَى عَلِيٍّ إِزَارٌ غَلِيظٌ اشْتَرَاهُ بِخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ، وَرُئِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ مَرْقُوعٌ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ «ع» : «يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْصُدُ بِهِ الْمُبَالِغُ». - وفي رواية - «... أشبه بشعار الصالحين»^٣.
- ٧ الامام علي «ع» : إن الله تعالى فرض على ائمة الحق، أن يُقَدِّروا أَنفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَّبِعَنَّ بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ^٤.
- ٨ الامام الصادق «ع» : لَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ «ع» صِعْدَ الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُرْزَأُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ دَرَهْمًا مَا قَامَ لِي عِدْقٌ بِشُرْبِ، فَلْيَصُدُّكُمْ أَنْفُسُكُمْ...» فقام اليه عقيل - كرم الله وجهه - فقال له: والله لتجعلني وأسود بالمدينة سواءً. فقال: «إجلس! أما كان ههنا أحدٌ يتكلم غيرك! وما فضلك عليه الا بسابقة أو بتقوى»^٥.
- ٩ الامام علي «ع» : يا كميل! مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم^٦.
- ١٠ الامام علي «ع» : يا نوف! إن سرك أن تكون معي يوم القيامة، فلا تكن

١ - البحار ٤٢ / ٢٨٩.

٢ و ٣ - المناقب ٢ / ٩٨ و ٩٦.

٤ - نهج البلاغة / ٦٦٣: عبده ٢ / ٢١٣.

٥ - الكافي ٨ / ١٨٢.

٦ - نهج البلاغة / ١٢٠٠: عبده ٣ / ٢٠٩.

للظالمين مُعِيناً.

تذييل

الشعر الرّساليّ والترحيب به

لقد ذكرنا في هذا الباب نبذةً من خصائص الرُّوَادِ الصادقين، فلنُضِفَ إليها في هذه الخاتمة، ما كان من أمرهم في بثِّ الحقِّ ونشرِ الدعوة في الناس، حتى يَعْرِفَ الحقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَهْتَدِيَ إِلَى الْمَهْيَعِ اللَّاحِبِ مِنْ شَدِّ عَنِهِ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ «ص» فِي تَشْجِيعِ الشُّعْرَاءِ الرَّسَالِيِّينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ، بِالْمَنْطِقِ الشُّعْرِيِّ الْفِيَّاضِ. وَلَقَدْ حَدَا أُمَّةَ الْحَقِّ حِدْوَةَ النَّبِيِّ «ص» فَكَانُوا يُشَجِّعُونَ شُعْرَاءَ الشِّيْعَةِ دُعَاةَ الْحَقِّ، وَيُقَرِّبُونَهُمْ وَيُؤَكِّدُونَ وَجُودَهُمْ فِي الْاَوْسَاطِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْبَيْتَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ، وَيُغْضُونَ الطَّرْفَ عَمَّا وَقَعَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِنَ الشُّطْحَاتِ، لِمَكَانِ الدُّعْوَةِ وَأَهْمِيَّتِهَا، وَالِيكَ نَمُودِجاً مِمَّا ذَكَرَ:

١ الامام الباقر «ع» - قال صاعداً مولى الكُميت: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ «ع» فَأَنْشَدَهُ الْكُمَيْتُ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ^٢، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيْتِ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيْتِ!»^٣.

١ - مستدرک نهج البلاغة / ٥٣.

٢ - يعني: الميمية من الهاشميات:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِّيمٍ مُسْتَهَامٍ
غَيْرَ مَا صَبَوَةٍ وَلَا أَحْلَامٍ

٣ - الغدير ٢ / ١٨٦.

٢ الامام الباقر «ع» - قال ابن شهر آشوب في «المناقب»: بلغنا أن الكميت أنشد الباقر «ع»: «مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيْمٍ مُسْتَهَامٍ؛ فَتَوَجَّهَ الْبَاقِرُ «ع» إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْكَمِيْتَ وَاغْفِرْ لَهُ!» ثلاث مرّات، ثم قال: «يا كُميت! هذه مِئَةُ أَلْفٍ قَدْ جَمَعْتُهَا لَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»..^١.

٣ الامام الصادق «ع» - قيل لابي عبدالله «ع» - وَذُكِرَ عِنْدَهُ السَّيِّدُ^٢ - بِأَنَّهُ يَنَالُ مِنَ الشَّرَابِ، فَقَالَ «ع»: «إِنْ كَانَ السَّيِّدُ زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ فَقَدْ ثَبَّتَتْ لَهُ أُخْرَى»^٣.

١ - الغدير ٢ / ١٨٨.

٢ - يعني: السَّيِّدَ الْجَمِيرِيَّ.

٣ - الغدير ٢ / ٢٤٨.

نظرة الى الباب

قد عمَدنا في هذا الباب الى التعريف بطائفةٍ من خصائص الحاكم في النظام الديني، فَبَدَّتْ أماننا صورةً واضحةً عمّا كانوا واجدين لها من الميزات والخصائص، وأنهم كيف كانوا؟ وكيف عاشوا؟ وكيف عملوا؟ حتى صاروا رُوّاداً صادقين.

١ - في سبيل الانسان وسعادته : فمن تلك الميزات ما قاموا بها من التّضحياتِ الكثيرة المستمرة في سبيلِ الانسان وحبّهم العميق له، وسعيهم لتحريره، وتقدّمهم بنفسهم في كل ما يلزمهم في ذلك من عمل وِجْدًا. إنَّ أولئك الرّواد قد حَمَلُوا أعباءَ هذه المهمة الباهظة على عواتقهم، فسَعَوْا في سبيل سعادة الانسان ورفَع مُستوى عيشه، وتَنَمَّية روجه ومشاعره كلَّ سعي. ولم يَعْرِفُوا في موقفهم هذا أيَّ قصورٍ أو تهاون، ففاسوا المتاعب، وعاشوا المِحن، كما هو واضح من تاريخ حياتهم. وهو دليل على جُهودهم الجبّارة في سبيلِ الانسانية، واعتقادهم العظيم بها، وثوراتهم المَدْوِيَّة من أجلها.

٢ - العيش البسيط : ومن تلك الميزات السامية، زهدهم وإمساكهم عن المُتَمَعِ الدنيوية، ففي أيِّ جانبٍ من جوانب حياتهم نظرت ترى قناعةً وبساطةً، تُمثِّلان أمامك صلابة الحق وعزة الانسانية، كما تُمثِّلان نظرتهم الكريمة الحرة الى الانسان وقيمته وكرامته، وتعاليتهم على الدنيا المُنصرمة الفانية. فبيناهم يدعون الناس الى الحياة السعيدة الهانئة

بالطّيبات، تراهم مُقْتَنِعِينَ بعيشٍ بسيطٍ ومؤونة قليلة لا تُذَكِّر، جاعلين انفسهم في أدنى المراتب من الطعام واللباس، مثلما يعيشُ البائسون والفقراء، لكي لا يجدَ هؤلاء سامةً من كَيْفِيَّةِ إعاشَتِهِمْ، مع ما كانوا يَقْفُونَ بجانب المحرومين لاستردادِ حقوقِهِم المغصوبة بأيدي الاغنياء.

٣ - حقوق الناس والصمود لتحقيقها وصيانتها : ومن ميزات أولئك الرّواد موقفهم الحاسم لاستعادة حقوق الانسان وصيانتها، وجهادهم في هذا السبيل جهاداً لا يعرفُ الوقفةَ والحِيادَ - كما اشرنا اليه الآن - وكان هذا على رأسِ برامِجِهِم وأصولِ تعاليمِهِم. وكانوا هم نماذجٌ مثاليَّةٌ لتلك التعاليم، ولما كانوا يدعون اليه ويثبّونهُ، حول الانسان المستضعف وحقوقه المغصوبة.

ولا جل ما تَمَازُ به برامِجُهُم، من حقيقةٍ وصدقٍ واخلاص، كانوا يَسْعَوْنَ بأنفسِهِم لتحقيق أهدافِهِم الاصلاحية، قبلَ كُلِّ ساع. وبهذه الصورةِ الجادّةِ الصائبة، وُفِّقُوا لِأَن يَضْعُوا الإِصْرَ والأغلالَ عن عنق الانسان، وان يُزِيحُوا العَراقيلَ من طريقه نحو السعادة ونحو الحياة الانسانية المتعالية.

هذه هي عدة من ميزات أولئك الرّواد، التي يَجِبُ أن يكونَ كُلُّ رائدٍ من رُوادِ المجتمعات البشرية، متّصفاً بها؛ وهذه هي المقياسُ لقبولِ الحاكمِ ولزومِ اتّباعه، في التصور الإسلامي.

البَابُ الثَّامِنُ

الباب الثامن : العلماء؛ وفيه فصول :

الفصلُ الاولُ

نظرة عامة

الكتاب

- ١ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ *^١
- ٢ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ *^٢
- ٣ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^٣

راجع: الفصول المناسبة من الباب الاول، تجد نماذج أخرى من الآيات الدالة على المسائل المطروحة في هذا الباب.

١ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٨.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٩.

٣ - سورة الانعام (٦) : ١٢٢.

الحديث

- ١ النبي «ص»: «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؛ فَإِذَا انْطَمَسَتْ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ»^١.
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن آبائه، عن عليّ «ع»: «قال رسولُ الله «ص»: «ثلاثةُ يَشْفَعُونَ إلى الله عز وجل فيُشَفَّعُونَ: الانبياءُ، ثم العلماءُ، ثم الشهداء»^٢.
- ٣ الامام العسكري «ع»: قال محمدُ بن علي الباقر «ع»: «العالمُ كمن معه شَمْعَةٌ تَضِيءُ للناس؛ فكلُّ مَنْ أَبْصَرَ شَمْعَتَهُ دعا له بخير. كذلك العالمُ مع شَمْعَةٍ، تُزِيلُ ظِلْمَةَ الجَهِلِ والحيرة»^٣..
- ٤ الامام علي «ع»: العلماءُ غُرباءُ، لكثرة الجُهال»^٤.

١ - مُنْبِئَةُ المريد / ١٢؛ و ١٤، من طبعة قم.

٢ - البحار ٨ / ٣٤، عن «الخصال».

٣ - البحار ٢ / ٤، عن «تفسير الامام العسكري».

٤ - غُرَرُ الحِكْمِ / ٤٠.

الفصلُ الثاني

عظمة العالم

أ - العلماء ومنزلتهم

الكتاب

- ١ أمَّنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ؟ قُلْ :
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * ١

الحديث

- ١ النبي «ص» : .. أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ ٢ .
٢ النبي «ص» : .. فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ،
لَيْلَةَ الْبَدْرِ ٣ ..

١ - سورة الزُّمَر (٣٩) : ٩ .

٢ و٣ - الكافي ١ / ٣٠ و٣٤ .

- ٣ الامام علي «ع» : رَكَعَتَانِ مِنْ عَالَمٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ رَكَعَةً مِنْ جَاهِلٍ، لِأَنَّ الْعَالِمَ تَأْتِيهِ الْفِتْنَةُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا بِعِلْمِهِ، وَتَأْتِي الْجَاهِلَ فَتَنْسِفُهُ نَسْفًا..
- ٤ النبي «ص» : يَا عَلِيُّ! سَاعَةُ الْعَالِمِ يَتَّكِي عَلَى فِرَاشِهِ يَنْظُرُ فِي الْعِلْمِ (علم)، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً^٢.
- ٥ الامام علي «ع» : يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ! إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا؛ فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِي، وَمَتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَّجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.
- يَا كَمِيلُ! الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ؛ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزُكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ. وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.
- يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ! مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.
- يَا كَمِيلُ! هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ^٣..
- ٦ الامام الصادق «ع» - فِيمَا رَوَاهُ عَنْ آبَائِهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص»: أَكْثَرُ النَّاسِ قِيَمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَقَلُّ النَّاسِ قِيَمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْمًا^٤.
- ٧ الامام الكاظم «ع» : تَفَقَّهُوا فِي دِينِ اللَّهِ! فَإِنَّ الْفِقْهَ مِفْتَاحُ الْبَصِيرَةِ، وَتِمَامُ الْعِبَادَةِ، وَالسَّبَبُ إِلَى الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَالرُّتَبِ الْجَلِيلَةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

١ - البحار ١ / ٢٠٨، عن كتاب «الاختصاص».

٢ - عُدَّةُ الدَّاعِي / ٦٦.

٣ - نهج البلاغة - ١١٥٥ / ١١٥٦؛ عبده ٣ / ١٨٦ - ١٨٧.

٤ - امالي الصدوق / ١٩.

وفضلُ الفقيهِ على العابدِ كفضلِ الشمسِ على الكواكب. ومن لم يتفقه في دينه، لم يرض الله له عملاً.

* لقد تكلمنا عن «الفقيه» وتعريفه، وما هو المقصود منه من الاحاديث والتعاليم التي جاء ذكر الكلمة فيها؛ فراجع: النظرة الى الباب. وراجع ايضاً ما نقلناه عن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، في الفصل الحادي عشر من هذا الباب، في الفقرتين الاولى والثالثة.

وإنما نُؤكِّدُ على توعية الناس (و خصوصاً المثقفين) بالنسبة لهذا الموضوع لاهميته الكبيرة. وذلك لانه ليس من الممكن - بل ولا السائغ - ان نحصر تعاليم الاسلام (وهو دين الله الجامع الذي ختمت به الشرائع الالهية، وهو الكافي للبشرية الى يوم القيامة، وهو المجيب عن جميع أسئلة الانسان والزمن المتطورة)، في قسم منها، وهو علم الفقه المصطلح، وان نحدد طاقات القرآن النوعية لصنع المجتمع البشري الكبير في خمس مئة (٥٠٠) آية ..

أجل، إن هذا الاتجاه يُضِرُّ بالقرآن ورسالته وهدايته وجامعيته، ويقضي على بقاء الاسلام كدين حي مع «الحياة»، وعلى خلوده الى يوم يطلع الفجر وتشرق الشمس وتغرب. نعم، يجب ان يكون كل امرٍ وحكمٍ يُستنبطُ خاضعاً لمبدأ «الاجتهاد»، مبتنياً على الادلة الاربعة، لكن يجب ان لا يكون محدوداً، حتى يتوفق الفقه لأن يعالج «الحوادث الواقعة» في أدق معاني «الحوادث» وأوسعها؛ فالقالب والشكل وإن كان محدداً، فإن الفحوي والمضمون يجب ان لا يكون كذلك، حتى لا يتبدل الاجتهاد تقليداً. إن التطور ناموس

الهيّ، فلا يَشُدُّ عنه إلا جاهل او متخلف.

ب - توقيير العلماء وإكبارهم

الكتاب

١ .. يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ*^١

الحديث

- ١ النبي «ص» : النَّظْرُ الى وجهِ العالمِ عبادة^٢.
- ٢ النبي «ص» : .. النَّظْرُ الى وجهِ العالمِ خيرٌ لك من عِتْقِ ألفِ رِقَبَةٍ^٣.
- ٣ الامامِ علي «ع» : مَنْ وَقَرَ عالِماً، فقد وَقَرَ رَبَّهُ^٤.
- ٤ الامامِ السجّاد «ع» - من رسالته في الحقوق : .. اَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ، فَالْتَعْظِيمُ لَهُ، وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ، وَحَسْنُ الْاسْتِمَاعِ اليه، وَالاِقْبَالَ عَلَيْهِ،

١ - سورة المجادلة (٥٨) : ١١.

٢ - نوادر الرواندي / ١١ : البحار / ١ / ١٩٥، عن «غوالي اللثالي».

٣ - البحار / ١ / ٢٠٤، عن «جامع الاخبار».

٤ - غرر الحكم / ٢٨٥.

والمعونة له على نفسك، فيما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تُفرِّغ له عقلك،
وتُحضِّره فهمك، وتُزكِّي له (قلبك)، وتُجَلِّي له بصرك، بترك اللذات،
ونقص الشهوات^١ ..

ج - زيارة العلماء

١ النبي «ص»: زيارة العلماء أحبُّ الى الله تعالى من سبعين طوافاً حول
البيت، وافضلُ من سبعين حَجَّةً وعُمرةً مبرورةً مقبولة؛ ورفعَ الله تعالى له^٢
سبعين درجةً، وانزلَ الله عليه الرحمة، وشهدت له الملائكةُ أنَّ الجنةَ
وَجَبَتْ له^٣.

د - الجلوس عند العلماء

١ النبي «ص»: .. ما من مؤمنٍ يقعدُ ساعةً عندَ العالم، الا ناداه ربه عزَّ وجلَّ:
«جلستَ الى حبيبي! وعزَّتي وجلالي، لأُسكنتك الجنةَ معه، ولا أبالي»^٤.

٢ النبي «ص»: يا اباذر! الجلوسُ ساعةً عندَ مذاكرةِ العلم، أحبُّ الى الله من
قيامِ الفِ ليلةٍ، يُصلِّي في كلِّ ليلةٍ الفُ ركعة. والجلوسُ ساعةً عندَ مذاكرةِ
العلم، أحبُّ الى الله من ألفِ غزوةٍ، وقراءةِ القرآنِ كلِّه^٥ ..

١ - تحف العقول / ١٨٧.

٢ - اي لزائر العالم.

٣ - عُدَّة الداعي / ٦٦.

٤ - البحار ١ / ١٩٨، عن «امالي الصدوق».

٥ - البحار ١ / ٢٠٣، عن «جامع الاخبار».

هـ - آداب صحبة العالم وحقوقه

١ الام الباقر «ع» : اذا جَلَسْتَ الى عالم، فكنْ على أن تَسْمَعَ أحرَصَ منك على أن تقول. وتَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماع كما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ القول. ولا تَقْطَعْ على احدٍ حديثه^١.

٢ الام الصادق «ع» : كان اميرُ المؤمنين يقول: إنَّ من حقِّ العالم أن لا تُكثِرَ عليه السؤال، ولا تَأْخُذَ بثوبه. واذا دَخَلْتَ عليه وعنده قومٌ، فَسَلِّمْ عليهم جميعاً، وخصِّه بالتحيَّة دونهم. واجلسْ بين يديه، ولا تجلسْ خلفه، ولا تَغْمِزْ بعينك، ولا تُشْرِيبِيدك؛ ولا تُكثِرْ من القول: «قال فلانُ وقال فلان» خلافاً لقوله؛ ولا تَضَجِرْ بطولِ صحبته، فإنما مثلُ العالم مثلُ النخلة، تَنْتَظِرُها حتى يَسْقُطَ عليك منها شيءٌ^٢..

و - العالم واهميَّة اتِّباعه

١ الام علي «ع» : .. اِعْلَمُوا! أنَّ صُحْبَةَ العالم وَاتِّباعه، دينٌ يُدانُ الله به؛ وطاعته مُكْسَبَةٌ للحسنات، مِمْحَاةٌ للسيئات، وذخيرةٌ للمؤمنين، ورفعةٌ في حياتهم^٣..

٢ الام علي «ع» - من العهد الا شتري : . أَكْثَرُ مُدارَسَةِ العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيتِ ما صَلَحَ عليه امرُ بلادِك، واقامةٌ ما اسْتقامَ به الناسُ قبلك^٤..

١ - البحار ١ / ٢٢٢، عن «الاختصاص».

٢ - الكافي ١ / ٣٧.

٣ - تحف العقول / ١٤١.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٠١؛ عبده ٣ / ٩٩.

الفصل الثالث

العالم بعمله

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون *^١
- ٢ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون؟ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: نعوذ بالله من علمٍ لا ينفع، وهو العلم الذي يُضادُّ العملَ بالاخلاص. واعلم! أن قليلَ العلمِ يحتاج إلى كثيرِ العملِ، لأنَّ عِلْمَ ساعةٍ يلزمُ صاحبه استعمالُه طولَ عمره.^٣

١ - سورة الصف (٦١): ٢ - ٣.

٢ - سورة البقرة (٢): ٤٤.

٣ - البحار ٢ / ٣٢.

- ٢ الامام علي «ع» : آفة العلم، ترك العمل به^١.
- ٣ الامام الصادق «ع» - في حديث عنوان البصري، المعروف: .. فإن أردت العلم، فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية؛ واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك^٢..
- ٤ الامام الصادق «ع» : تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به^٣..
- ٥ الامام الكاظم «ع» - مما نقله عن المسيح «ع» : بحق اقول لكم: إن الناس في الحكمة رجُلان: فرجلٌ اتقنها بقوله، وصدَّقها بفعله، ورجلٌ اتقنها بقوله، وضيعها بسوء فعله؛ فشتانَ بينهما؛ فطوبى للعلماء بالفعل، وويلٌ للعلماء بالقول^٤.

* نُشير هنا الى مسائل أُخرى، من الصَّلَاتِ المختلفةِ بينَ

العملِ والعلم:

أ - العالم بلا عمل يزداد من الله بعداً

- ١ النبي «ص» : مَنْ أزدادَ في العلم رُشداً فلم يزدَدْ في الدنيا زُهداً، لم يزدَدْ من الله إلا بُعداً^٥.

١ - غرر الحكم / ١٣٦ - ١٣٧.

٢ - البحار / ١ / ٢٥٥، عن «خط الشيخ بهاء الدين العاملي».

٣ - عدة الداعي / ٦٧.

٤ - تحف العقول / ٢٨٩.

٥ - البحار / ٢ / ٣٧، عن «كنز الفوائد».

الفصل الثالث : العالم بعمله

- ٢ النبي «ع» - فيما رواه الامام امير المؤمنين: مَنْ اَزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْ هُدًى،
لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ اِلَّا بُعْدًا^١.
- ٣ الامام السجاد «ع»: مَكْتُوبٌ فِي الْاِنْجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَمَّا
تَعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّ الْعِلْمَ اِذَا لَمْ يُعْمَلْ بِهِ لَمْ يَزِدْ صَاحِبَهُ اِلَّا كُفْرًا، وَلَمْ
يَزِدْ مِنَ اللَّهِ اِلَّا بُعْدًا^٢.

ب - العالم بلا عمل يهون على الناس

- ١ الامام علي «ع»: لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ حَمَلُوهُ بِحَقِّهِ، لَاحَبَّبَهُمُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَاهْلُ
طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ حَمَلُوهُ لَطَلَبِ الدُّنْيَا فَمَقَّتَهُمُ اللَّهُ، وَهَانُوا عَلَى
النَّاسِ^٣.

ج - العالم بلا عمل أشد الناس ندامة وعذاباً

- ١ النبي «ص»: إِنْ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذُّونَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ. وَإِنْ أَشَدَّ
أَهْلِ النَّارِ نِدَامَةً وَحَسْرَةً، رَجُلٌ دَعَا عَبْدًا إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ،
فَأَطَاعَ اللَّهَ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ وَاتِّبَاعِهِ
الْهَوَى^٤.
- ٢ الامام الصادق «ع»: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا، عَالِمٌ لَا يَنْتَفِعُ مِنْ عِلْمِهِ

١ - عدة الداعي / ٦٥.

٢ - الكافي / ١ / ٤٤ - ٤٥.

٣ - البحار / ٢ / ٣٧، عن «كنز الفوائد».

٤ - عدة الداعي / ٦٧.

بشيء^١.

د - العالم بلا عمل سفيه

١ الامام الصادق «ع» : .. العلماء همّتهم الرّعاية، والسّفهاء همّتهم الرّواية^٢.

هـ - العالم بلا عمل جاهل

١ النبي «ص» : إنّ العلم يهتف بالعمل، فإنّ أجابه، وآلا ارتحل عنه^٣.

٢ الامام علي «ع» : لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً؛ اذا علمتم فاعملوا، واذا تيقنتم فأقدموا!^٤.

٣ الامام علي «ع» : كفى بالعالم جهلاً، ان يُنافي علمه عمله^٥.

٤ الامام الصادق «ع» : .. من لم يُصدّق فعله قوله، فليس بعالم^٦.

و - العالم بلا عمل أسوأ حالا من الجاهل

١ الامام علي «ع» : .. فإنّ العالمَ العاملَ بغير علمه، كالجاهلِ الحائرِ الذي لا

١ - البحار ٢ / ٣٧، عن «كنز الفوائد».

٢ - عدة الداعي / ٦٧.

٣ - البحار ٢ / ٣٣، عن «غوالي اللثالي».

٤ - نهج البلاغة / ١٢٢٠؛ عبده ٣ / ٢٢٠.

٥ - غرر الحكم / ٢٤٣.

٦ - الكافي / ١ / ٣٦.

الفصل الثالث : العالم بعمله

يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحِجَّةُ عَلَيْهِ اعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ
أَلْوَمٌ^١.

ز - العالم بلا عمل وسوء اثره

١ الامام علي «ع»: إِنَّمَا زَهَّدَ النَّاسَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ، كَثْرَةُ مَا يَرَوْنَ مِنْ قَلَّةٍ مَنْ
عَمِلَ بِمَا عِلِمٌ^٢.

ح - الدّعوة بلا عمل فاشلة

١ النبي «ص»: يَا أَبَاذَرٍّ! مِثْلُ الَّذِي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ، كَمِثْلِ الَّذِي يَرْمِي بِغَيْرِ
وَتَرٍ^٣.

٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ،
كَمَا يَزِلُّ الْمَطْرُ عَنِ الصِّفَا^٤.

ط - خطباء الامّة غير العاملين

١ النبي «ص»: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ، قَوْمًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ
بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ تُرْمَى؛ فَقُلْتُ: يَا جِبْرَائِيلُ! مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: خُطْبَاءُ
أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتَلَوْنَ الْكِتَابَ أَفْلا

١ - نهج البلاغة / ٣٣٩: عبده ١ / ٢١٥.

٢ - غرر الحكم / ١٣٢.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥٤٨.

٤ - الكافي / ١ / ٤٤.

يعقلون؟^١.

ي - ثعالب الأمة

١ الامام السجاد «ع» - زُرارة بن أوفى قال: دخلتُ على عليِّ بنِ الحسين فقال: «يا زُرارة! الناسُ في زماننا على سِتِّ طبقات: أسدٍ، وذئبٍ، وثعلبٍ، وكَلْبٍ، وخنزيرٍ، وشاةٍ.. وأما الثعلبُ فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم، ولا يكونُ في قلوبهم ما يصفون بالسنتهم..»^٢.

يا - مثل العالم الذي لا يعمل بعلمه

١ النبي «ص»: مَثَلُ الذي يَعْلَمُ الخَيْرَ ولا يَعْمَلُ به، مَثَلُ السراجِ يَضِيءُ للناسِ وَيَحْتَرِقُ نَفْسَهُ^٣.

٢ الامام علي «ع»: عِلْمٌ بلا عَمَلٍ، كَشَجَرٍ بلا ثَمَرٍ^٤.

* وفي ذلك المعني جاء قوله تعالى: «مَثَلُ الذين حُمِلُوا التَّوَارَةَ، ثم لَمْ يَحْمِلوها، كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً..»^٥.

يب - النواهي بالتناهي

١ - الوسائل ١١ / ٤٢٠.

٢ - البحار ٦٧ / ٢٢٥، عن «الخصال».

٣ - عدة الداعي / ٧٠ - ٧١.

٤ - غرر الحكم / ٢٢٠.

٥ - سورة الجمعة (٦٢): ٥.

الفصل الثالث : العالم بعمله

- ١ النبي «ص»: لا قولَ الا بعملٍ^١ ..
- ٢ الامام علي «ع»: .. فلَعَنَ اللهُ السَّفَهَاءَ لِرُكُوبِ المعاصي، والحلماءَ لتركِ التَّنَاهي^٢.
- ٣ الامام علي «ع»: . . وَأَنهَوْا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي^٣.

١ - البحار ١ / ٢٠٧، عن «امالي الطوسي».

٢ - نهج البلاغة / ٨٠٩؛ عبده ٢ / ١٨١.

٣ - نهج البلاغة / ٣١٢؛ عبده ١ / ٢٠٢.

الفصلُ الرَّابِعُ

العلماء وموضعهم الدينيّ الاجتماعي

أ - ورثة الانبياء

الكتاب

١ فلما أَحَسَّ عيسى منهم الكُفْرَ قال : مَنْ انصاري الى الله؟ قال الحَوَارِيُّونَ :
نحنُ انصار الله، آمنا بالله، وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: علماءُ أمّتي كأَنْبياءِ بني اسرائيل^٢.
٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا
دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا أُوْرِثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ

١ - سورة آل عمران (٣) : ٥٢.

٢ - البحار ٢ / ٢٢، عن «غوالي اللثالي».

منها فقد أخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه! فإنّ فينا اهل البيت، في كلّ خلفٍ، عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين^١.

ب - خلفاء الرّسول وأمنائهم

- ١ النبي «ص»: رَجِمَ اللهُ خُلَفَائِي. فقيل: يا رسولَ اللهُ ومَنْ خُلفاءُكَ؟ قال: «الذين يُحيون سُنَّتِي ويُعلِّمونَهَا عبادَ اللهِ»^٢.
- ٢ النبي «ص»: أَلْفُفُهَاءُ أُمَنَاءِ الرّسولِ^٣.
- ٣ الامام الرضا «ع» - عن آباءه: قال رسولُ اللهُ «ص»: «اللّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي» - ثلاثَ مرّاتٍ؛ قيل: يا رسولَ اللهُ ومَنْ خُلفاءُكَ؟ قال: «الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسُنَّتِي، فيُسلِّمونَهَا النّاسَ من بعدي»^٤.

ج - حُكّام على النّاس عامّة، الملوك وغيرهم

- ١ الامام علي «ع»: العُلَمَاءُ حُكّامٌ على النّاسِ^٥.
- ٢ الامام الحسين «ع»: .. مَجاري الأمورِ والاحكامِ على أيدي العُلَماءِ

١ - الكافي ١ / ٣٢.

٢ - مُنية المرید / ١٠؛ و ١٢ من طبعة قم.

٣ - البحار ١ / ٢١٦، عن «غوالي اللّثالي».

٤ - الوسائل ١٨ / ١٠١؛ البحار ٢ / ١٤٤ عن «عيون اخبار الرّضا».

٥ - غرر الحكم / ٣٢.

بالله، الأمانة على حلاله وحرامه^١.

٣ الامام الصادق «ع»: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك^٢.

* ليس في هذا الحديث وامثاله قبول وقرار بالسلطنة والسُلطان والملوكية والملك في المجتمع الاسلامي، لأن هذه الامور تضاد فلسفة الاسلام السياسية ومبانيه في الادارة والحكم والعقيدة والتربية والاخلاق - وقد سلفت الاشارة اليه - فلا سلطان في الاسلام ولا ملك ولا ملوكية، كما مور اسلامية^٣. فما ورد في هذا الحديث ونظائره لا يكون الا للاشارة الى الواقع القائم، حيث استولى على الناس افراد باسم «الملك» و «السُلطان» بالغبلة والسيطرة. فعند ذلك ايضاً يجب على هؤلاء الافراد ان يتبعوا الدين وعلماءه النابهين التقدمين (لا الرجعيين)، حتى يكون ذلك الاتباع عقبة في سبيل ظلمهم وعدوانهم على الجماهير.

د - مراجع الامّة في التّحاكم والقضاء

١ الامام الصادق «ع» - عن ابي خديجة قال: بعثني ابو عبدالله «ع» الى اصحابنا فقال: قل لهم: اياكم اذا وقعت بينكم خصومة، أو تداري في

١ - تحف العقول / ١٧٢.

٢ - البحار / ١ / ١٨٣.

٣ - ولقد جاء في بعض المقالات، نقلا عن تفسير القمي ان النبي «ص» قال: «ان الله بعثني ان اقتل جميع ملوك الدنيا».

شيء من الأخذ والعطاء، أن تُحاكِموا الى احدٍ من هؤلاء الفُسّاق! إجعلوا بينكم رجلاً قد عَرَفَ حلالنا وحرامنا، فإني قد جعلته عليكم قاضياً. وإياكم أن يُخاصِمَ بعضكم بعضاً الى السلطان الجائر^١.

٢ الامام الصادق «ع» - عمرُ بنُ حَنْظَلَةَ قال: سألتُ ابا عبدالله «ع» عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعةٌ في دينٍ أو ميراثٍ فتحاكما الى السلطان أو الى القضاة، أَيَحِلُّ ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم في حقٍّ أو باطلٍ فإنما تحاكم الى الجِبْتِ والطاغوتِ المنهِيَّ عنه .. قلت: فكيف يصنعان وقد اختلفا؟ قال: يَنْظُران مَنْ كان منكم، مِمَّنْ قد روى حديثنا ونظَرَ في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا، فَلْيَرْضِيا به حَكَمًا، فإني قد جعلته عليكم حاكماً؛ فاذا حَكَمَ بحُكْمٍ ولم يَقْبَلْهُ منه، فإنما بحُكْمِ الله اسْتَخَفَّ، وعلينا رَدٌّ. والرادُّ علينا كالرادِّ على الله. وهو على حدٍّ من الشُّركِ بالله^٢ ..

هـ - المرجعية الكبرى

١ الامام العسكري «ع» : .. فأما مَنْ كانَ مِنَ الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمرِ مولاه، فَلِلْعَوامِ أن يُقْلَدوه. وذلك لا يكونُ الا بعضُ فقهاءِ الشيعة لا جميعهم^٣.

* سيأتي البحثُ عن هذا المقام، ومَنْ له الاهليةُ لذلك،

١ - الوسائل ١٨ / ١٠٠.

٢ - الاحتجاج ٢ / ١٠٦.

٣ - الاحتجاج ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤.

في آخر هذا الباب.

وهناك «إشارة»، تَشْتَمِلُ على خمسِ مسألةٍ رئيسية، لا يَفُوتُ

القرّاء الوقوفُ عليها، وتبنيها التجسديُّ، في المجتمع والحياة.

الفصل الخامس

دور العلماء في مواجهة الجبايرة والمستبدين

الكتاب

- ١ ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربه أن آتاهُ اللهُ الملكَ، إذ قال إبراهيمُ: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قال: انا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قال إبراهيمُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *^١
- ٢ وتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ، بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ *^٢
- ٣ إِذْهَبْ أَنْتَ وَآخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *^٣
- ٤ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا..^٤

١ - سورة البقرة (٢): ٢٥٨.

٢ - سورة الانبياء (٢١): ٥٧.

٣ - سورة طه (٢٠): ٤٢ - ٤٣.

٤ - سورة الممتحنة (٦٠): ٤.

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. وما اخذ الله على العلماء، أن لا يُقاروا على كِظَةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلومٍ^١ ..

٢ الامام الحسين «ع» : إعتبروا أيها الناس! بما وعظ الله به اوليائه، من سوء ثنائه على الأخبار، اذ يقول: «لولا ينهأهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم..»^٢، وقال: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - الی قوله - لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^٣. وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد، فلا ينهونهم عن ذلك^٤ ..

٣ الامام السجاد «ع» - من كتابه المعروف الى محمد بن مسلم الزهري، من فقهاء المدينة: .. فانظر! أي رجل تكون غداً، اذا وقفت بين يدي الله .. ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير. هيهات! هيهات! ليس كذلك. أخذ على العلماء في كتابه اذ قال: «لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ»^٥. واعلم! أن أدنى ما كتمت، واخف ما احتملت، أن أنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي، بدؤوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت. فما أخوفني ان تكون تبوء باثمك غداً مع الخونة! وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة! إنك أخذت ما ليس لك ممن اعطاك، ودنوت ممن لم يرد على احدٍ حقاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك. وأحببت^٦ من

١ - نهج البلاغة / ٥٢: عبده ١ / ٣٢.

٢ و ٣ - سورة المائدة (٥): ٦٣ و ٧٨ - ٧٩.

٤ - تحف العقول / ١٧١.

٥ - سورة آل عمران (٣): ١٨٧.

٦ - وفي بعض النسخ: «وأجبت». راجع: طبعة الغفاري / ٢٧٥.

حَادَّ اللهُ . او ليس بدُعائه اياك - حين دَعَاكَ - جَعَلُوكَ قُطْباً اُداروا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ ، وَجِسْرًا يَعْبرُونَ عَلَيْكَ الى بلاياهم ، وُسُلماً الى ضلالتهم ، داعياً الى غِيهِمْ ، سَالِكاً سَبِيلَهُمْ؟! يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ على العلماء ، وَيَقْتادُونَ بِكَ قُلُوبَ الجَهَالِ اليهم ، فلم يَبْلُغْ أَحْصُ وُزرائِهِمْ ولا اقوى أَعوانِهِمْ ، إِلَّا دونَ ما بَلَّغْتَ من إِصلاحِ فسادِهِمْ ، واختلافِ الخاصةِ والعامَةِ اليهم! فما أَقَلُّ ما أَعطُوكَ في قدرِ ما أَخَذُوا مِنْكَ؟! وما أَيَسَّرَ ما عَمَرُوا لَكَ ، فكيفَ ما خَرَّبُوا عَلَيْكَ؟ فانظُرْ لِنَفْسِكَ! فانه لا يَنْظُرُ لها غَيْرُكَ ، وَجاسِبُها حِسابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ .. فما أَخَوَفَنِي أَن تَكُونَ كما قال اللهُ في كتابه: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذا الأَدْنى وَيَقولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا»..^٢ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسنانِكَ وأَقْرانِكَ ، وبقيتَ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْضَبَ . انظُرْ! هلِ ابْتَلُوا بِمِثْلِ ما ابْتَلَيْتَ ، ام هلِ وَقَعُوا في مِثْلِ ما وَقَعْتَ فيه ، ام هلِ تَراهِمْ ذَكَرْتَ خيراً أَهْمَلُوهُ ، وَعَلِمْتَ شيئاً جَهْلُوهُ ، بل حَظَيْتَ بما حَلَّ مِنْ حالكِ في صدورِ العامَةِ وَكَلَّفَهُمْ^٣ بِكَ ، اذ صاروا يَقتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ . إِنْ أَحَلَّلْتَ أَحَلَّوا وان حَرَّمْتَ حَرَّموا ، وليس ذلكَ عِنْدَكَ ، وَلَكِنْ أَظْهَرَهُمْ عَلَيْكَ رَغْبَتَهُمْ فيما لَدَيْكَ ، [و] ذهابُ علمائِهِمْ ، وَغَلْبَةُ الجَهِلِ عَلَيْكَ وَعَليهِمْ ، وَحُبُّ الرِئاسَةِ ، وَطَلْبُ الدُّنيا مِنْكَ وَمِنْهُمْ ..

أَما بَعْدَ ، فَأَعْرِضْ عَن كُلِّ ما اَنْتَ فيه! حتى تَلْحَقَ بِالصالحينَ ، الَّذِينَ دُفِنُوا في أَسمائِهِمْ ، لا صِقَّةً بَطُونُهُمْ بِظُهُورِهِمْ ، ليس بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهُ حِجابٌ ، ولا تَفْتِنُهُمُ الدُّنيا ولا يَفْتِنُونَ بِها .. فاذا كانتِ الدُّنيا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هذا

١ - الظَّاهِرُ أَنَّ الاصلَ كانَ : «في جَنبِ ما ..» ، بِقَرِينَةِ السِّياقِ وَاللَّفْظِ ، وما جاءَ في الفِقرةِ السَّابِقَةِ : «في قدرِ ما ..» ؛ فوَقَعَ السَّهْوُ مِنَ النَّاسِخِينَ .

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٦٩ .

٣ - لعلَّ الظَّاهِرَ في ضَبْطِ هذهِ المِفرَدَةِ : «وَكَلَّفَهُمْ بِكَ» . وهي عَطْفٌ على المِجرورِ في «بِما» . وَالكَلْفُ حُبُّ الشَّيْءِ الشَّدِيدِ وَالوُلُوعُ بِهِ .

المبلِّغ، مع كِبَرِ سِنِّكَ، ورسوخِ علمك، وحضورِ اجلك، فكيفَ يَسَلِّمُ الحَدَّثُ في سِنِّه، الجاهلُ في علمه، المأفونُ في رأيه، المدخولُ في عقله، انَّا لله وانا اليه راجعون! على مَنْ المَعوَّلُ؟ وعندَ مَنْ المُستَعْتَبُ؟ نشكو الى الله بئنا، وما نرى فيك، ونحتسبُ عندالله مصيبتنا بك^١..

٤ الامام الجواد «ع»: .. والعلماءُ في انفسهم خانةٌ، ان كَتَمُوا النِّصْحِيَّةَ، ان رأوا تائهاً ضالاً لا يهدونه، او ميّتاً لا يُحيونه، فبئس ما يصنعون؛ لانَّ الله - تبارك وتعالى - اخذ عليهم الميثاقَ في الكتاب، ان يأْمُرُوا بالمعروفِ وبما أُمرُوا به، وان يَنْهَوْا عَمَّا نُهوا عنه، وان يَتَعَاوَنُوا على البرِّ والتقوى، ولا يَتَعَاوَنُوا على الإثمِ والعدوان^٢..

١ - تحف العقول / ١٩٨ - ٢٠٠؛ و ٢٧٥ - ٢٧٧، من طبعة الففاري.

٢ - الكافي / ٨ / ٥٤.

الفصلُ السادس

مسؤوليات أخرى عظيمة، حول مسائل الحياة ومشاكل
الشعوب

أ - تنبيه الناس وارشادهم

الكتاب

١ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور..١

الحديث

١ الامام الصادق «ع» - حارث بن المغيرة قال: لَقِينِي ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ لَيْلاً فَقَالَ لِي: «يَا حَارِثُ!» فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «أَمَا لِيُحْمَلَنَّ ذُنُوبُ سَفَهَائِكُمْ عَلَى عُلَمَائِكُمْ». ثُمَّ مَضَى. قَالَ (الْحَارِثُ): ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَمْ قُلْتَ: «لِيُحْمَلَنَّ ذُنُوبُ سَفَهَائِكُمْ

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣.

على علمائكم؟» فقد دخلني من ذلك امرٌ عظيم! فقال لي: «نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجلٍ منكم ما تكرهونه - مما يدخل به علينا الأذى والعيبُ عند الناس - ان تأتوه، فتؤنّبوه وتَعْظوه وتقولوا له قولاً بليغاً؟» فقلتُ له: إذا لا يُقبلُ مِنّا ولا يُطعنا .. فقال: «فإذاً فاهجروه عند ذلك، واجتنبوا مُجالسته!»^١.

ب - تطويع البيان، رعاية الحدود في المحاورات، والقدرة على الدفاع عن الحق

الكتاب

١ أدعُ الى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ..^٢

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» : .. ألبیانُ عمادُ العلم^٣.
- ٢ الامام الباقر «ع» : إنا لا نعدُّ الرجلَ فقيهاً عالماً، حتى يعرفَ لحنَ القول.

١ - البحار ١٠٠ / ٨٥ - ٨٦، عن «السرائر».

٢ - سورة النحل (١٦): ١٢٥.

٣ - البحار ١ / ١٨١، عن «الاختصاص».

الفصل السادس : مسؤوليات اخرى عظيمة ..

وهو قولُ الله عزَّ وجلَّ: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ..»^١.
- وفي رواية: - انا لا نعدُّ الرجلَ فينا عاقلاً حتى يعرفَ لحنَ القولِ،
ثم قرأ: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ»^٢.

٣ الامام علي «ع»: علامةُ الايمان أن تُؤثِرَ الصِّدْقَ حيثُ يَضْرُكُ على الكذبِ
حيثُ يَنْفَعُك؛ وأن لا يَكُونَ في حديثِكَ فَضْلٌ عن علمِكَ؛ وأن تَتَّقِيَ اللهَ في
حديثِ غيرِكَ^٣.

٤ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن الامام عليّ بن الحسين السَّجَّاد: .. ليسَ
لكَ أن تَتَكَلَّمَ بما شِئْتَ! لِأَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال: «وَلَا تَقْفُ ما لَيْسَ لك به
عِلْمٌ»^٤، ولِأَنَّ رسولَ الله «ص» قال: «رَحِمَ اللهُ عبداً قال خيراً فَعَنِمَ، او
صَمَتَ فَسَلِمَ». وليسَ لكَ أن تَسْمَعَ ما شِئْتَ! لِأَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: «إِنَّ
السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أولئِكَ كانَ عنه مسؤولاً»^٥.

٥ الامام الجواد «ع»: من أصغى الى ناطقٍ فقد عبده؛ فإن كان الناطقُ عن الله
فقد عبداً لله، وان كان الناطقُ يَنْطِقُ عن لسانِ ابليس، فقد عبداً ابليس^٦.

٦ الامام الصادق «ع» - عن الطَّيَّار^٧ قال: قلتُ لابي عبدالله «ع»: بلغني أنك

١ - سورة محمَّد «ص» (٤٧): ٣٠.

٢ و ٣ - البحار ٢ / ١٣٧ - ١٣٨ و ١٣٩، عن «كشفِ المَحْجَّة» ومصادر اخرى من كتب قدماء
الاصحاب.

٤ - نهج البلاغة / ١٢٩٦: عبده ٣ / ٢٤١.

٥ و ٦ - سورة الاسراء (١٧): ٣٦.

٧ - البحار ٢ / ١١٦، عن «علل الشرايع».

٨ - تحف العقول / ٣٣٦.

٩ - يمكن ان يكون المراد به محمَّد الطَّيَّار - وهو الاب - او ابنه حمزة بن محمَّد الطَّيَّار، المذكور في
الحديث التَّالِي. راجع: تعاليق «رجال الكُشَي» / ٣٤٨، طبعة جامعة مشهد.

كَرِهَتْ مَنَاظِرَةَ النَّاسِ وَكَرِهَتْ الْخُصُومَةَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا كَلَامُ مِثْلِكَ لِلنَّاسِ فَلَا نَكْرَهُ، مَنْ إِذَا طَارَ أَحْسَنَ أَنْ يَقَعَ، وَإِنْ وَقَعَ يُحْسِنُ أَنْ يَطِيرَ؛ فَمَنْ كَانَ هَكَذَا لَا نَكْرَهُ كَلَامَهُ»^١.

٧ الامام الصادق «ع» - ابو جعفر الأحوّل، عن ابي عبدالله «ع»: «مَا فَعَلَ ابْنُ الطَّيَّارِ؟»، فَقُلْتُ: تُوفِّي. فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللهُ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَنَضَّرَهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُخَاصِمُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^٢.

٨ الامام الصادق «ع» - عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبدالله «ع»: «إِنَّ النَّاسَ يَعْيبُونَ عَلَيَّ بِالْكَلَامِ، وَأَنَا أَكَلِّمُ النَّاسَ. فَقَالَ: «أَمَّا مِثْلُكَ مَنْ يَقَعُ ثُمَّ يَطِيرُ فَنَعَمْ، وَأَمَّا مَنْ يَقَعُ ثُمَّ لَا يَطِيرُ فَلَا»^٣.

الفات نظر

جاء في هذه الاحاديث التي ذُكرت كنموذج ، تعليمان هامان:

١ - الاهتمام بالمناظرة والعلم بها وبآدابها وتعليمها وتعلمها، وقراءة الكتب والرسائل التي ألفت فيها، للتدرب بها وتحسين مزاوتها، خصوصاً لحملة الفكر الاسلامي.

٢ - رعاية المواصفات المطلوبة في المناظر، وما هو ضروري له من العلم والاطلاع والخبرة الكافية ومَلَكة البيان الوافي، حتي يكون مُلمّاً بالموضوع، عارفاً بطرق البحث فيه، قادر على اجتياز المراحل المختلفة التي يجب ان يجتازها اثناء المناظرة والكلام، فيعلم أنه اذا وقع كيف يطير، واذا طار كيف يقع.

ففي هذا الضوء، ليس لكل احدٍ لا يتوفر على تلك المواصفات

١ - رجال الكشي / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٢ و ٣ - رجال الكشي / ٣٤٩ و ٣١٩.

الفصل السادس : مسؤوليات اخرى عظيمة ..

والمؤهلات، أن يتصدى للكلام والمناظرة والبحث، ولاسيما في المسائل العقيدية والاصولية، وذلك لان ضرر المتطفلين على هذا الميدان ربما يكون اكثر من نفعهم.

وهذان الاصلان (اي اصل لزوم العلم والتضلع، واصل لزوم الاهلية والحدق)، جاريان في سائر مايمت الى الدين والقيم العالية بصلة، كتأليف كتاب، او كتابة مقالة ورسالة، او نقل مكتوب من لغة الى لغة، او القاء خطابة، او قول شعر، وما الى ذلك.

وراجع للوقوف على اهمية المناظرة وعلمها وآدابها واوقاتها وآفاتها:

- أ - ما اورده ثقة الاسلام الكليني في «الكافي» ٢ / ٣٠٠ .
ب - ما اورده المعلم الكبير الشيخ المفيد البغدادي في «الفصول المختارة» / ٢٨٤ .
ج - ما اورده الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، في «منية المرید»، في الباب الثالث.

وممايهم المناظر الاسلامي هو ان يلاحظ احتجاجات الائمة المعصومين «ع» واصحابهم الأوحديين ومناظراتهم. راجع: سفينة البحار ٢ / ٥٩٦ - ٥٩٧ .

ج - رعاية القابليات الذهنية ومستوى الإدراك

الكتاب

١ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ..^١

الحديث

١ النبي «ص»: «إِنَّا أُمِرْنَا - مَعَاشَرَ الْأَنْبِيَاءِ - أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ بِقَدْرِ عَقُولِهِمْ ..
أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أَمَرْنَا بِاقَامَةِ الْفَرَائِضِ^٢.

٢ الامام الصادق «ع»: «خَالِطُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَدَعُوهُمْ مِمَّا يُنْكِرُونَ»^٣.

٣ الامام الرضا «ع»: «يَا يُونُسُ! حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَاتْرُكْهُمْ مِمَّا لَا
يَعْرِفُونَ»^٤..

٤ الامام الصادق «ع»: «رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا اجْتَرَّ مَوَدَّةَ النَّاسِ الْبَيْنَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا
يَعْرِفُونَ، وَتَرَكَ مَا يُنْكِرُونَ»^٥.

د - نفي البدع وايقاظ الافكار ونشر اليقظة الاجتماعية

١ النبي «ص»: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالَمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ
فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»^٦.

١ - سورة ابراهيم (١٤): ٤.

٢ - البحار ٢ / ٦٩، عن «امالي الطوسي».

٣ - البحار ١ / ٧١، عن «بصائر الدرجات».

٤ - رجال الكشي / ٤٨٧.

٥ - البحار ٢ / ٦٥ و ٦٨، عن «امالي الطوسي» و «امالي المفيد».

٦ - الكافي ١ / ٥٤.

٢ النبي «ص» : فَضُلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْفَرَسِ سَبْعِينَ عَامًا. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ الْبِدْعَةَ لِلنَّاسِ، فَيَبْصُرُهَا الْعَالِمَ، فَيَنْهَى عَنْهَا. وَالْعَابِدُ مُقْبِلٌ عَلَى عِبَادَتِهِ لَا يَتَوَجَّهُ لَهَا وَلَا يَعْرِفُهَا^١.

٣ الامام الصادق «ع» : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُذُولٌ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطَلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خُبْتَ الْحَدِيدِ^٢.

٤ الامام الصادق «ع» : .. بُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ^٣ ..

ايقاظ

مِمَّا يَجِبُ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْهُ الْمُسْلِمُونَ - وَلَا سِيَّما فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ - أَنْ الْبِدْعَةَ لَا تَنْحَصِرُ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَقَائِدِ وَالْمَسَائِلِ الذَّهْنِيَّةِ، بَلْ تَتَعَدَّاهَا إِلَى شُؤُونِ الْحَيَاةِ عَامَةً، كَالْآدَابِ وَالْمَلَابِسِ وَالتَّقَالِيدِ، وَكثِيرًا مَا تَتَسَرَّبُ إِلَى السِّيَاسَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْعِلَاقَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَكَيْفِيَّةِ الْإِدَارَةِ، فِي دَاخِلِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَفِي السِّيَاسَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَالصَّلَاتِ مَعَ الْأُمَّمِ الْآخَرَى.

فَالْبِدْعَةُ لَهَا مَصَادِيقٌ، كَمَا تَوْمِي إِلَيْهِ كَلِمَةُ «الْبِدْع» بِصِيغَةِ الْجَمْعِ. وَهَنَّاكَ يَجِبُ عَلَى الْعَالِمِ الْمُسْلِمِ، بِشَكْلِ أَوْلَى، أَنْ يَكُونَ مُتَنَبِّهًا لِأَنْوَاعِ هَذِهِ الْبِدَعِ وَالْمُسْتَحْدَثَاتِ، عَارِفًا بِكَمِّهَا وَكَيْفِهَا

١ - روضة الواعظين / ١٢.

٢ - رجال الكشي / ٤.

٣ - الكافي / ١ / ٥٢.

ومجاري نفوذها وشيوعها، حتى يُمكنه الوقوفُ في وجهها، وانقاذُ المجتمع منها ومن مَغَبَّاتِهَا. اليوم يرى كلُّ مسلمٍ نابهٍ أنه تَظْهَرُ أمورٌ وتبدو حوادثٌ مستحدثة، في حَقْلِ السياسة والحكم، والعلاقات التي تقع بين المجتمعات الاسلامية وسائر الملل والمجتمعات؛ وهم في أكثرِيَّتِهِمُ أعداءُ القرآن والاسلام والمسلمين. وهي أمورٌ تضرُّ بالاسلام، وتقضي علي عظمة القرآن وعزّة القبلة، وتنادي بفناء القدرة المالية والثقافية والسياسة الاسلامية؛ فهل يُمكنُ بعدَ هذا أن يكون العالمُ - ولا سيما المرجع - جاهلاً بهذه الأمور، أو غافلاً عنها، أو متسامحاً فيها، أو سائراً فيها مع مُيول السّاسة، مستسلماً لنواياهم وخُدَعِهِم، من غير أن يُظْهَرَ علمه الصحيح ونظراته الاسلامية الرَّاجعةُ الى حراسةِ الامة، وحفظِ كيانِ الاسلام، ودفعِ هذه البدع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والخيانات المُسيطرة، ومن غير أن يُظْهَرَ انتباهه وقدرته لتخليصِ الامة الاسلامية، من يد المُستعمرين وُعَمَلَانِهِم؟!!

هـ - طرد اليأس وبتّ روح الأمل

الكتاب

١ قال موسى لقومه : اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْاَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قالوا : أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا، قَالَ : عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْاَرْضِ، فَيَنْظُرَ

- كيف تعملون؟ *^١
- ٢ يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ *^٢
- ٣ قال : وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ؟ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام ابو جعفر الباقر : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقًّا؟ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ *^٤ ..

و- مراعاة حقوق الضعفاء والمحرومين، المادّية والمعنويّة

- ١ الامام علي «ع» : وما اخذ الله على العلماء ان لا يُقَارُوا على كِظَةِ ظالمٍ، ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ *^٥ ..
- ٢ الامام الحسين «ع» - في كلامه القيم الحقّ الذي نصّح به العلماء ووبّخهم : .. فأما حقّ الضّعفاء فضيَّعتم .. فأسلمتم الضّعفاء في ايديهم، فمن بين مُستعبدٍ

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٢٨ - ١٢٩ .

٢ - سورة يوسف (١٢) : ٨٧ .

٣ - سورة الحجر (١٥) : ٥٦ .

٤ - الوسائل ٤ / ٨٣٠ .

٥ - نهج البلاغة / ٥٢ : عيده ١ / ٣٢ .

مقهور، وبين مُسْتَضَعْفٍ على معيشته مغلوبٍ .. يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمَلِكِ بِأَرَائِهِمْ، وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، اقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ؛ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ - عَلَى مَنْبَرِهِ - خَطِيبٌ يَصْقَعُ؛ فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ؛ وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ¹ ..

النبي «ص» - من وصايا النبي وخطبه في أواخر أيامه: .. مَنْ أُمَّ قَوْمًا بِأَذْنِهِمْ، وَهُمْ عَنْهُ رَاضُونَ، فَاقْتَصِدْ بِهِمْ فِي حُضُورِهِ وَقِرَاءَتِهِ وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَقَعُودِهِ وَقِيَامِهِ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ. وَمَنْ أُمَّ قَوْمًا فَلَمْ يَقْتَصِدْ بِهِمْ فِي حُضُورِهِ وَقِرَاءَتِهِ وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَقَعُودِهِ وَقِيَامِهِ، رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، وَلَمْ تَجَاوِزْ تَرَاقِيَهُ، وَكَانَتْ مَنزَلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَنزِلَةِ إِمَامٍ جَائِرٍ مُعْتَدٍ لَمْ يَصْلَحْ لِرِعِيَّتِهِ، وَلَمْ يَقُمْ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَمَا مَنزِلَةُ إِمَامٍ جَائِرٍ مُعْتَدٍ لَمْ يَصْلَحْ لِرِعِيَّتِهِ وَلَمْ يَقُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «هُوَ رَابِعُ أَرْبَعَةٍ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ابْلِيسَ، وَفِرْعَوْنَ، وَقَاتِلَ النَّفْسِ، وَرَابِعُهُمْ سُلْطَانُ جَائِرٍ»².

الامام الصادق «ع» - في بيان هذه الآية: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ»³، قَالَ: لِيَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً⁴.

الامام الصادق «ع»: .. مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنْ يَضَعَ الْعِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ

١ - تحف العقول / ١٧٢.

٢ - ثواب الاعمال / ٣٣٨ - ٣٣٩.

٣ - سورة لقمان (٣١): ١٨.

٤ - الكافي / ١ / ٤١.

والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعاً، فذلك في الدرك الثالث من النار^١.

ز - صيانة اموال الناس ورفع الظلم عنهم

الفات نظر

هذا موضوع قطعي وتكليف اجتماعي اسلامي هام، ثابت على عائق الفقهاء، لما جعل لهم من الولاية والخلافة العامة عن الرسول «ص» والائمة «ع»؛ وما مر من الآيات والأحاديث وما يجيء يدلان على ذلك. راجع أيضاً: كتاب «ولاية الفقيه».

ح - مراعاة الزماني والبؤسي

١ الامام الحسين «ع» - فيما خاطب به علماء الامة وعيرهم: .. وأنتم بالله، في عباده، تكرمون. وقد ترون عهد الله منقوضة فلا تفرعون. وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفرعون، وذمة رسول الله «ص» محقورة، والعُمى والبكم والزماني في المدائن مهملة لا تُرحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون. كل ذلك مما أمركم الله به، من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون. وأنتم أعظم الناس مصيبة - لما غلبتم عليه من منازل العلماء - لو كنتم تشعرون^٢.

ط - معرفة الزمان وخواصه

١ - روضة الواعظين / ٧: البحار ٢ / ١٠٨، عن كتاب «الخصال».

٢ - تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٨، من طبعة الغفاري.

١ الامام الصادق «ع» : العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوايس.^١

ي - التحرز من السلطان والتجنب عنه

١ الامام الصادق «ع» : اياكم وابواب السلطان وحواشيها، فإن أقربكم من ابواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله تعالى. ومن أثر السلطان على الله عز وجل، أذهب الله عنه الورع وجعله حيراناً.^٢

٢ الامام الصادق «ع» : قال رسول الله «ص» : «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا». قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: «إتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».^٣

يا - الجاه، اسبابه ومسؤولياته

١ الامام الحسين «ع» : .. ثم أنتم أيتها العصابة! عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وباللله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده؛ تشفعون في الحوائج اذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الاكابر. أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون؛ فاستخففتم بحق الائمة، فأما حق الضعفاء فضيغتم.^٤

١ - تحف العقول / ٢٤١.

٢ - ثواب الاعمال / ٣١٠.

٣ - الكافي / ١ / ٤٢.

٤ - تحف العقول / ١٧١ - ١٧٢.

الفصل السادس : مسؤوليات اخرى عظيمة ..

٢ الامام السَّجَاد «ع» - فيما يَعِظُ به مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ فقيهَ المدينة: ..
كَيْفَ إِعْظَامُكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بِدِينِهِ فِي النَّاسِ جَمِيلًا؟ وَكَيْفَ صِيَانَتُكَ لِكِسْوَةِ
مَنْ جَعَلَكَ بِكِسْوَتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا؟^١ ..

يب - العلماء والسكوت المبعوض عندالله تعالى

١ الامام الحسين «ع» : .. إَعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، مِنْ سَوْءِ
ثَنَائِهِ عَلَى الْأَحْبَارِ، إِذْ يَقُولُ: «لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ
الإِثْمَ..^٢» وَقَالَ: «لِعِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - إِلَى قَوْلِهِ: - لِبَيْسَ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ»^٣. وَأَمَّا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ
الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، الْمُنْكَرَ وَالْفُسَادَ، فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا
يَنَالُونَ مِنْهُمْ، وَرَهْبَةً مِمَّا يَحْذَرُونَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: «فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ
وَإِخْشَوْنِي..^٤»^٥.

يج - العلماء وعهود الله وذمة رسول الله «ص»

١ الامام الحسين «ع» : .. لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ! أَنْ تَحِلَّ
بِكُمْ نَقْمَةٌ مِنْ نَقِمَاتِهِ، لِأَنَّكُمْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ مَنْزِلَةً فَضَّلْتُمْ بِهَا، وَمَنْ يُعْرِفُ
بِاللَّهِ لَا تُكْرِمُونَ وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ تُكْرِمُونَ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً
فَلَا تَفْرَعُونَ، وَأَنْتُمْ لِبَعْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ تَفْرَعُونَ، وَذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ
مُحَقَّوْرَةٌ..^٦

١ - تحف العقول / ٢٠٠.

٢ و ٣ و ٤ - سورة المائدة (٥): ٦٣ و ٧٨ - ٧٩ و ٤٤.

٥ و ٦ - تحف العقول / ١٧١ - ١٧٢.

يد- العلماء وذم فرارهم من الموت وتسليم امور الدنيا والدين بيد الظالمين

١ الامام الحسين «ع» : .. لو صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى وَتَحَمَّلْتُمْ الْمَوْنَةَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَالْيَكْمُ تَرْجِعُ، وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمْ الظَّلْمَةَ مِنْ مَنَزَلَتِكُمْ وَاسْتَسَلَّمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ؛ سَلَّطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَاعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ^١.

يه - العلماء وبذل الدم لانقاذ الأمم

١ الامام الجواد «ع» : .. يَا أَخِي! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، جَعَلَ فِي كُلِّ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مِنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مَعَهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُجِيبُونَ دَاعِيَ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ، فَأَبْصَرَهُمْ! - رَحِمَكَ اللَّهُ - فَإِنَّهُمْ فِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، وَإِنَّ إِصَابَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَضِيعَةٌ؛ إِنَّهُمْ يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبْصِرُونَ بِنُورِ اللَّهِ مِنَ الْعَمَى، كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ تَائِهٍ ضَالٍّ قَدْ هَدَوْهُ، يَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ دُونَ هَلَكَةِ الْعِبَادِ. وَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَقْبَحَ آثَارَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ^٢.

يو - مصيبة العلماء العظمى عند إهمالهم واجباتهم السياسيّة و الاجتماعيّة

١ - تحف العقول / ١٧٢.

٢ - الكافي / ٨ / ٥٦ - ٥٧.

١ الامام الحسين «ع» : .. وَالْعُمِّيُّ، وَالْبُكْمُ، وَالزَّمْنِي فِي الْمَدَائِنِ مَهْمَلَةٌ لَا تَرَحْمُونَ، وَلَا فِي مَنْزِلَتِكُمْ تَعْمَلُونَ، وَلَا مِنْ عَمَلٍ فِيهَا تُعِينُونَ. وَبِالْإِدْهَانِ وَالْمَصَانِعَةِ عَنْهُ الظُّلْمَةَ تَأْمَنُونَ. كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ مِنَ النَّهْيِ وَالتَّوَاهِي وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا غَلَبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ.١

يز - مسؤولية العلماء تجاه المحرومين والمضطهدين

١ الامام الحسين «ع» : .. فَأَسْلَمْتُمْ الضَّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ .. وَالنَّاسَ لَهُمْ خَوْلاً لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٍ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِيَّ الْمُعِيدَ. فَيَا عَجَباً! وَمَالِي [لَا] أَعْجَبُ؟ وَالْأَرْضُ مِنْ غَاشٍ غَشُومٍ، وَمَتَصَدِّقٍ ظُلُومٍ، وَعَامِلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ غَيْرِ رَحِيمٍ.٢

يح - واجب العلماء في محاربة علماء السلطة

١ الامام الحسين «ع» : .. يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِأَرَائِهِمْ، وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، اقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجَرَاءَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ - عَلَى مَنْبَرِهِ - خَطِيبٌ يَصْقَعُ، فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ.٣

يط - قبول النصيحة والاجتناب من السقوط

١ و ٢ و ٣ - تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٨ - ٢٣٩، من طبعة الغفاري.

١ الامام الصادق «ع» : إنَّ من العلماءٍ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَخْزُنَ عِلْمَهُ وَلَا يُؤْخِذَ عَنْهُ، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ إِذَا وَعِظَ أَنْفَ، وَإِذَا وَعَظَ عُنْفُ، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنْ يَضَعَ الْعِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالشَّرَفِ وَلَا يَرَى لَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَضِعاً، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَذْهَبُ فِي عِلْمِهِ مَذْهَبَ الْجَبَابِرَةِ وَالسَّلَاطِينِ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، أَوْ قُصِّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ غَضِبَ، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَطْلُبُ أَحَادِيثَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لِيَغْزُرَ بِهِ عِلْمُهُ وَيَكْتُرَ بِهِ حَدِيثُهُ، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا وَيَقُولُ: «سَلُونِي»؛ وَلَعَلَّهُ لَا يُصِيبُ حَرْفاً وَاحِداً، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَلِّفِينَ، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مُرُوَّةً وَعَقْلاً، فِذَاكَ فِي الدَّرَكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ.

ك- الشجاعة والاقدام، والجرأة الكاملة في تنفيذ الاحكام

١ الامام علي «ع» : خُضِ الْغَمْرَاتِ لِلْحَقِّ، حَيْثُ كَانَ ٢..

٢ الامام علي «ع» : أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! إِنَّهُ مِنْ رَأْيِ عِدْوَانَا يُعْمَلُ بِهِ، وَمَنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّئَ . وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجْرَ؛ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ. وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ ٣.

١ - روضة الواعظين / ٧: البحار ٢ / ١٠٨، عن كتاب «الخصال».

٢ - نهج البلاغة / ٩١٠؛ عبده ٣ / ٤٥.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٦٢؛ عبده ٣ / ٢٤٣.

٣ الامام الحسين «ع» : .. ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم امور الله في ايديهم، يعملون بالشبهات، ويسرون في الشهوات؛ سلطهم على ذلك فراركم من الموت، واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم^١ ..

٤ الامام الحسين «ع» : .. اما بعد، فقد علمتم ان رسول الله «ص» قد قال في حياته : «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله ان يدخله مدخله»^٢.

* وهذا التعليم النبوي الحسيني، الصامد الثائر، دعوة حاسمة الى إشعال نيران الثورات وخلق الحركات التغييرية، كلما ظهر الجور، واستحلت حرم الله، ونكث عهد الله، وخولفت سنة رسول الله «ص»، وعمل في عباد الله بالإثم والعدوان .

ومن يكون في هذه العصور مصداقاً لعموم قوله «ص» : «من رأى ..» ومكلفاً بهذا التكليف الالهي، غير علماء المسلمين وقبلهم؟ حتى تقتدي بهم الأمة القرآنية هنا وهناك، فتدك العروش، وتدمر البلاطات، وتقضي على استيلاء اولئك الملوك الخونة ورؤساء الجمهوريات العملاء العبيد - في الأغلب - فتتحرر وتشرق طريقها إلى حريتها واستقلالها ومجدها الاسلامي الكبير ..

١ - تحف العقول / ١٧٢ .

٢ - البحار / ٤٤ / ٣٨٢ .

فائدة

كلمة السيد جمال الدين الاسد آبادي، في ذم الجبن

نذكرُ هنا فصلاً من كلام السيد جمال الدين الحسيني الاسد-
آبادي، عن الجبن، ومنافاته للايمان وإضراره بأداء التكليف
الاسلامية، يقول المصلح:

ينبغي أن يكون ابناء الملة الاسلامية - بمقتضى أصول دينهم
- أبعد الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن)، فإنها أشد الموانع
عن اداء ما يرضي الله - وإنهم لا يبتغون الا رضاه. يعلمُ قرأء القرآن
أن الله قد جعل حبَّ الموت علامة الايمان، وامتنحَن الله به قلوبَ
المعاندين، ويقولُ في ذم من ليسوا بمؤمنين: «ألم تر الى الذين قيلَ
لهم كُفُوا أيديكم وأقيموا الصلاةَ وأتوا الزكاةَ، فلما كُتِبَ عليهمُ
القتالُ، إذا فريقٌ منهم يَخشونَ الناسَ كخشيةِ الله أو أشدَّ خشيةً
وقالوا: ربَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القتالَ، لولا أَخْرَجْنَا الى أَجَلٍ قَرِيبٍ؟
..». الاقدامُ في سبيلِ الحق، وبذلُ الاموالِ والارواحِ في إعلاء
كلمته، أو سِمةٌ يَتَّسِمُ بها المؤمنون. لم يَكْتَفِ الكتابُ الالهي بأن تُقام
الصلاة وتؤتى الزكاة وتُكفَّ الايدي، وعدَّ ذلك ممَّا يشترك فيه
المؤمنون والكافرون والمنافقون، بل جعلَ الدليلَ الفردَ هو بذلُ
الروحِ في إعلاء كلمةِ الحق، والعدلِ الالهي، بل عدَّه الركنَ
الوحيد الذي لا يُعتدُّ بغيره عند فقده.

لا يظنُّ ظانُّ أنه يُمكنُ الجمعُ بين الدينِ الاسلامي وبين
الجبنِ في قلبٍ واحد. كيف يمكنُ هذا وكلَّ جزءٍ من هذا الدينِ

الفصل السادس : مسؤوليات اخرى عظيمة ..

يُمَثِّلُ الشَّجَاعَةَ وَيُصَوِّرُ الاقْدَامَ، وَإِنَّ عِمَادَةَ الاخْلَاصِ لَهِ اللهُ، وَالتَّخَلِّيَ
عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ لاسْتِحْصَالِ رِضَاہِ.

المؤمن من يوقن أن الآجال بيد الله يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا
يُفِيدُهُ التَّبَاطُؤُ عَنْ أَدَاءِ الفُرُوضِ زِيَادَةً فِي الاجْلِ، وَلَا يَنْقُصُهُ الاقْدَامُ
دَقِيقَةً مِنْهُ. المؤمن من يَنْتَظِرُ بِنَفْسِهِ إِلَى إِحْدَى الحُسْنَيْنِ: إِمَّا أَنْ
يَعِيشَ سَيِّدًا عَزِيزًا وَإِمَّا أَنْ يَمُوتَ مُقَرَّبًا سَعِيدًا، وَتَصْعَدَ رُوحُهُ إِلَى
أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَيَلْتَحِقَ بِالكُرُوبِيِّينَ، وَالمَلَائِكَةِ المَقْرَبِينَ.

مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الجُبْنِ وَبَيْنَ الايْمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ
مُحَمَّدٌ «ص» فَقَدْ غَشِيَ نَفْسَهُ وَغَرَّرَ بِعَقْلِهِ وَلَعِبَ بِهِ هَوَاهُ، وَهُوَ لَيْسَ
مِنَ الايْمَانِ فِي شَيْءٍ. كُلُّ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ تَشْهَدُ عَلَى الجَبَانِ بِكُذْبِهِ
فِي دَعْوَى الايْمَانِ.

لِهَذَا نَأْمَلُ مِنْ وَرَثَةِ الانبِيَاءِ أَنْ يَصَدَعُوا بِالْحَقِّ، وَيُذَكِّرُوا
بآيَاتِ اللهِ وَمَا أودَعَ اللهُ فِيهَا، مِنْ الأَمْرِ بِالاقْدَامِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ،
وَالنَّهْيِ عَنِ التَّبَاطُؤِ وَالتَّقَاعُدِ فِي اِدَاءِ مَا أَوْجَبَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَفِي الظَّنِّ أَنَّ العُلَمَاءَ لَوَقَامُوا بِهَذِهِ الفَرِيضَةِ (الامر بذاك
المعروف والنهي عن هذا المنكر) زَمَنًا قَلِيلًا، وَوَعظُوا الكَافَّةَ
بِتَبْيِينِ مَعَانِي القُرْآنِ الشَّرِيفِ وَإِحْيَائِهَا فِي أَنْفُسِ المُؤْمِنِينَ، رَأَيْنَا
لذَلِكَ أَثْرًا فِي هَذِهِ المِلَّةِ يَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ، وَشَهِدْنَا لَهَا يَوْمًا
تَسْتَرْجِعُ فِيهِ مَجْدَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا - وَهُوَ مَجْدُ اللهِ الاكْبَرِ -
فَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا وَرَثُوا عَنْ أَسْلَافِهِمْ وَبِمَا تَكُنُّ فِي أَفْئِدَتِهِمْ مِنْ آثَارِ
العَقَائِدِ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَّا لِقَلِيلٍ مِنَ التَّنْبِيهِ، وَيَسِيرٍ مِنَ التَّذْكِيرِ،
فَيَنْهَضُونَ نَهْضَةَ الأَسْوَدِ، فَيَسْتَرِدُّوهُ مَفْقُودًا، وَيَحْفَظُوا مَوْجُودًا،
وَيُنَالُوا عِنْدَ اللهِ مَقَامًا مَحْمُودًا.)

الفصل السابع

مسؤولية العلماء أمام القرآن

الكتاب

- ١ قل : يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تُقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً، فلاتأس على القوم الكافرين *^١
- ٢ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يُردون الى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون *^٢
- ٣ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهرهم، كأنهم لا يعلمون *^٣
- ٤ وقال الرسول: يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً *^٤

١ - سورة المائدة (٥): ٦٨.

٢ و٣ - سورة البقرة (٢): ٨٥ و ١٠١.

٤ - سورة الفرقان (٢٥): ٣٠.

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، حتى تماثلت بهم الأهواء، وتوارثوا ذلك من الآباء، وعملوا بتحريف الكتاب كذباً وتكديباً، فباعوه بالبخس، وكانوا فيه من الزاهدين. فالكتابُ واهلُ الكتاب، في ذلك الزمان، طريدان منفيان^١ ..

٢ الامام علي «ع» : .. سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله. وليس عند اهل ذلك الزمان، سلعة أبور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه اذا حُرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر!^٢ ..

٣ الامام الجواد «ع» : .. كلُّ أمةٍ قد رَفَعَ اللهُ عنهم علمَ الكتاب حينَ نبذوه، وولّاهم عدوهم حينَ تولّوه. وكان من نبذهم الكتاب أن اقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده؛ فهم يروونه ولا يرعونه. والجهال يُعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية. وكان من نبذهم الكتاب ان ولّوه الذين لا يعلمون، فأوردوهم الهوى، وأصدروهم الى الردى، وغيروا عرى الدين، ثم ورثوه في السّفه والصّبا، فالأمة يصدّرون عن امرِ الناس بعد امرِ الله - تبارك وتعالى - وعليه يردون، فبئس للظالمين بدلا: ولاية الناس بعد ولاية الله، وثواب الناس بعد ثواب الله، ورضا الناس بعد رضا الله؛ فأصبحت الامّة كذلك، وفيهم المجتهدون في العبادة على تلك الضلالة، مُعجبون، مفتونون^٣.

١ - الوافي ٣ (م ١٤) / ٢٢.

٢ - نهج البلاغة / ٤٤٧ - ٤٤٨: عبده ٢ / ٤١.

٣ - الكافي ٨ / ٥٣.

الفصل الثامن

ذمّ اختلاف العلماء وتفرّقهم

الكتاب

- ١ .. وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ، بَغِيًّا بَيْنَهُمْ..^١
- ٢ .. وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ *^٢
- ٣ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ، بَغِيًّا بَيْنَهُمْ..^٣
- ٤ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَيُحْكَمُ

١ - سورة البقرة (٢): ٢١٣.

٢ - سورة الانفال (٨): ٤٦.

٣ و ٤ - سورة الشورى (٤٢): ١٤ و ١٣.

الفصل الثامن : ذم اختلاف العلماء وتفرقهم

فيها برأيه. ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلافه. ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً، وإلهمم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد! أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فإطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً، فقصر الرسول «ص» عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^١ وقال: «فيه تبيان كل شيء»^٢. وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»^٣.

الامام الحسين «ع»: .. وذلك بأن مجاري الامور والاحكام على أيدي العلماء بالله، الأمانة على حلاله وحرامه؛ فأنتم المسلوبون تلك المنزلة. وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق، واختلافكم في السنة، بعد البينة الواضحة. ولو صبرتم على الاذى، وتحملتُم المؤونة في ذات الله، كانت امورُ الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع^٤..

٢

١ - سورة الانعام (٦) : ٣٨.

٢ - مقتبس من الآية ٨٩، سورة النحل (١٦).

٣ - سورة النساء (٤) : ٨٢.

٤ - نهج البلاغة / ٧٤ : عبده ١ / ٥٠ - ٥١.

٥ - تحف العقول / ١٧٢.

الفصل التاسع

التغور والمرابطون

الكتاب

١ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير،
سيروا فيها ليالي وأياماً آمين *^١

* جاء في بعض الاحاديث - في المعنى التأويلي لهذه الآية
القرآنية - أنّ «القرى التي باركنا فيها» اشارة الى اوصياء النبي، وهم
الائمة من آل محمد «ص»؛ وأنّ «القرى الظاهرة» اشارة الى
الربانيين من العلماء، الذين يوصلون احاديث النبي ووصيائه
وتعاليمهم ومعارفهم وآدابهم الى الناس، عبر التاريخ.^٢

١ - سورة سبأ (٣٤) : ١٨.

٢ - راجع للاشارة الى «المعنى التأويلي»: الفصل ٤٥، من الباب ٦، فقرة «ب».

٣ - راجع بصدد هذا الموضوع: «الكافي» ١ / كتاب «فضل العلم»: تفسير «البرهان» ٣ / ٣٤٧ -

٣٤٩: تفسير «نور الثقلين» ٤ / ٣٢٩ - ٣٣٣.

الحديث

- ١ النسي «ص» : من خَرَجَ يَطْلُبُ باباً من علم، لِيُرَدَّ به باطلاً الى حق، أو ضلالةً الى هدى، كان عَمَلُهُ ذلك كعبادةٍ مُتَعَبِّدٍ اربعينَ عاماً.^١
- ٢ الامام الصادق «ع» - قال معاويةُ بن عَمَّارٍ: قلتُ لابي عبدالله «ع»: رجلٌ راويةٌ لحديثكم، يَبُتُّ ذلك الى الناس، وَيُشَدِّدُهُ في قلوبِ شيعتكم، ولعلَّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الروايةُ أيهما أفضل؟ قال: «روايةُ لحديثنا يَبُتُّ في الناس وَيُشَدِّدُ في قلوبِ شيعتنا افضلُ من الفِ عابد».^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - فيما رواه الامامُ العسكري: علماءُ شيعتنا مُرابطون في الثَّغْرِ الذي يلي ابليسَ وعفاريته، يَمْنَعُونَهُم عن الخروجِ على ضُعفاءِ شيعتنا وعن أن يَتَسَلَّطَ عليهم ابليسُ وشيعته النواصب. ألا! فَمَنْ انْتَصَبَ لذلك من شيعتنا كان أفضلَ مِمَّنْ جاهدَ الرومَ و.. أَلْفَ الفِ مرَّةٍ، لأنَّهُ يَدْفَعُ عن أديانِ مُحِبِّينا، وذلك يَدْفَعُ عن أبدانِهِم.^٣
- ٤ الامام الكاظم «ع»: فقيهٌ واحدٌ يُنْقِذُ يَتِيماً من أيتامنا المنقطعين عن مُشَاهَدَتِنَا، بتعليمِ ما هو محتاجٌ اليه، اشدُّ على ابليس من الفِ عابد. لِأَنَّ العابدَ هُمَّ ذاتُ نفسِهِ فقط، وهذا معَ ذاتِ نفسِهِ ذاتُ عبادِ الله وإمائه، لِيُنْقِذَهُم من يدِ ابليسِ ومَرَدَّتِهِ؛ فذلك هو افضلُ عندَ الله من الفِ الفِ عابدٍ، والفِ الفِ عابدةٍ.^٤

١ - البحار ١ / ١٨٢، عن «امالي الطوسي».

٢ - البحار ٢ / ١٤٥، عن «بصائر الدرجات».

٣ - الاحتجاج ٢ / ١٥٥.

٤ - الاحتجاج ٢ / ١٧٠؛ البحار ٢ / ٥.

- ٥ الامام الجواد «ع» : .. يا اخي ! إنَّ الله عز وجل، جعل في كلِّ من الرُّسل بقايا
مِن اهل العلم، يدعون من ضلَّ الى الهدى، ويصبرون معهم على الاذى^١ ..
- ٦ الامام العسكري «ع» : قال الحسنُ بن علي «ع» : فضلُ كافلِ يَتيمِ آلِ
محمد، المنقطعِ عن مواليه، الناشبِ في رُتبهِ الجهل، يُخرجهُ من جهله
ويوضِّحُ له ما اشتبهَ عليه، على فضلِ كافلِ يَتيمٍ يُطعمه ويسقيه، كفضلِ
الشمسِ على السُّهى^٢ .

١ - الكافي ٨ / ٥٦، مر الحديث في هذا الباب، في الفصل ٦، فراجع.

٢ - البحار ٢ / ٣، عن «تفسير الامام العسكري» و«الاحتجاج».

الفصلُ العاشرُ

مصيبة العالم برجوعه الى الظالم

الكتاب

١ ألم ترَ الى الذين أُوتُوا نصيباً من الكتاب، يُؤمنون بالجِبْتِ والطَّاغوتِ،
ويَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: هؤلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أولئك الذين
لَعَنَهُمُ اللهُ، ومن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن نَجِدَ لَهُ نَصِيراً *^١

الحديث

١ النبي «ص»: مَنْ تَوَلَّى خِصْمَةَ ظَالِمٍ اوْ أَعَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مَلَكُ
الموتِ، قَالَ لَهُ: أَبَشِّرْ بِلَعْنَةِ اللهِ وَنَارِ جَهَنَّمَ وَبئْسَ المصيرُ. وَقَالَ: «مَنْ دَلَّ
جَائِراً عَلَى جَوْرٍ، كَانَ قَرِيناً هَامَاناً فِي جَهَنَّمَ»^٢.

١ - سورة النساء (٤): ٥١ - ٥٢.

٢ - البحار ١٠٤ / ٢٩٣، عن «امالي الصدوة».

- ٢ النبي «ص» : ما قَرَّبَ عَبْدٌ مِنْ سُلْطَانٍ، إِلَّا تَبَاعَدَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى^١.
- ٣ النبي «ص» : مَنْ نَكَثَ بَيْعَةً، أَوْ رَفَعَ لِيَوَاءَ ضَلَالَةٍ، أَوْ كَتَمَ عِلْمًا، أَوْ اِعْتَقَلَ مَالًا ظُلْمًا، أَوْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، فَقَدْ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ^٢.
- ٤ النبي «ص» : مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا بِمَا أُسْخِطَ اللَّهُ تَعَالَى، خَرَجَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ^٣.
- ٥ النبي «ص» : أَفْضَلُ التَّابِعِينَ مِنْ أُمَّتِي، مَنْ لَا يَقْرُبُ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ^٤.
- ٦ النبي «ص» : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانَ الظُّلْمَةِ: مَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً، أَوْ رَبَطَ لَهُمْ كَيْسًا، أَوْ مَدَّ لَهُمْ مَدَّةً؛ أَحْشَرُوهُ مَعَهُمْ^٥.
- ٧ الامام علي «ع» : .. إِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مَظْهَرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» مُتَعَمِّدًا؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ .. وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ «ص» رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ ..
- ثم بَقُوا بَعْدَهُ - عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ - فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالذُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ؛ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا. وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ^٦ ..
- ٨ الامام الصادق «ع» : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَقُولُ: يَا طَالِبَ الْعِلْمِ! إِنَّ لِلْعَالِمِ ثَلَاثَ عِلْمَاتٍ: الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالصَّمْتَ؛ وَلِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثَ عِلْمَاتٍ: يُنَازِعُ

١ - نوادر الراوندي / ٤.

٢ - نوادر الراوندي / ١٧.

٣ و ٤ و ٥ - نوادر الراوندي / ٢٧.

٦ - نهج البلاغة / ٦٦٥؛ عبده ٢ / ٢١٤.

مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَظْلِمُ مِنْ دُونِهِ بِالْغَلْبَةِ، وَيُظَاهِرُ الظَّلْمَةَ^١.

٩ الامام الصادق «ع» - عن ابيه: من دَخَلَ على امامٍ جائرٍ فَقَرَأَ عليه القرآن، يُرِيدُ بِذَلِكَ عَرَضاً مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، لِعَيْنِ الْقَارِئِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ لَعَنَاتٍ، وَلِعَيْنِ الْمَسْتَمِعِ بِكُلِّ حَرْفٍ لَعْنَةً^٢.

١٠ الامام العسكري «ع»: سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ وَجُوهُهُمْ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُظْلِمَةٌ مُتَكَدِّرَةٌ، السُّنَّةُ فِيهِمْ بِدْعَةٌ، وَالْبِدْعَةُ فِيهِمْ سُنَّةٌ، الْمُؤْمِنُ بَيْنَهُمْ مُحَقَّرٌ، وَالْمُنَافِقُ بَيْنَهُمْ مُوقَّرٌ، أُمَرَاؤُهُمْ جَاهِلُونَ جَائِرُونَ، وَعُلَمَاؤُهُمْ فِي ابْوَابِ الظَّلْمَةِ^٣..

١ - الكافي ١ / ٣٧.

٢ - البحار ٩٢ / ١٨٤، عن «الاختصاص».

٣ - المستدرک ٢ / ٣٢٢.

الفصلُ الحادي عشر

العلماء الصّالحون وبعض خصائصهم

الكتاب

- ١ الذين يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا*^١
- ٢ أَنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..^٢
- ٣ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ..^٣

* هذه الآيات و أمثالها تُشير إلى عدّة من خصائص الصالحين من العلماء، وهناك أحاديث كثيرة تتضمّن تلك الخصائص وأمثالها، نأتي بمجموعةٍ منها تحت العناوين التالية:

١ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٣٩.

٢ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٨.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٥٤.

الحديث

أ - العلم بالله تعالى

- ١ النبي «ص»: .. وأما علامة العلم فأربعة: العلم بالله، والعلم بمُحِبِّيه، والعلم بفرائضه، والحفظ لها حتى تُؤدِّي^١.
- ٢ الامام الحسين «ع»: .. ذلك بأن مجاري الامور والاحكام على أيدي العلماء بالله^٢ ..
- ٣ الامام الصادق «ع»: أفضل العباد، العلم بالله، والتواضع له^٣.
- ٤ الامام الصادق «ع»: قال لقمان لابنه: للعالم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يُحِبُّ، وبما يَكْرَهُ^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع»: إنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بالله أخوفهم لله، وأخوفهم له اعلمهم به، واعلمهم به أزهدهم فيها^٥.

الفات نظر

المراد من «العلم بالله»، هو المعرفة الجازمة بذات الله تعالى والاطلاع على دينه ورسالاته ومرضياته ومنهياته. فهذا النوع من المعرفة الجازمة يجعل القلب دائم التوجه، أو كثيره، الى الله -

١ - تحف العقول / ٢١.

٢ - تحف العقول / ١٧٢.

٣ - تحف العقول / ٢٦٩.

٤ - الخصال / ١٢١.

٥ - البحار ٢ / ٢٧، عن «تفسير القمي».

تبارك وتعالى - بحيثُ يَنْتَقِلُ صاحبُ هذا العلمِ الى مرتبةٍ من المعرفة تُلْزِمُهُ رعايَةَ الشريعةِ في الشؤون (الظاهرة والباطنة، الفردية والاجتماعية، الشخصية وغير الشخصية) وتُكْسِبُهُ الصُّمُودَ في تحصيل رضا الله، في حركاته وسكناته و أحواله عامّة. ولأجل ذلك جاء في الاحاديث هذا التعبيرُ: «العلمُ بالله - والعلماءُ بالله»، فكأنهم «ع» أرادوا بهذا معنىً أدقَّ وأعمقَ من المعرفة. فالعلمُ بالله يعني معرفته بحيثُ أنه مُشَاهِدٌ لك، لأنَّه إن لم تكن تراه فهو يراك. ويقولُ العالمُ الكبير الشيخ زينُ الدين العاملي، الشهيدُ الثاني، في مقام تفریقِ أنواعِ العلمِ والتصدي لطلب ما هو الأهم: «وَلْيُعْلَمَ مَعَ ذلك أيضاً، أنَّ مُجَرَّدَ تَعَلُّمِ هذه المسائل المدوّنة ليس هو الفقه عند الله تعالى، وإنما الفقهُ عند الله تعالى بادراكِ جلاله وعظّمته؛ وهو العلمُ الذي يُورثُ الخوفَ والهيبةَ والخشوعَ والحملَ على التقوى ..»^١.

ب - طلب العلم لله وعلائم ذلك وآثاره

١ النسي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين: من طلب العلم لله، لم يُصَبْ منه باباً الاّ ازداد به في نفسه ذللاً، وفي الناس تواضعاً، والله خَوْفاً، وفي الدين اجتهاداً. وذلك الذي يَنْتَفِعُ بالعلم، فَلْيَتَعَلَّمْهُ ..^٢

ج - التأمّل والخلوة والتفكّر

١ مُنية المرید / ٥٨؛ و ٥٩، من طبعة قم.

٢ - روضة الواعظین / ١١.

١ النبي «ص»: يا أباذر! مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ، لَحَقِيقُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُوتِيَ عِلْمًا لَا يَنْفَعُهُ. إِنَّ اللَّهَ نَعَتَ الْعُلَمَاءَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «..إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ، إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا»^١.

يا أباذر! مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْكِيَ فَلَئِبِكَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُشْعِرْ قَلْبَهُ الْحُزْنَ وَلْيَتَبَاكَ. إِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^٢.

٢ النبي «ص»: .. وَأَمَّا عَلَامَةُ الْخَاشِعِ فَأَرْبَعَةٌ: مُرَاقَبَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَرُكُوبُ الْجَمِيلِ، وَالتَّفَكُّرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْمُنَاجَاةُ لِلَّهِ^٣.

* مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ «ص» مِنْ عَلَامَاتِ الْخَاشِعِينَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ بِطَرِيقِ أَوْلَى، قَالَ الشَّهِيدُ الثَّانِي: «وَاللَّعَالِمُ فِي تَقْصِيرِهِ فِي الْعِلْمِ، بَعْدَ أَخْذِهِ بِظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتِعْمَالِهِ مَا دُونَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالِدَّعَاءِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، ضُرُوبٌ أُخْرَى؛ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ - غَيْرُ مَنْحَصَرَةٍ فِيمَا ذَكَرَ، بَلْ مِنْ الْخَارِجِ عَنِ الْبُوابِ الَّتِي رَتَّبَهَا الْفُقَهَاءُ مَا هُوَ أَهْمٌ وَمَعْرِفَتُهُ أَوْجِبُ، وَالْمَطَالِبَةُ بِهِ وَالْمُنَاقَشَةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ. وَهُوَ تَطْهِيرُ النَّفْسِ عَنِ الرَّذَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ، مِنَ الْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الرَّذَائِلِ الْمُهْلِكَاتِ - مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عُلُومِ تَخْتَصُّ بِهِ - وَحِرَاسَةُ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَكَلَامِ ذِي اللِّسَانِينَ وَذِكْرِ عِيُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهَا، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي

١ - سورة الاسراء (١٧): ١٠٧ - ١٠٩.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤٣.

٣ - تحف العقول / ٢٢.

سائر الجوارح؛ فإن لها احكاماً تخصها، وذنوباً مقررةً في محالها، لا بدُّ لكلِّ أحدٍ من تعلّمها، وامتنالِ حكمها. وهي تكليفات لا توجدُ في كتاب البيوع والاجارات وغيرها من كتبِ الفقه، بل لا بدُّ من الرجوع فيها الى علماء الحقيقة العاملين وكتبهم المدونة في ذلك. وما أعظم اغترار العالم بالله تعالى في رضاه بالعلوم الرسمية، وإغفاله لاصلاح نفسه، وارضاء ربه - تبارك وتعالى - ..^١

٤ الامام الصادق «ع»: طلبُ العلم ثلاثة، فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنفٌ يطلبه للجهل والمراء، وصنفٌ يطلبه للإستطالة والختل، وصنفٌ يطلبه للفقه والعقل؛ فصاحبُ الجهل والمراء، مُودٍ، مُمارٍ، متعزُّضٌ للمقال في أنديّة الرجال، بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدقَّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه خيزومه. وصاحبُ الاستطالة والختل، ذو خبٍّ وملق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لخلواتهم هاضم، ولدينه حاظم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره. وصاحبُ الفقه والعقل، ذو كآبةٍ وحزنٍ وسهرٍ، قد تحنَّك في برنسه، وقام الليل في حنديه، يعمل ويخشى، وجلاً، داعياً، مُشفقاً، مُقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مُستوحشاً من أوثق إخوانه. فشدَّ الله من هذا اركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه^٢.

٥ الامام الصادق «ع»: الخشيةُ ميراثُ العلم، والعلمُ شعاعُ المعرفة وقلبُ الايمان. ومن حرم الخشية لا يكون عالماً، وان شقَّ الشَّعر في مُتشابهاً

١- مُنية المُريد / ٥٥ - ٥٦؛ و ٥٧ - ٥٨، من طبعة قم. راجع ايضاً: ص ٣٣، من الطبعة المذكورة.

للکلام الذي ينقله من بعض المحققين في تصنيف العلماء الى ثلاثة: «عالم بالله غير عالم بامر الله»؛ و «عالم بامر الله غير عالم بالله»؛ و «عالم بالله وبأمر الله».

٢ - الكافي / ١ / ٤٩.

- العلم. قال الله عز وجل: «أَتَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^١..
- ٦ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن الامام امير المؤمنين: نَبَّهَ بِالْفِكْرِ قَلْبَكَ، وَجَافَ عَنِ النَّوْمِ جَنِبَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ!^٢.
- ٧ الامام الصادق «ع»: .. السَّعِيدُ مَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ خَلْوَةً يُشْغَلُ بِهَا.^٣

د - تفاعل العلم مع القلب

- ١ النبي «ص»: العِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَلِكَ حِجَّةٌ عَلَى ابْنِ آدَمَ. وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.^٤
- ٢ الامام علي «ع»: أَوْضَعَ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.^٥
- ٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَثَبَّتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عَيُوبَ الدُّنْيَا، دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ.^٦
- ٤ الامام علي «ع»: .. أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا.^٧

١ - البحار ٢ / ٥٢، عن «مصباح الشريعة».

٢ - امالي المفيد / ١٢١.

٣ - البحار ٧٢ / ٢٠٣، عن «كشف الغمة».

٤ - البحار ٢ / ٣٣، عن «الغوالي».

٥ - نهج البلاغة / ١١٢٧؛ عبده ٣ / ١٧٠.

٦ - البحار ٢ / ٣٣، عن «السرائر».

٧ - نهج البلاغة / ٩٠٩؛ عبده ٣ / ٤٤.

٥ الامام علي «ع» : سَكُنُوا فِي أَنْفُسِكُمْ مَعْرِفَةً مَا تَعْبُدُونَ، حَتَّى يَنْفَعَكُمْ مَا تُحَرِّكُونَ مِنَ الْجَوَارِحِ بِعِبَادَةٍ مِنْ تَعْرِفُونَ^١.

* وَإِلَى ذَلِكَ تُشِيرُ الْكَلِمَةُ السَّمَاوِيَّةُ: «وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ..^٢». فَالْعِلْمُ النَّاجِعُ، هُوَ الَّذِي يُهَيِّمُنُ عَلَى النَّفْسِ، وَيَسْتَقِرُّ فِي الْقَلْبِ وَيَسْكُنُ فِيهِ، وَيَكُونُ مَحَوْرًا فِي الْعَمَلِ وَالْأَقْدَامِ، وَبِهِ تَحْصُلُ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَبَصِيرَةُ الْبَاطِنِ. وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَهُوَ الْفَاطُ تَتَكَرَّرُ وَمَصْطَلِحَاتُ تَتَدَاوَلُ.

٦ عيسى المسيح «ع» : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الزَّرْعَ يَنْبُتُ فِي السَّهْلِ وَلَا يَنْبُتُ فِي الصَّفَا، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَعْمُرُ فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ وَلَا تَعْمُرُ فِي قَلْبِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ. أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ شَمَخَ بِرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجَّهَ، وَمَنْ خَفَضَ بِرَأْسِهِ عَنْهُ اسْتَظَلَّ تَحْتَهُ وَأَكْنَهَ. وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَتَوَاضِعْ لِلَّهِ خَفَضَهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَصْلَحُ الْعَسَلُ فِي الرَّقَاقِ، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ لَيْسَ عَلَى كُلِّ حَالٍ تَعْمُرُ الْحِكْمَةَ فِيهَا؛ إِنْ الزُّقُّ مَا لَمْ يَنْخَرِقْ أَوْ يَقْحَلْ أَوْ يَتَفَلَّ، فَسَوْفَ يَكُونُ لِلْعَسَلِ وَعَاءً. وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ مَا لَمْ تَخْرُقْهَا الشَّهَوَاتُ وَيُدْنِسْهَا الطَّمَعُ وَيُقْسِهَا النَّعِيمُ، فَسَوْفَ تَكُونُ أَوْعِيَةً لِلْحِكْمَةِ^٣.

٧ عيسى المسيح «ع» : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الدَّابَّةَ إِذَا لَمْ تُرْتَكَبْ وَلَمْ تُمْتَهَنْ وَتُسْتَعْمَلْ، لَتَصْعَبُ وَيَتَغَيَّرُ خُلُقُهَا. وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ إِذَا لَمْ تُرْفَقْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ

١ - تحف العقول / ١٦٠.

٢ - سورة الحج (٢٢) : ٥٤.

٣ - تحف العقول / ٣٧٥.

٤ - ظ: لم تُرْفَقْ.

وتتعبها دُؤوبُ العبادة، تقسو وتغلظ. ماذا يُغني عن البيتِ المُظلم ان يُوضَعَ السراجُ فوقَ ظَهْرِهِ، وجوفهُ وحشٌ مُظلمٌ؟ كذلك لا يُغني عنكم أن يكونَ نورُ العلمِ بأفواهكم واجوافكم منه وحشةٌ مُعطلةٌ. فأسرِعوا الى بيوتكم المُظلمةِ فأنيروا فيها! كذلك فأسرِعوا الى قلوبكم القاسية بالحكمة، قبل ان ترينَ عليها الخطايا فتكونَ اقسى من الحجارة^١ ..

* واذا واظبَ العالم، أو المتعلِّم، على التأملِ ومحاسبةِ النفسِ ومراقبتها، يعدو العلمُ اللسانَ فيستقرُّ في القلب، ويمنحُ صاحبه حياةً أُخرى، ويجعله كما قال مولانا أمير المؤمنين «ع»:

٨ الامام علي «ع»: رأسُ العلمِ التواضع، وبصرُهُ البراءةُ من الحسد، وسمعُهُ الفهم، ولسانه الصدق، وقلبه حُسنُ النية، وعقلُهُ معرفةُ اسبابِ الامور؛ ومن ثمراته التقوى، واجتنابُ الهوى، واتباعُ الهدى، ومُجانبةُ الذنوب، ومودةُ الإخوان، والاستماعُ من العلماء، والقبولُ منهم .. ومن ثمراته تركُ الانتقامِ عند القدرة، واستقباحُ مُقارفةِ الباطل، واستحسانُ متابعةِ الحق، وقولُ الصدق، والتجافي عن سُرورٍ في غفلةٍ، وعن فعلٍ ما يُعقبُ ندامة. والعلمُ يزيدُ العاقلَ عقلاً، ويورثُ متعلِّمه صفاتَ حمدٍ .. ويقمعُ الحرصَ، ويخلعُ المكرَ، ويُميتُ البخلَ، ويجعلُ مُطلقَ الوحشِ مأسوراً، وبعيدَ السُّدادِ قريباً^٢ ..

هـ - التواضع والاخلاص

١ - تحف العقول / ٣٧٧.

٢ - البحار ٧٨ / ٦.

١ عيسى المسيح «ع» : يا معشرَ الحواريين، لي اليكم حاجةٌ أقضوها لي! قالوا: قُضِيَتْ حاجتُك يا روحَ الله! فقام فغسلَ أقدامهم. فقالوا: كُنَّا نحنُ احقُّ بهذا يا روحَ الله! فقال: إنَّ احقَّ الناسِ بالخدمةِ العالمِ؛ انما تواضعتُ هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس، كتواضعي لكم. ثم قال عيسى «ع»: بالتواضعِ تعمُرُ الحكمةُ لا بالتكبرِ؛ وكذلك في السَّهلِ ينبتُ الزرعُ لا في الجبلِ^١.

٢ الامام الصادق «ع» : أُطُلبوا العلمُ، وتَزَيَّنوا معه بالحلمِ والوقارِ، وتواضعوا لمن تُعلِّمونه العلمَ، وتواضعوا لمن طَلَبْتُم منه العلمَ. ولا تكونوا علماءَ جبارين، فيذهبَ باطلُكم بحقِّكم!^٢.

٣ الامام الصادق «ع» : من تعلَّم العلمَ وعَمِلَ به وَعَلَّمَ الله، دُعِيَ في ملكوتِ السماواتِ عظيمًا، فقيل: تعلَّم الله، وَعَمِلَ الله، وَعَلَّمَ الله^٣.

و- الزَّهْد

١ الامام الصادق «ع» : لا يكونُ الرجلُ فقيهاً حتى لا يُباليَ أيُّ ثوبيه اُبتَدِلَ، وبما سدَّ فورةَ الجوعِ^٤.

* الاحاديث في ذلك كثيرةٌ فراجعها.

١ - الكافي ١ / ٣٧.

٢ - البحار ٢ / ٤١، عن «امالي الطوسي».

٣ - الكافي ١ / ٣٥.

٤ - البحار ٢ / ٤٩، عن «الخصال».

ز - الورع وصون الجانب

- ١ الامام علي «ع»: من المفروض على كل عالمٍ أن يصون بالورع جانبه، وأن يبذل علمه لطالبيه.^١

ح - النفع الوجودي

- ١ النبي «ص»: نعم الرجل، الفقيه في الدين، إن احتجج إليه نفع وإن لم يُحتجج إليه نفع نفسه.^٢

- ٢ الامام الباقر «ع»: عالمٌ يُنتفع بعلمه، افضل من سبعين الف عابد.^٣

- ٣ الامام الصادق «ع» - معاوية بن عمّار قال: قلت لابي عبدالله «ع»: رجلٌ راويةٌ لحديثكم، يثبت ذلك في الناس ويُشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما افضل؟ قال: «الراويةٌ لحديثنا، يشدّ به قلوب شيعتنا، افضل من الف عابد».^٤

- ٤ الامام الكاظم «ع»: اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض، التي كان يعبد الله عليها، وابواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الاسلام ثلثة لا يسدّها شيء؛ لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام، كحصن سور المدينة لها.^٥

١ - غرر الحكم / ٣٠٥.

٢ - البحار / ١ / ٢١٦، عن «السرائر».

٣ و ٤ - الكافي / ١ / ٣٣.

٥ - الكافي / ١ / ٣٨.

ط - نشر العلم

- ١ الامام علي «ع» : ما أَخَذَ اللهُ على أهلِ الجهلِ ان يتعلّموا، حتى أَخَذَ على أهل العلم ان يُعلّموا^١.
- ٢ الامام علي «ع» : ما أَخَذَ ميثاقاً من أهلِ الجهلِ بطلبِ تبيان العلم، حتى اخذَ ميثاقاً من أهلِ العلمِ ببيان العلمِ للجهّال، لأنّ العلمَ قَبْلَ الجهلِ^٢.
- ٣ الامام الكاظم «ع» : .. مِنْ أَوْجَبِ حَقِّ اخِيكَ أَنْ لَا تَكْتُمَهُ شَيْئاً يَنْفَعُهُ، لَا مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا مِنْ آخِرَتِهِ^٣.

ي - الغلبة على الهوى ومجانبة المرء

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ اميرُ المؤمنين: من غَلَبَ عِلْمُهُ هَوَاهُ فَذَلِكَ عِلْمٌ نَافِعٌ^٤..
- ٢ النبي «ص» : ذَرُّوا المِرَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا نَهَانِي عَنْهُ رَبِّي، بَعْدَ عِبَادَةِ الأوثَانِ، المِرَاءِ^٥.
- ٣ النبي «ص» : من تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ^٦.

١ - نهج البلاغة / ١٣٠٤ - ١٣٠٥؛ عبده ٣ / ٢٦٦.

٢ - البحار ٢ / ٢٣، عن «امالي المفيد».

٣ - رجال الكشي / ٤٥٥.

٤ - مشكاة الانوار / ٢٤٥.

٥ - مُنِيَّةُ المُرِيدِ / ١٩٣؛ و ١٧٥، من طبعة قم.

٦ - سفينة البحار ٢ / ٥٣٢.

٤ النبي «ص»: لا يَسْتِكْمَلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقَّقًا^١.

٥ الامام علي «ع»: يَا كَمِيلُ! أَيَّاكَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّكَ تُغْرِي بِنَفْسِكَ السُّفَهَاءَ إِذَا فَعَلْتَ، وَتُفْسِدُ الْإِخَاءَ^٢.

٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق: أَيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ وَالْخُصُومَةَ! فَانَّهُمَا يُمْرِضَانِ الْقُلُوبَ عَلَى الْإِخْوَانِ، وَيُنْبِتُ عَلَيْهِمَا النَّفَاقَ^٣.

يا - حَبُّ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْوُقُوفِ بِجَانِبِ الْمُسْتَضْعَفِينَ

١ النبي «ص» - فيما أوصى به أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: .. وَأَحِبِّ الْمَسَاكِينَ وَأَكْثِرْ مَجَالَسَتَهُمْ^٤.

٢ الامام الصادق «ع» - قَالَ الرَّأْوِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»: مَا أَكْثَرَ مَا اسْمَعُ مِنْكَ سَيِّدِي ذَكَرَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ؟ فَقَالَ «ع»: لَا تَقُلْ: سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ، وَلَكِنْ قُلْ: سَلْمَانَ الْمَحْمَدِيِّ. أَتَدْرِي مَا كَثَرَةُ ذِكْرِي لَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِثَلَاثِ خِلَالٍ: إِحْدَاهَا إِثَارُهُ هَوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع» عَلَى هَوَى نَفْسِهِ؛ وَالثَّانِيَةُ حُبُّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَاخْتِيَارُهُ أَيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْعُدَدِ؛ وَالثَّلَاثَةُ حُبُّهُ لِلْعُلَمَاءِ^٥.

١ و ٢ - سفينة البحار ٢ / ٥٣٢.

٣ - الكافي ٢ / ٣٠٠؛ منية المرید / ١٩٣؛ و ١٧٦، من طبعة قم.

٤ - مكارم الاخلاق / ٥٥٨.

٥ - البحار ٢٢ / ٣٢٧، عن «أمالی المفید».

يب - استيعاب مجالات العلم المختلفة

- ١ النبي «ص»: من عمِلَ بالمَقاييس فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ. ومن أفتَى الناسَ وهو لا يَعْلَمُ النَّاسِخَ من المَنسوخِ، والمُحَكَّم من المُتَشَابِه، فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ^١.
- ٢ الامام علي «ع»: - قال لقاضٍ: هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ من المَنسوخِ؟ قال: لا. قال: فَهَلْ أَشْرَفْتَ على مُرَادِ الله عز وجل في أمثال القرآن؟ قال: لا. قال: إِذَا هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ^٢.

* تأتي الإشارةُ في الفصل الرَّابِعِ عشر من هذا الباب، الى ضرورة الجامعية العلمية والعملية للمرجعية الاسلامية العظمى، وضرورة الرجوعِ الى لِبَانِ اِخْصَائِيَّةِ في المسائلِ والقضايا.

يج - الرجوع الى القرآن لا الى غيره

- ١ الامام الباقر «ع» - عن الامام علي: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بالفقيه حَقًّا؟ من لَمْ يُقْنَطِ الناسَ من رحمةِ الله .. ولم يَتْرِكِ القرآنَ رَغْبَةً عنه الى غيره. أَلَا لا خَيْرَ في علمٍ ليس فيه تفهُمٌ؛ أَلَا لا خَيْرَ في قِراءَةٍ ليس فيها تدبُّرٌ؛ أَلَا لا خَيْرَ في عِبَادَةٍ ليس فيها تفقُّهٌ^٣.

١ - روضة الواعظين / ١٠؛ البحار ٢ / ١١٨، عن «المحاسن» و ١٢١، عن «غوالي اللثالي».

٢ - البحار ٢ / ١٢١.

٣ - الوسائل ٤ / ٨٣٠.

يد - يذكر الله رؤيتهم

- ١ الامام الصادق «ع»: قال رسولُ الله «ص»: «قالتِ الحواريون لعيسى: يا رُوحَ الله! من نُجالِسُ؟ قال: مَنْ يُذَكِّرُكُمْ اللهَ رؤيته، ويزيدُ في علمكم منطِقَهُ، ويُرَغِّبُكُمْ في الآخرةِ عملُهُ»^١.

يه - هم خير خلق الله بعد الائمة «ع»

- ١ النبي «ص»: .. إنَّ خيرَ الخيرِ، خيارُ العلماء^٢.
- ٢ الامام العسكري «ع»: قيل لا مِيرَ المؤمنين «ع»: مَنْ خيرُ خلقِ الله بعد أئمةِ الهدى؟ قال: «العلماءُ اذا صَلَحوا»^٣.

١- الكافي ١ / ٣٩.

٢ - البحار ٢ / ١١٠، عن «منية المرید».

٣ - البحار ٢ / ٨٩، عن «تفسير الامام العسكري».

الفصل الثاني عشر

العلماء الفاسدون وبعض خصائصهم

الكتاب

- ١ الذين يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ، وَيُضُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ *^١
- ٢ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *^٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيُضُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ..^٣
- ٤ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ *^٤

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٧٤.

٣ - سورة التوبة (٩) : ٣٤.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ٧٨.

٥ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ..^١

* هذه الآيات تُشير الى عدةٍ من خصائص علماء السوء
الفاسدين، كحُبِّ الدنيا، وكتمانِ العلم، وأكلِ اموال الناسِ
بالباطل، وتحريفِ الكتابِ والكذبِ على الله، والانسلاخِ من العلم،
وامثالِ هذه الاحوال. وهناك أحاديثُ كثيرةٌ تُذكرُ صفاتِ علماءِ
السوء وخصائصهم ممَّا جاء في الآيات وغيرها؛ واليك بعضها فيما
يلي:

الحديث

أ - حُبِّ الدُّنيا والافتتان بها

١ الامام الكاظم «ع»: يا هِشام! أوحى اللهُ تعالى الى داود: قُلْ لعبادي! لا
يَجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَالِمًا مَفْتُونًا بِالدُّنْيَا، فَيَصُدُّهُمْ عَنْ ذِكْرِي، وَعَنْ طَرِيقِ
مَحَبَّتِي وَمَنَاجَاتِي؛ أَوْلَيْكَ قُطَاعُ الطَّرِيقِ مِنْ عِبَادِي. إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ
أَنْ أَنْزَعَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِي وَمَنَاجَاتِي مِنْ قُلُوبِهِمْ^٢.

ب - طلب العلم للدُّنيا

١ النسي «ص»: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا وَالْمَنْزِلَةَ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُظُوتَةَ عِنْدَ

١ - سورة الاعراف (٧): ١٧٥ - ١٧٦.

٢ - تحف العقول / ٢٩٣.

السُّلْطَانُ لَمْ يُصَبِّ مِنْهُ بَاباً إِلَّا أزدَادَ فِي نَفْسِهِ عِظْمَةً، وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً،
وَبِاللَّهِ اغْتِرَاراً، وَمِنَ الدِّينِ جَفَاءً؛ فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، فَلْيُكْفُ
وَلْيُمْسِكْ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَالنَّدَامَةِ وَالخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^١.

ج - الادعاء والتجبر

- ١ النبي «ص»: مَنْ قَالَ: أَنَا عَالِمٌ، فَهُوَ جَاهِلٌ^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: .. لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وِرَائِهِ
مَا بَلَغَ مَذْهَباً لغيره^٣.
- ٣ الامام علي «ع»: طَلَبَةُ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ .. وَصَنَّفُ مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ
لِلْاسْتِطَالَةِ وَالخَتْلِ .. فَانَّهُ يَسْتَطِيلُ عَلَى أَشْبَاهِهِ وَأَشْكَالِهِ، وَيَتَوَاضَعُ
لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِمْ، فَهُوَ لِحَلْوَاتِهِمْ هَاضِمٌ وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ^٤ ..

د - كتمان العلم

- ١ النبي «ص»: مَنْ كَتَمَ عِلْماً نَافِعاً، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ^٥.
- ٢ الامام علي «ع»: مَنْ كَتَمَ عِلْماً فَكَأَنَّهُ جَاهِلٌ^٦.

١ - روضة الواعظين / ١١.

٢ - البحار / ٢ / ١١٠.

٣ - نهج البلاغة / ٧٢؛ عبده / ١ / ٥٠.

٤ - روضة الواعظين / ٩.

٥ - البحار / ٢ / ٧٨، عن «الغوالي».

٦ - غرر الحكم / ٢٧٦.

٣ الامام الجواد «ع»: .. والعلماء في أنفسهم خائفة إن كتموا النصيحة، إن رأوا تائهاً لا يهدونه، أو ميتاً لا يحيونه، فبئس ما يصنعون^١ ..

هـ - العيش على بيت المال، مع ترك الوظائف

١ الامام الصادق «ع»: قال عيسي بن مريم لأصحابه: .. ويلكم علماء السوء! الأجرة تأخذون والعمل لا تصنعون. يوشك ربُّ العمل أن يطلب عمله وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا الى ظلمة القبر^٢.

و - اهمال الضعفاء والمحرومين في ايدي الظالمين وترك انقاذهم

* مرّت أحاديث هذا المعنى في الفصل السادس، فراجع.

ز - الاستئكال بالدين

١ الامام علي «ع»: .. المُستأكلُ بدينه، حَظُّه من دينه ما يأكله^٣.

٢ الامام السجاد «ع»: اياك أن تتراأس بنا فيضعك الله، واياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً^٤ ..

١ - الكافي ٨ / ٥٤.

٢ - البحار ٢ / ١٠٩، عن «أمالى المفيد».

٣ - تحف العقول / ١٦٠.

٤ - رجال الكشي / ١٢٤.

ح - الزهد الكاذب

١ النبي «ص» : ويلٌ للذين يَجْتَلِبُونَ الدنيا بالدين، يَلْبَسُونَ للناس جُلُودَ الضَّانِ من لينِ السِّنْتِهِمْ، كَلَامُهُمْ أَحْلَى من العسل وقلوبهم قلوبُ الذُّنَابِ، يقولُ اللهُ تعالى: «أبي يَغْتَرُّونَ، أم عليٌّ يَجْتَرِّثُونَ؟ فَوَعَزَّتِي وِجْلالِي، لَا بُعْثَنَّا عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَذَرُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حيراناً»^١.

٢ الامام علي «ع» : .. منهم مَنْ أَقْعَدَهُ عن طلبِ الملكِ ضُؤُولَةً نَفْسِهِ، وانْقِطَاعُ سببِهِ؛ فَقَصَّرَتْهُ الحالُ على حالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القِنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بلباسِ أهلِ الزَّهَادَةِ. وليس مِنْ ذلكِ في مَراحٍ وَلَا مَغْدِي^٢.

ط - نصب الدين فخاً

١ الامام علي «ع» : .. وَآخِرُ قَد تَسَمَّى عالِماً وليس به، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ من جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ من ضَلَّالٍ، وَنَصَبَ للناسِ أَشْرَاكاً من حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ. قَد حَمَلَ الكِتَابَ على آرائِهِ، وَعَطَفَ الحَقَّ على اهوائِهِ. يُؤْمِنُ الناسَ مِنَ العِظَامِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الجِرائِمِ، يَقولُ أَقِفْ عِنْدَ الشَّبَهاتِ، وَفِيها وَقَعَ؛ وَيَقولُ: اَعْتَزِلْ البِدْعَ، وَبَيْنَها اضْطَجَعَ؛ فَالصُّورَةُ صُورَةُ انْسانٍ، وَالقَلْبُ قَلْبُ حَيوانٍ؛ لَا يَعْرِفُ بابَ الهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، وَلَا بابَ العَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ؛ فَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْياءِ، فَأَيْنَ تَذَهَبُونَ؟^٣.

١ - البحار ٧٧ / ١٧٣، عن كتاب «اعلام الدين».

٢ - البحار ٧٨ / ٥.

٣ - نهج البلاغة / ٢١٤؛ عبده ١ / ١٥٢.

٢ الامام الرضا «ع»: قال عليُّ بنُ الحسين: اذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ حَسَنَ سَمْتَهُ وَهَدْيَهُ، وَتَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ، وَتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ، فَرُوَيْدًا لَا يَغُرُّنَّكُمْ! فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ الدُّنْيَا وَرُكُوبُ الحَرَامِ مِنْهَا، لِضَعْفِ بُنْيَتِهِ وَمَهَانَتِهِ، وَجُبْنِ قَلْبِهِ، فَنَصَبَ الدِّينَ فَخًّا لَهَا، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْتَلُّ النَّاسَ بِظَاهِرِهِ، فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ ١..

ي - طلب الرئاسة وحب الشهرة والمدح

١ النبي «ص»: يا اباذر! .. من طَلَبَ عِلْمًا لِيَصْرِفَ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ ٢.

٢ الامام علي «ع»: .. اياكم أن تطلبوه لخصالٍ أربع: لتباهوا به العلماء، او تماروا به السفهاء، او تراؤوا به في المجالس، او تصرفوا به وجوه الناس اليكم للترؤس ٣.

٣ الامام الصادق «ع» - فيما رواه الامام الكاظم: الناس على اربعة اصناف: جاهلٍ مُتَرَدِّيٍّ معانقٍ لهواه؛ وعابِدٍ مُتَقَوِّيٍّ كَلَّمَا اَزْدَادَ عِبَادَةَ اَزْدَادٍ كِبْرًا؛ وعالمٍ يُرِيدُ أَنْ يُوْطَأَ عَقْبَاهُ وَيُحِبُّ مَحْمِدَةَ النَّاسِ؛ وعارفٍ على طريقِ الحقِّ يُحِبُّ الْقِيَامَ بِهِ، فَهُوَ عَاجِزٌ او مَغْلُوبٌ. فِهَذَا امْتَلُ اَهْلَ زَمَانِكَ وَأَرْجِحْهُمْ عَقْلًا ٤.

٤ الامام الرضا «ع»: قال عليُّ بنُ الحسين: .. فَإِذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِينًا، فَرُوَيْدًا

١ - الاحتجاج ٢ / ٥٢ - ٥٣.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤١.

٣ - الارشاد / ١١١.

٤ - البحار ٢ / ٥٠، عن «الخصال».

لا يُغْرِكُمْ! حتى تَنْظُرُوا أَمَعُ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ، ام يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ؟
وكَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرَّئِاسَاتِ الْبَاطِلَةِ وَزَهْدُهُ فِيهَا؟ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ، يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، وَيَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرَّئِاسَةِ الْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ
الْأَمْوَالِ وَالنَّعْمِ الْمُبَاحَةِ الْمُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلِبًا لِلرَّئِاسَةِ، حَتَّى «...
إِذَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ! أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ».
فَهُوَ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشَوَاءٍ، يَقُودُهُ أَوَّلُ بَاطِلٍ إِلَى أْبْعَدِ غَايَاتِ الْخَسَارَةِ، وَيَمُدُّهُ
رَبُّهُ - بَعْدَ طَلْبِهِ لِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ - فِي طَغْيَانِهِ؛ فَهُوَ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُ مَا
أَحَلَّ اللَّهُ، لَا يُبَالِي بِمَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ، إِذَا سَلِمَتْ لَهُ الرَّئِاسَةُ الَّتِي قَدْ شَقِيَ مِنْ
أَجْلِهَا، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا^٢..

٥ الامام الصادق «ع»: .. آفة العلماء ثمانية اشياء: الطمع، والبخل، والرياء
والعصبية، وحب المدح، والخوض فيما لم يصلوا الى حقيقته والتكلف في
تزيين الكلام بزوايد الالفاظ، وقلة الحياء من الله، والافتخار، وترك العمل
بما علموا^٣.

يا - قصم ظهر الدين

١ الامام علي «ع»: قَصَمَ ظَهْرِي عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ؛ فَالْجَاهِلُ يَغْشُ
النَّاسَ بِتَنَسُّكِهِ، وَالْعَالِمُ يَغْرِهُمُ بِتَهْتِكِهِ^٤.

يب - التّمويه على الناس

١ - سورة البقرة (٢): ٢٠٦.

٢ - الاحتجاج ٢ / ٥٣.

٣ و ٤ - البحار ٢ / ٥٢ و ١١١.

١ الامام علي «ع» - في وصيته لولده الحسن: كيف وأني بك يا بُني! اذا صرتَ في قومٍ .. عالمهم خبٌ مَوّاه، مُستَحَوِذٌ عليه هواه، مُتمسِّكٌ بعاجلِ دنياه، أشدُّهم عليك اقبالا، يرصدك بالغوائل، ويطلبُ الحيلةَ بالتمني، ويطلبُ الدنيا بالاجتهاد^١..

يج - الاشتهار بالعلم، لا بالعمل

١ النبي «ص»: اذا ظهرَ العلمُ، واحترزَ العملُ، وائتلفتِ الألسنُ، واختلفتِ القلوبُ، وتقاطعتِ الارحامُ، هنالك لعنهمُ الله فأصمهم وأعمى أبصارهم^٢.

٢ عيسى المسيح «ع»: أشقى الناسِ مَنْ هو معروفٌ عند الناسِ بعلمه، مجهولٌ بعمله^٣.

يد - الانسلاخ من العلم

١ الامام الباقر «ع» - سليمانُ اللَّبَّانُ قال: قال ابو جعفر «ع»: اتدري ما مثَلُ المغيرةِ بنِ شُعبة؟^٤ قال: قلتُ: لا. قال: مثلهُ مثَلُ بلعم، الذي أوتِيَ الاسمَ الاعظم، الذي قال الله: «آتيناه آياتنا فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان، فكان من الغاوين»^٥.

١ - البحار ٧٧ / ٢٣٤.

٢ - ثواب الاعمال ٢ / ١٠٩.

٣ - عُدَّةُ الدَّاعي / ٦٩.

٤ - في البحار (١٣ / ٣٧٩): «... المغيرة بن سعيد». وكلا المغيرتين مذمومان. فراجع «تفسير العياشي»

(٢ / ٤٢ - الذيل)، و «البحار» - ذيل الصفحة المذكورة.

٥ - تفسير العياشي ٢ / ٤٢.

٢ الامام الباقر «ع» - في الآية السابقة: الاصل في ذلك بلعم، ثم ضربهُ اللهُ مثلاً لكل مؤثرٍ هواه على هدى الله، من اهل القبلة^١.

٣ الامام الرضا «ع»: أُعْطِيَ بلعمُ بنُ باعورا، الاسمَ الاعظم، وكان يدعو به فيُستجابُ له؛ فمال الى فرعون. فلما مرَّ فرعونُ في طلبِ موسى واصحابه، قال فرعون لبلعم: ادعُ الله على موسى واصحابه ليحبسَهُ علينا؛ فركبَ حمارته ليُمرَّ في طلبِ موسى .. وانسلخَ الاسمُ من لسانه؛ وهو قوله: «.. فانسلخ منها، فأتبعهُ الشيطانُ، فكانَ مِنَ الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارضِ واتبعَ هواه، فمثله كمثل الكلب، ان تحملُ عليه يلهث، او تتركهُ يلهث..»^٢ وهو مثلُ ضربهِ^٣ ..

يه - هم شرّ خلق الله ..

- ١ النبي «ص» - قيل له: أي الناس شرّ؟ قال: «العلماء اذا فسدوا»^٤.
- ٢ الامام العسكري «ع»: قيل لامير المؤمنين «ع»: ومن شرّ خلق الله بعد ابليس وفرعون و..؟ قال: العلماء اذا فسدوا^٥ ..

* لقد ذكر مشايخنا العظام - تبعاً للتعاليم القرآنية والحديثية - مواصفات علماء السوء (الطالبين للدنيا ومتاعها وزينتها،

١ - البحار ١٣ / ٣٨٠.

٢ - سورة الاعراف (٧): ١٧٥ - ١٧٦.

٣ - البحار ١٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨، عن «تفسير القمي».

٤ - تحف العقول / ٣١.

٥ - البحار ٢ / ٨٩، عن «تفسير الامام العسكري».

الفصل الثاني عشر: العلماء الفاسدون ..

المُشْرَبِينَ للرَّئاسَةِ والجَاهِ والشُّهْرَةِ في النَّاسِ، المُسْتَأْكِلِينَ
بِالدِّينِ، البُعْدَاءِ عَنِ تَرْوِضِ النَّفْسِ والسُّلُوكِ الخُلُقِيِّ والحَيَاةِ
القَلْبِيَّةِ والأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ)، وَأُورِدُوا آيَاتِهَا وَأَخْبَارُهَا وَأَكَّدُوا عَلَيْهَا ،
صِيَانَةً لِلْكِيَانِ الإِسْلَامِيِّ - الفِرْدِيِّ والمُجْتَمَعِيِّ - حَتَّى لَا يَنْتَلِمَ الإِسْلَامُ
بِاتِّبَاعِ النَّاسِ عِلْمَاءَ الدُّنْيَا البَارِزِينَ فِي قَالِبِ عِلْمَاءِ الدِّينِ، وَلَا تُهْدَمَ
أَرْكَانُ الهِدَايَةِ الخَالِدَةِ ومَقُومَاتِهَا المُثَلَى، وَلَا تَنْهَارَ عِظْمَةُ
المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الاتِّجَاهِ الصَّامِدِ عَقِيدَةً، وَأَخْلَاقًا،
وَإِنْسَانِيَّةً، وَعَمَلًا .

نعم، لا مَدَاهِنَةَ وَلَا مِصَانَعَةَ فِي الدِّينِ - وَالْحَقُّ مُرٌّ، وَلَكِنْ
يَجِبُ أَنْ يُصَدَّعَ بِهِ - وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَضْرُّ بِالإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ
ظُهُورِ عِلْمَاءِ السُّوءِ وَغَيْرِ الزَّاهِدِينَ وَسُلْطَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ، وَكَذَلِكَ
الْمُتَخَلِّفُونَ وَالرَّجَعِيُّونَ وَغَيْرُ التَّقْدِمِيِّينَ وَالتَّغْيِيرِيِّينَ، بَلْ هُمْ أَضْرُّ مِنْ
الصَّنْفَيْنِ الأَوَّلِينَ، فَلَمْ يَكُنِ البَابُ بِدَعَاً مِمَّا فَعَلَهُ المَشَايخُ - رَحْمَةً
اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَرَاغَ :

مَا أوردَهُ ثِقَّةُ الإِسْلَامِ، فِي «الكافي» (ج ٢)، و

مَا أوردَهُ الشَّهِيدُ الثَّانِي، فِي «مُنِيَّةَ المُرِيدِ»، و

مَا أوردَهُ العَلَامَةُ المَجْلِسِيُّ، فِي «البِحَارِ» (ج ٢: «باب صفات

العُلَمَاءِ واصْنافِهِمْ»، و«باب مَنْ يَجُوزُ أَخْذُ العِلْمِ مِنْهُ وَمَنْ لَا يَجُوزُ..»

و«باب ذمُّ عِلْمَاءِ السُّوءِ وَلِزُومِ التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ» ..

وَلَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى حِكْمَةِ إِرجاعِ النَّاسِ إِلَى العِلْمَاءِ الصَّالِحِينَ

وَتَفْهِيمِهِمْ مِنَ الفَاسِدِينَ، فِي النِّظَرَةِ إِلَى البَابِ، البَنْدِ الخَامِسِ،

فَرَاغَ . وَكَذَلِكَ رَاجِعُ : الفِصْلَ الثَّانِيَّ وَالعِشْرِينَ، مِنْ البَابِ

الحَادِي عَشَرَ، فِي الجِزْءِ الرَّابِعِ، وَالتَّذْيِيلَ الوَارِدَ فِيهِ، وَالنِّظَرَةَ إِلَيْهِ .

وَلَا تَوْفِيقَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ - جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ وَعَمَّتْ آلاؤُهُ .

الفصلُ الثالثُ عشر

الاقتراب والاجتناب

أ- دعوة الناس اليهم

الكتاب

١ .. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: مَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ، وَعَمِلَ بِعِلْمِهِ، نَجَا^٢.

٢ النبي «ص»: قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ رُؤْيَتَهُ، وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ^٣.

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٧.

٢ و ٣ - الكافي ١ / ٤٦ و ٣٩.

- ٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: مُجَالَسَةُ اهلِ الدين، شرف الدنيا والآخرة^١.
- ٤ الامام علي «ع»: .. قد خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وتَخَلَّى مِنَ الهمومِ الِاهَمَّاءِ واحداً اُنْفَرَدَ به، فَخَرَجَ من صِفَةِ العَمَى ومُشَارَكَةِ اهلِ الهوى، وصارَ من مَفَاتِيحِ ابوابِ الهدى ومَغَالِيقِ ابوابِ الردى، قد أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وسَلَّكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ وَقَطَعَ غِمَارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ العُرَى بأوثقِها وَمِنَ الجِبَالِ بِأمتِنِها، فهو مِنَ اليقينِ على مِثْلِ ضَوْءِ الشمسِ، قد نَصَبَ نَفْسَهُ لله سَبْحانَهُ في أَرْفَعِ الامورِ، من إِصدارِ كُلِّ وارِدٍ عَلَيْهِ، وتَصْيِيرِ كُلِّ فِرْعٍ الى اصِلِهِ، مَصباحِ ظِلْماتٍ، كَشافِ عَشَواتٍ^٢ ..
- ٥ الامام الباقر «ع»: لَمَجْلِسُ أَجْلِسُهُ الى من أَثِقُ به، أوثَقُ في نَفْسِي من عَمَلِ سَنَةٍ^٣.
- ٦ الامام الرضا «ع» - عن الامام عليِّ بنِ الحسينِ: .. لَكِنَّ الرِّجْلَ - كُلَّ الرِّجْلِ، نِعَمَ الرِّجْلِ - هو الَّذِي جَعَلَ هِوَاهُ تَبَعاً لِأَمْرِ اللهِ، وَقِوَاهُ مَبذُولَةٌ في رِضَا اللهِ، يَرى الذُّلَّ مع الحَقِّ اقْرَبَ الى عِزِّ الأبدِ مِنَ العِزِّ في الباطلِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ ما يَحْتَمِلُهُ من ضَرائِها يُؤدِّيهِ الى دوامِ النِّعمِ في دارٍ لا تَبِيدُ ولا تَنْفَدُ، وان كَثِيرَ ما يَلْحَقُهُ من سَرائِها إِنْ اتَّبَعَ هِوَاهُ يُؤدِّيهِ الى عذابٍ لا انْقِطاعَ لَهُ ولا يَزولُ؛ فَذَلِكُمُ الرِّجْلُ - نِعَمَ الرِّجْلِ - فِيهِ فَتَمَسَّكُوا، وَبَسُنَّتِهِ فَاقْتَدُوا، والى رَبِّكُمْ فَتَوَسَّلُوا! فَإِنَّهُ لا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ، ولا يَخِيبُ لَهُ طَلِبَةٌ^٤.

١ - الكافي ١ / ٣٩.

٢ - نهج البلاغة / ٢١٠: عبده ١ / ١٥٠.

٣ - الكافي ١ / ٣٩.

٤ - الاحتجاج ٢ / ٥٣.

ب - تنفير النَّاسِ مِنْهُمْ

الكتاب

١ ولا تُطْعَمَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا *^١

الحديث

١ . النبي «ص» : سيأتي على أمّتي زمانٌ لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه؛ يُسمّون به وهم أبعدُ الناس منه. مساجدهم عامرةٌ وهي خرابٌ من الهدى. فقهاء ذلك الزمان شرُّ فقهاء تحت ظلّ السماء؛ منهم خرجتِ الفتنةُ واليهم تعود^٢.

٢ الامام علي «ع» : اياكم والجهال من المتعبدين، والفجار من العلماء! فإنهم فتنةٌ كلُّ مفتون^٣.

٣ الامام الصادق «ع» : اذا رأيتم العالمَ مُحبباً للنيا فاتهموه على دينكم! فإن كلَّ مُحببٍ يحوطُ ما أحب^٤.

١ - سورة الكهف (١٨) : ٢٨.

٢ - البحار ٢ / ١٠٩، عن «الخصال».

٣ - البحار ٢ / ١٠٦.

٤ - البحار ٢ / ١٠٧، عن «علل الشرايع».

٤ الامام الكاظم «ع» - عن آبائه، عن النبي «ص»: الفقهاء امناء الرُّسل ما لم يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا. قيل: يا رسولَ الله! وما دَخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قال: إِتِّبَاعُ السُّلْطَانِ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَأَحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ^١.

٥ عيسى المسيح «ع»: بِحَقِّ أَقْوَالِكُمْ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ لَرَجُلٌ عَالِمٌ آثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى عِلْمِهِ، فَأَحْبَبَهَا وَطَلَبَهَا وَجَهَدَ عَلَيْهَا، حَتَّى لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ فِي حَيْرَةٍ لَفَعَلَ. وَمَاذَا يُغْنِي عَنِ الِاعْمَى سَعَةُ نَوْرِ الشَّمْسِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهَا؟ كَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ الْعَالِمِ عِلْمُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ.. فَأَحْتَفِظُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَذِبَةِ، الَّذِينَ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصَّوْفِ، مُنْكَسِي رُؤُوسِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ، يُزَوِّرُونَ بِهِ الْخَطَايَا، يَرْمُقُونَ مِنْ تَحْتِ حَوَاجِبِهِمْ، كَمَا تَرْمُقُ الذُّنَابُ؛ وَقَوْلُهُمْ يُخَالِفُ فَعَلَهُمْ^٢..

تتميهان

١ - من يصلح للارشاد والوعظ؟

١ النبي «ص»: لَا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ دَاعٍ مُدَّعٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْيَقِينِ إِلَى الشَّكِّ، وَمِنَ الْإِخْلَاصِ إِلَى الرِّيَاءِ، وَمِنَ التَّوَاضُعِ إِلَى الْكِبَرِ، وَمِنَ النَّصِيحَةِ إِلَى الْعِدَاوَةِ، وَمِنَ الزَّهْدِ إِلَى الرَّغْبَةِ. وَتَقَرَّبُوا إِلَى عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَمِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزَّهْدِ، وَمِنَ الْعِدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ. وَلَا يَصْلُحُ لِمَوْعِظَةِ الْخَلْقِ إِلَّا مَنْ خَافَ هَذِهِ الْآفَاتِ بِصَدَقِهِ، وَاشْرَفَ عَلَى عِيُوبِ الْكَلَامِ، وَعَرَفَ الصَّحِيحَ مِنْ

١ - الكافي ١ / ٤٦.

٢ - تحف العقول / ٣٧٥؛ و ٥٠٣ - ٥٠٤، من طبعة الغفاري.

السقيم، وعِلَل الخواطر، وفتن النفس والهوى^١.

* قول النبي «ص»: «.. وأشرف على عيوب الكلام»، يدلُّ على أهمية معرفة الكلام والخطابة وآدابها والبلاغة وقواعدها للمتصدِّين للوعظ والإرشاد والكلام عن الدين؛ فعليهم أن يهتموا بتعلمها وتدارسها وأن يُمارسوا الكلام البليغ، ويجتنبوا التعقيد والرِّكَّة والابتدال. وفي الحديث دقائق أخرى هامة.

ولقد ورد بصدِّ الموضوعِ احاديث، مضافاً الى القرآن وبلاغته المبينة، التي يجب أن تكون لنا فيها الأسوة الطيبة.

٢- خطباء يجب مقاطعتهم

- ١ النبي «ص»: «إني لا أتخوفُ على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً، فأما المؤمنُ فيحجزه إيمانه، وأما المشركُ فيقمعه كفره؛ ولكن أتخوفُ عليكم منافقاً عليماً اللسان، يقول ما تعرفون، ويعمل ما تُنكرون»^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: قطع ظهري رجلان من الدنيا: رجلٌ عليماً اللسان فاسقاً، ورجلٌ جاهل القلب ناسكاً. هذا يصدُّ بلسانه عن فسقه، وهذا بنسكِهِ عن جهله، فاتَّقوا الفاسق من العلماء، والجاهل من المتعبِّدين! اولئك فتنة كلِّ مفتون، فإني سمعتُ رسولَ الله «ص» يقول: «يا عليّ! هلاكُ أمّتي علي يدي»

١ - البحار ٢ / ٥٢.

٢ - ويشير الى ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا، في بيان مواصفات «الوعظ المؤثر» بقوله: «... من قائل زكّي، بعبارة بليغة، ونعمة رخيمة، وسمت رشيد» - «الاشارات»، النُّمط التاسع.

٣ - البحار ٢ / ١١٠، عن «منية المرید».

كُلُّ مَنَافِقٍ عَلِيمٍ اللِّسَانُ»^١.

٣ الامام علي «ع» : .. فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ: امامُ الهدى و امامُ الرِّدَى، ووليُّ النبيِّ و عدُوَّ النبيِّ. و لقد قالَ لي رسولُ الله «ص»: «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيْمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشْرِكِهِ. وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مَنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ»^٢.

ملاحظات

الأولى: قولُ الامام: «جاهلُ القلب»، اشارةً الى تقسيم العلم الى قلبي ولساني. وهذا أمرُ تربويٌّ هامٌّ، فإنَّ العلمَ الحقيقيَّ هو الذي ينزلُ الى القلبِ و يتجاوزُ اللسانَ، كما سلفَ القولُ في الفصل الحادي عشر من الباب.

الثانية: انَّ المنافقَ هنا، يَشْمَلُ كُلَّ عَالِمٍ، و مرجعٍ، و فقيهٍ، و خطيبٍ يظهر في زِيِّ العلمِ و الدينِ، و يتقرَّبُ الى السلاطينِ، و يتواطأُ سرًّا مع الجبابرةِ و الطواغيتِ، و يدعُ جانبَ المستضعفينِ و المضطَّهدينِ، و يمؤهُ في كُلِّ ذلك على العامةِ و البسطاءِ...
راجع ايضاً: الفصل الثالث من الباب.

١ - روضة الواعظين / ٦.

٢ - نهج البلاغة / ٨٩١: عبده ٣ / ٣٣.

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

المرجعية والمرجع

الكتاب

١ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدّرنا فيها السير،
سيرُوا فيها لياليَ وإياماً آمين *^١

* راجع: مأمراً بصدد الآية في مُستَهَلِّ الفصلِ التاسع.

٢ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *^٢

الحديث

١ النبي «ص»: الفقهاءُ أمناءُ الرسول^٣.

١ - سورة سبأ (٣٤) : ١٨.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٧.

٣ - البحار ١ / ٢١٦، عن «غوالي اللثالي».

- ٢ النبي «ص»: رَجِمَ اللهُ خُلَفَائِي. فقيل: يا رسولَ الله وَمَنْ خَلْفَاؤُكَ؟ قال: «الذين يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِ»^١.
- ٣ الامام علي «ع»: .. وما أَخَذَ اللهُ على العلماء، أن لا يُقَارَوا على كِبَظَةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلومٍ^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: العلماءُ حُكَّامٌ على الناسِ^٣.
- ٥ الامام الحسين «ع»: .. مَجَارِي الامورِ والأحكامِ على ايدي العلماءِ بالله^٤..
- ٦ الامام الصادق «ع» - عن ابي خديجة قال: بَعَثَنِي ابو عبدِالله «ع» الى اصحابنا فقال: قُلْ لهم: اِيَّاكُمْ اذا وَقَعَتْ بينكم خصومةٌ، اوتداري في شيءٍ من الأخذ والعطاء، أن تُحاكموا الى احدٍ من هؤلاء الفساق! اجعلوا بينكم رجلاً قد عَرَفَ حلالنا وحرامنا، فاني قد جعلته عليكم قاضياً؛ واياكم أن يُخاصِمَ بعضكم بعضاً الى السُّلطانِ الجائر^٥.
- ٧ الامام الكاظم «ع»: من طَلَبَ هذا الرزقَ من حِلِّه، لِيَعُودَ به على عياله ونفسه، كان كالمجاهدِ في سبيلِ الله عز وجل، فإن غَلَبَ عليه ذلك، فَلْيَسْتَدِنْ على الله عز وجل وعلى رسوله «ص» ما يَقُوتُ به عياله، فإن مات ولم يَقْضِهِ كان على الامامِ قضاؤه، فإن لم يَقْضِهِ كان عليه وزره. إنَّ الله عز وجل يقول: «إنما الصَّدَقَاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمُؤَلَّفَةِ قلوبُهُم وفي الرِّقابِ والغارمينِ..»، فهو فقيرٌ مسكينٌ مُغرَمٌ^٦.

١ - مُنية المريد / ١٠؛ و ١٢، من طبعة قم.

٢ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده ١ / ٣٢.

٣ - غرر الحكم / ٣٢.

٤ - تجف العقول / ١٧٢.

٥ - الوسائل ١٨ / ١٠٠.

٦ - التهذيب ٦ / ١٨٤.

* المقصودُ من ذكر هذا الحديث، التأكيدُ على أن أمثال هذه التكاليف، يعني معالجة حياة المُعْدِمِينَ والمحرومين ومعيشتهم، تقعُ على عاتقِ العلماء الَّذِينَ يَتَصَدَّونَ للنيابة عن الامام المعصوم. وقدوردت بهذا المعني احاديثُ متعدّدة.

٨ الامام الرضا «ع» - من «فقه الرضا» المنسوب إليه: منزلةُ الفقيه في هذا الوقت، كمنزلة الانبياء في بني اسرائيل^١.

٩ الامام العسكري «ع»: .. فأما مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لامر مولاه، فَلِلْعَوَامِّ ان يُقْلَدُوهُ؛ وذلك لا يكونُ الا بعضَ فقهاءِ الشيعة لا جميعهم^٢.

١٠ الامام المهدي «ع»: .. أمّا الحوادثُ الواقعة، فَأَرْجِعُوا فِيهَا الى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ^٣.

١ - عوائد النراقي / ١٨٦.

٢ - الاحتجاج ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤.

٣ - كمال الدين / ٤٨٤: الغيبة، للشيخ الطوسي / ١٧٧: الاحتجاج ٢ / ٢٨٣.

نظرة الى الباب

لقد مضت في الابواب السالفة وفصولها (من بدء الجزء الاول الى هنا)، مسائل مهمة تتعلق بكيفية الحياة وتطويرها وتحسينها، واقامتها - في مختلف المجالات - على اساس المنهج الالهي، منهج الفطرة. فقد سلف القول عن المعرفة واصالتها وأهميتها في الاتجاهات؛ وأهمية العقيدة والايمان؛ وطابع العمل ودوره الاساسي في بناء الشخصية الانسانية، والمقومات الفردية والاجتماعية.

وهكذا عرضنا عرضاً مقتضباً لخصائص الايديولوجية الالهية؛ والانبياء وأصول تعاليمهم؛ والقرآن وما جاء به ودعا اليه؛ والرؤاد الصادقين وبعض خصائصهم، حتى انتهى بنا السير في هذا الباب الى العلماء والحديث عنهم.

وبما أن القيادة لها أهميتها الكبرى ودورها المصيري في حياة الامة؛ وأن الاسلام والمسلمين اليوم، لا ملاذ لهم لصيانة دينهم وقرانهم وكيانهم وقبلتهم الا العلماء الربانيون؛ وبما أن هناك للاسلام أعداء ألداء، وسباعاً ضارية يتربصون به الدوائر؛ وبما أن العلماء المسلمين ينقسمون الى فئة تحرس الاسلام وتدب عنه، وفئة تخذل الاسلام ولا تقوم له، نعهد في المجال الاخير من هذا الباب، الى مسائل من الضروري لكل مسلم أن يتدبر فيها، ويعمل على استيعابها، ومن ثم تطبيقها في مجالات الحياة المختلفة؛ فاليك هذه المسائل:

١ - المرجعية، أساسها ومسؤولياتها.

٢ - المرجعية ومؤهلاتها.

- ٣ - المرجعية ومنافياتها.
- ٤ - مَنْ هو الفقيه؟.
- ٥ - رعاية الحكمة في تعظيم العلماء وإرجاعِ الامة اليهم.
- ٦ - بعضهم لا كُلُّهم.
- ٧ - تصدّي غيرِ اللائقِ للمناصبِ الدينية وبعض محاذيره.
- ٨ - التكليفُ الدينيُّ عند تصدّي غيرِ اللائقِ.
- ٩ - الزّعامَة .
- ١٠ - ولاية الفقيه أو الحكومة الاسلاميّة.

مسائل

١ - المرجعيّة، اساسها ومسؤولياتها

لقد تصدّينا هنا للكلام عن هذا الموضوع بشيءٍ من التفصيل، لأنّه من أهمّ ما يرجعُ الى الحياة الاسلاميّة للأمة في هذه الاعصار - كما مرّ - ولأنّه أهمّ ما ينتهي اليه أمرُ العلم والعلماء في المجتمع الاسلامي، إن عقّلوا الدين الاسلامي والمسؤوليّة الالهية التي وقّعت على عاتقهم. وتلك هي القيادة، بشؤونها وأعبائها وأهميتها. اذ كلُّ دينٍ ومدرسةٍ ونظامٍ وكلّ امّةٍ ومجتمعٍ، لا يُرجى لها البقاء والانتشارُ والنفوذُ والتقدّمُ الا بقيادةٍ صالحةٍ نابهةٍ قائمةٍ بوظائفها، مؤمنةٍ برسالتها؛ لاجلِ ذلك عمَدنا لهذا البحث، مع تفصيلٍ ما، فاليك البيان:

لما أهبطَ اللهُ عز وجل آدمَ الى الارض، جعلَ يَهْبِيَّ له أسبابَ السعادة ويَهْدِيه الى طُرُقِ التكامل، حتى يحيا حياةً طَيِّبةً، ويعيشَ عيشةً سعيدةً، فيمكنَ له العودُ الى مقامِ القربِ ومنازلِ الكرامة. فبَعَثَ لهذا العَقْصِدِ في بني آدمَ أنبياءَهُ، وواترَ اليهم رُسُلَهُ، وأنزلَ فيهم كُتُبَهُ. وقامَ النبيونَ بالتربية

نظرة الى الباب

والتعليم، يدعون الى رسالة الله، بكل جدٍ ونشاط وفداء، ليقوم الناس بالقسط. وكانوا يُحاربون الجبايرة والطواغيت - من السياسيين والاقتصاديين - ليبسط العلم والعدل والاحسان على وجه الارض وفي عامة المناطق والبيئات.

وكان للأنبياء أوصياء يخلفونهم في جميع تكاليفهم ومسؤولياتهم، من أجل أن يستمر نشر التعاليم الالهية، وبث الرسالات السماوية، ودعم أسس العدالة الاجتماعية.

جاءت رسالات الله هكذا تترى، حتى وصل الزمان الى عصر النبوة الخاتمة وانقطع الوحي؛ وذلك بمبعث سيدنا ومولانا ونبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - عظيم المرسلين وخاتم النبيين. وحيث اراد الله تعالى ان يختم به النبوة وان يقطع بموته رسالة السماء أكمل له دينه، وأتم عليه نعمته بالوصاية، ورضى الاسلام للناس ديناً الى يوم القيامة.

وقام النبي «ص» ببلاغ جميع ما أنزل اليه من ربه، وتتميم ما قبضه الله له. وقد أكد له ذلك حيث قال: «يا أيها الرسول! بلغ ما أنزل اليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس». وكان كمال الابلاغ وتتميمه، بنصب هادٍ للامة، وعلمٍ للملة، حتى لا يكون العمل بالدين بلا كافل، ولا يكون المسلمون بلا رئيسٍ مرشد، ولا يكون الطريق بلا علم، ولا يكون القرآن بلا ناطق، ولا تكون المسائل المستحدثة بلا مُجيب، ولا تكون العقول والافكار بلا مُربّ ..

وعند تمام الدين وكمال البلاغ نزل قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام ديناً»^١. والوصاية سنة ثابتة في الانبياء قد تحققت في الماضين، فيجب أن تتحقق في الآخرين،

١ - سورة المائدة (٥) : ٦٧

٢ - سورة المائدة (٥) : ٣.

حيث كانت سنة الله، «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^١. ولا سيما في الاسلام، لأن النبي الخاتم الذي ينقطع برحلته الوحي، فلا نبي بعده، أولى بأن ينصب للامة - بوحى من الله وأمره - من يليق أن يخلفه ويديم رسالته، حتى لا يخلو المجتمع عن ناطق عن الله وعن دينه. وهذا أمر يرشد اليه العقل، ويحكم به الشرع والفطرة؛ ولاجل ذلك أقام نبينا «ص» علياً «ع» علماً للامة وناطقاً عن الكتاب والسنة، وناشراً للاسلام الصحيح.

وعند هذه المرحلة من التاريخ - تاريخ دين الله على الارض - قد تم دور التشريع والتقنين، وبدأ دور التفسير والتبيين، وذهبت النبوة وخلفتها الامامة.

وكان واجب الامة حينئذ أن يعملوا بوصايا المشرع الاعظم فیرتضوا علياً علماً لهم، واماماً ومرشداً وهادياً، بعد موت النبي «ص» كما نصبه النبي نفسه. غير أن الامور جرت على العكس من هذا الواجب فانقسم المسلمون قسمين: امامي وغير امامي، يعني الذين اتبعوا الامام الذي نصبه النبي «ص» والذين تركوه، فبذلك بدأ دور الامامة من ناحية ودور الخلافة من ناحية أخرى. وكلما بعد العهد عن الوحي وعن حياة النبي، زادت الشقة وكثر التباعد، حتى ظهرت في حقل الخلافات الاسلامية أمور لا تمت الى الاسلام بوشيح صلة.. وحيث جرت الوقائع على تلك الاحداث، قد صعب الامر على خلفاء الرسول الواقعيين وسدنة الاسلام الصادقين، إذ مثل امامهم امران مهمان باهظان وهما:

١ - نشر الدين فيمن لا يعلم.

٢ - حفظ الدين فيمن لا يعمل.

وهناك قاموا بهذين الواجبين، قياماً شاقاً كاداً مستوعباً فجرعوا

١ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٦٢

نظرة الى الباب

المصائب والآلام، وكابدوا المشاق والمحن، فاستمرت حياتهم بين سجن وسبي وتشريد وقتل ومال ذلك، وصار الامر كما قال ابن خلدون: «وطلت دماء أهل البيت في كل ناحية»^١، وكما قال الدكتور علي سامي النشار المصري: «... وبدأ أبناء فاطمة يكتبون بدمائهم أكبر الملاجم، ومات الحسن مسموماً، وقُتل الحسين بن علي وابن فاطمة مقتلة لم يعرف الزمان لها مثيلاً. وتولى آل مروان أعناق المسلمين بالسيف.. وقُتل زيد بن علي في ملحمة أخرى قاسية وعنيفة...»^٢. وكان كل ذلك حفظاً للاسلام عن التحريف، وصيانة للعدل والاحسان عن الخذلان.

وقام الائمة أيضاً بتربية أناس من الامة، وثلة من الجهابذة والافاضل، وطائفة من كبار الثوريين والمتحمسين. وهم وهؤلاء، قد حفظوا تراث الدين وحقائق أحكام النبيين، وحرصوا تعاليم القرآن في جميع أبعاده التوحيدية، والسياسية، والاجتماعية، والاخلاقية، والعملية، عن أي زوال أو تحريف، رغم المضايقة والإرهاب الذي كان يحيطهم. ولما انتهى عصر الامامة - بعد مضي ٢٦٠ سنة من الهجرة القادسة - وجاءت دورة الغيبة للوصي الثاني عشر «ع» (وذلك لسوء اختيار الناس في تركهم حماية الحق وأهله)، بدأ عصر العلماء. وذلك لأن الائمة قد أورشوهم علوم الاسلام وتعاليمه، وحملوا الناس على أن يرجعوا اليهم، لاخذ تلك العلوم والتعاليم والعمل على وفقها وتطبيقها. فماجري على وجه الارض من اللطف الالهي بالناس، في تتابع رسالاته لهدايتهم وارشادهم، تتمثل في ثلاثة عصور:

١ - عصر الانبياء.

٢ - عصر الاوصياء.

١ - تاريخ ابن خلدون ٤ / ٣، طبعة بيروت.

٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢ / و - ط، طبعة مصر، دارالمعارف.

٣ - عصر العلماء.

والى هنا قد ظهر للقارئ الكريم، أن العالمَ الشيعيَّ الاجتماعي - الذي يتصدَّى للمناصب الدينية ولا سيما المرجعية العظمى - هو خليفةُ النبيِّن ووصيُّ الصِّدِّيقين؛ ففي هذا الضَّوء، يلزَمُ أن نَعْرِفَ أنه كيف ينبغي أن يكونَ هذا العالمُ بل كيف يَجِبُ أن يكونَ؟ أَيْصَحُّ لَأَيِّ فقيه أن يَعْرِضَ نفسه لهذا المقام؟ - وان كان أصولياً فقيهاً جامعاً من حيث العلم بالإصطلاحات الكتابية، أستاذاً في الهيئات العلمية، مؤلفاً لـ «الرسالة العملية» - لا، لا يَصِحُّ. وإذا تصدَّى .. أَيْصَحُّ للمسلمين أن يتَّخِذوه مرجعاً من غير أن يَخْتَبِرُوهُ من جهة الصلابة الدينية والانتباه السياسي والموقف الحاسم لاقامة العدل الاجتماعي والاقتصادي، وسائر ما هناك من المؤهلات؟ لا، لا يَصِحُّ.

العالمُ الاسلاميُّ، هو المُمَثِّلُ للعصر الثالث من العصور الثلاثة من رسالاتِ الله على الارض، فهو حُجَّةُ الله - بالمعنى الاعم - لانه حجة الامام - كما جاء في الحديث. والامام حجةُ الله تعالى. فالعالم حجة الله على الناس بواسطة الامام. وعلى هذا لا يَصِحُّ أن يتصدَّى لهذا المقام الآمن له صلةُ تامَّة، من حيث المواصفات، بأصحابِ العصرين السابقين. وبذلك يَتِمُّ لطفُ الله على الناس وتدومُ رسالةُ الله على الأرض.

وهناك أهميةٌ أخرى لهذا المقام في الاقاليم الشيعية، وهي ما ترجعُ الى كيان الاسلام وبقائه وبسطه واعتلائه؛ وذلك لأن المرجعَ لدى الشيعة هو الحافظُ للاسلام وديمومته، والحارسُ لجميع ما يتعلَّق بالمجموعة الاسلامية. وهو المَلأذُ الوحيد لما هناك من الفَوادح والمخاطر من جهة السياسة والاقتصاد والثقافة؛ وهو المكافحُ أمام التيارات المضادة الداخلية والخارجية من ناحية أعداء الاسلام من اليهود والمسيحيين وغيرهم؛ ومن ناحية المقتدرين والجبابرة والخونة، والذين ظهروا في

مقامات الحُكَّام والأُمراء والرؤساء والسلطين المسلمين، غير أنهم عُملَاءُ الاجانب وخدمَةُ اعداء الاسلام؛ كذلك التيارات المضادة من ناحية المذاهب الفكرية والاعتقادية الباطلة، والقوانين الموضوعة بيد الحكومات اللااسلامية^١. أضف الى ذلك كله، ما يجب أن يتمتع به ذلك العالم المرجع، من معاشيته لِآلامِ الناس واطلاعه على مشاكلهم، وتحنُّنهم عليهم والوقوف بجانب المستضعفين واسترداد حقوقهم، ودفاعه عن مظلومهم، وعدم قراره على كِظَّةِ ظالمٍ ولا سَغْبِ مظلوم^٢. وكذلك اطلأعه على الثقافاتِ العصريةِ والمواضيعِ الاقتصاديةِ الحديثة^٣ والمشاكلِ البشريةِ الحاضرة (الحوادثِ الواقعة).

وكلُّ ما أشرنا اليه، يدفع المسلمين الى أن يُمعنوا النظر في هذا الامر، وان لا يغفلوا عما له من الاهمية الكبرى، وان يجعلوا رجوعهم الى العالم على ميزانٍ دينيٍ دقيقٍ وانتباهٍ سياسيٍ واجتماعيٍ، له أثره في بقاء عزة

١ - جاء في تعاليم الامام علي «ع» قوله هذا: «عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ اللهُ بِهِ، لَا تَغْلِبْ عَلَيْهِمُ الْمُرْجِنَةَ». (الخصال / ٦١٤) يدلُّنا هذا الكلامُ على أنَّ مجابهة الانحرافِ العقيديِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ واتقادُ المجتمعِ منه ولا سيما الناشئة، لاطريق لها الآ العلم والانتباه والتوعية. ولاجل ذلك فالامام يأمر بان نُعلِّم الصِّبيانَ ما يَنْفَعُهُمُ اللهُ بِهِ، لكي لا تغلب عليهم الطوائف المنحرفة، ولأن يكونوا قادرين على طرد الآراء الزائفة والافكار المدسوسة التي تغرُّ الشباب وتضرُّهم.

هذه التعاليم تُعلِّمنا بوضوح، أنَّ حوزة الزعامة الدينية يجب عليها أن تكون مُشرقةً على جميع التيارات الفكرية والعقيدية، والقضايا الاقتصادية، ومسائل الانسان الحديث، اشرافاً كاملاً؛ وأن تقوم بنقد الزائف منها وبث الصحيح الناجع وأن تُوقف النفوس عليها - حتى الصبيان - ايقافاً يكون فيه سلامتها واستقامتها في سبيل الحق والفضيلة. وعليها ان لاتخاف ضجة الغوغاء التي يقوم بايجادها الجبابرة الاقتصاديةيون واصحاب الثروات

إِلطائِلَةٌ يَحْفَظُ لِكَيانِهِمْ وَمَنافِعِهِمْ.

٢ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده ١ / ٣٢.

٣ - حتى لا يندفع بتمويهات الاغنياء المترفين. والمتكاثرين.

الدين واعتلاء الاسلام.

ولأن نُلقي ضوءاً على هذا الامر، اكثر من ذي قبل، نُقدّم البحوث التالية الى القارىء الكريم:

٢ - المرجعية ومؤهلاتها

لقد مرّت مواصفات ينبغي أن تتوفر لدى العالم المسلم. وهي التي يجب أن تكون في المرجع القائد - وهو الذي يخلف الامام وينوب عنه في المجتمع - بشكلٍ اولي؛ غير أننا نشير هنا الى ميزات مهمة لا بد من أن يكون المرجع الديني واجداً لها، مستوعباً اياها، حتى تُتاح له القيادة والتوجيه:

- ١ - العقلية العملية بسعتها وعمقها المطلوب.

- ٢ - الاعتداد التام بالاستشارة وتبنيها اصلاً، كما حثت عليها التعاليم الاسلامية حثاً.

- ٣ - تفهم موقف الاسلام الصحيح، تجاه مختلف القضايا المطروحة.

- ٤ - الفطنة وحِدَّة الفهم والبصيرة، والقدرة على معرفة الواقع الشرعي، بالنسبة الى ما يكتنفه من الحقائق الزمنية.

- ٥ - الوعي السياسي الناضج.

- ٦ - الوعي الاجتماعي الشامل.

- ٧ - الوعي الاقتصادي في اشكاله الحديثة، والتصلب في تطبيق

العدالة المالية والمعيشية بين الجماهير.

- ٨ - النزاهة و«الحياة القلبية»، والتحلّي بمكارم الاخلاق.

- ٩ - الشجاعة والجرأة في احقاق الحق، واسترداد حقوق

المستضعفين، حتى يتسنى له أن يجعل كلمة الله هي العليا.

- ١٠ - معايشة المشاكل التي تحيط بالجماهير، والتفكير الموضوعي

لمعالجتها على ضوء تفهّمه لروح العصر الذي يعيش فيه.
١١ - وعي الواقع الانساني ولمس الفقر والالام التي تكتنف المحرومين والمضطهدين.
١٢ - مقاطعة الاغنياء والمترفين وقطع النظر عن اموالهم ونفقاتهم في اي سبيل كانت (لا أسألكم عليه مالا^١)، حتى يُتاح له الوقوف في صفوف المظلومين والمغصوبين، قولاً وعملاً معاً.
واليك طائفة من الاخبار الواردة عن النبي وائمة أهل البيت، تُحدّد الملامح الاصلية للقيادة المُخلصة والمرجعية الواعية، التي أُنيط بها مسؤولية اِصالِ الامانة الالهية للأجيال، بعد فقد النبي «ص» وغيبه الوصي «ع».

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين، ممّا قال الله تعالى للنبي ليلة المعراج: يا احمد! .. ابعِدِ الاغنياء، وابعِدْ مجلسهم عنك^٢.
- ٢ النبي «ص»: ثلاثة مجالستهم تُميت القلب: .. والجلوس مع الاغنياء^٣.
- ٣ النبي «ص»: من أفتى الناس بغير علمٍ، كان ما يُفسدُه من الدين اكثر ممّا يُصلحُه^٤.
- ٤ الامام علي «ع»: رأس العلم التواضع، وبصره البراءة من الحسد، وسمعُه

١ - سورة هود (١١) : ٢٩.

٢ - ارشاد القلوب / ٢٧٩ - ٢٨٠: وفي بعض النسخ: «بعُد»، في الموضعين.

٣ - تحف العقول / ٤٢.

٤ - البحار ٢ / ١٢١، عن «غوالي اللثالي».

- الفهم، ولسانه الصدق، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة أسباب الامور^١..
- ٥ الامام علي «ع» : آفة العلماء حبُّ الرياسة^٢.
- ٦ الامام الصادق «ع» : لا تَحِلُّ الْفُتْيَا لِمَنْ لَا يَسْتَفْتِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصَفَاءِ سِرِّهِ، وَاخْلَاصِ عَمَلِهِ وَعِلَانِيَّتِهِ، وَبِرْهَانٍ مِنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّ مَنْ أَفْتَى فَقَدْ حَكَمَ. وَالْحُكْمُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ اللَّهِ وَبِرْهَانِهِ. وَمَنْ حَكَمَ بِالْخَبَرِ بِلَا مُعَايِنَةٍ، فَهُوَ جَاهِلٌ مَأْخُودٌ بِجَهْلِهِ، مَأْتُومٌ بِحُكْمِهِ. قَالَ النَّبِيُّ «ص» : اجْرَأُكُمْ بِالْفُتْيَا أَجْرَأُكُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَوْ لَا يَعْلَمُ الْمُفْتِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ^٣.
- ٧ الامام الباقر «ع» : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَهْلِهَا^٤.
- ٨ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن الامام امير المؤمنين: عشرةٌ يَفْتِنُونَ انْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ: ذُو الْعِلْمِ الْقَلِيلِ يَتَكَلَّفُ أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ كَثِيرًا، وَالرَّجُلُ الْحَلِيمُ ذُو الْعِلْمِ الْكَثِيرِ لَيْسَ بِذِي فِطْنَةٍ^٥..
- ٩ الامام الرضا «ع» - فيما رواه عن الامام السجّاد: . واذا وجدتموه يَعِفُّ عَنِ الْمَالِ فَرُؤَيْدًا لَا يُغْرُكُمْ! فَإِنَّ شَهْوَاتِ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ - وَإِنْ كَثُرَ - وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءٍ قَبِيحَةٍ، فَيَأْتِي مِنْهَا

١ - البحار ٧٨ / ٦ : راجع : الفصل ١١، من هذا الباب، فقرة «د»، الحديث ٨.

٢ - غرر الحكم / ١٣٦.

٣ - البحار ٢ / ١٢٠.

٤ - الكافي ١ / ٤٧.

٥ - البحار ٧٧ / ٤٠٠، عن «الخصال».

مُحَرَّمًا. فاذا وجدتموه يَعِفُّ عن ذلك فُرُودًا لَا يُغَرِّنُكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عَقْدَةُ عَقْلِهِ! فما اكْتَرَمَ من تَرَكَ ذلك اجْمَع، ثم لا يَرْجِعُ الى عقلٍ متين، فيكون ما يُفْسِدُهُ بجهله، أَكْثَرَ مما يُصْلِحُهُ بعقله^١.

١٠ الامام العسكري «ع» - في قوله تعالى: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله^٢»، قال: هذه لقومٍ من اليهود - الى ان قال: - وقال رجلٌ للصادق «ع»: اذا كان هؤلاء العوامُّ من اليهود لا يعرفون الكتابَ الا بما يسمعونه من علمائهم، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبولِ من علمائهم؟ وهل عوامُّ اليهود الا كعوامنا يُقلِّدون علماءهم؟ - الى ان قال: - فقال «ع»: «بين عوامنا وعوامِّ اليهود فرقٌ من جهةٍ وتسويةٍ من جهة. اما من حيثُ استَووا، فإنَّ الله ذمَّ عوامنا بتقليدهم علماءهم^٣ كما ذمَّ عوامهم. واما من حيثُ افترقوا، فإنَّ عوامِّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذبِ الصُّراحِ واكلِ الحرامِ والرُّشا وتغييرِ الاحكام، واضطروا بقلوبهم^٤ الى أنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك فهو فاسقٌ لا يجوزُ أَنْ يُصَدَّقَ على الله ولا على الوسائطِ بين الخلقِ وبين الله، فلذلك ذمهم. وكذلك عوامنا اذا عرفوا من علمائهم الفسقَ الظاهرِ والعصبيةَ الشديدةَ والتكالبَ على الدنيا وحرامها، فمن قَلَدَ مثل هؤلاء، فهو مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليدِ لفسقةِ علمائهم. فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمرِ مولاه، فللعوامِّ أَنْ يُقلِّدوه. وذلك لا يكونُ الا بعضَ فقهاءِ الشيعة، لا كلهم، فإنَّ مَنْ رَكِبَ من القبائحِ والفواحشِ مراكِبَ فسقةِ فقهاءِ العامة^٥، فلا تقبلوا

١ - الاحتجاج ٢ / ٥٣.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٧٩.

٣ - ليس المقصودُ بهذا التقليد، تقليد العالم العادل، في الاحكام الشرعية الفرعية - كما هو واضح.

٤ - اي: استيقنوا وعلموا.

٥ - في «الاحتجاج» (٢ / ٢٦٤) : «فسقة العامة».

منهم عنا شيئاً ولا كرامة...»^١.

ايقاظ

من أجلى مصاديق «المراكب» المشار إليها في كلام المعصوم، هو الرُّكُونُ الى الظالمين، والتعاضدُ مع الحكومات الجائرة والمتسلطين على ثروات الأمة ومنابعهم وثقافتهم ونواميسهم، والسكوتُ أمام كل ذلك. أجل، لقد صرَّحت هذه الاحاديث - وأمثالها كثيرة - بشروطٍ رئيسيةٍ يجبُ ان تكونَ في العالمِ حتى يجوزَ للناسِ تقليدهُ، وحتى يجوزَ له أن يأخذَ بناصيةَ القيادة والزعامة. وإنَّ المسلمَ حينما يُقلدُ عالماً غيرَ جامعٍ لتلك الشروطِ يَنسَجِمُ مع اليهودِ وَيَنخَرِطُ في سِلِكِهِمْ. وهذا أمرٌ يهيمُ المجتمعَ أن يتدبَّرَ فيه، لأنَّه يدعو الى أصليين هامين من أصولنا التربوية، ألا! وهما التولي والتبري. وهذان الاصلان من أهم ما يُوجدُ في قواميس التربية البشرية، لأنهما يهدمان ويبنيان، يهدمان جبهة الباطلِ بِخِذِّ لَانِهَا، ويبنيان جبهة الحقِّ بالالتفافِ حولها. ولا يسعُ المسلمَ أن يكونَ لا مبالياً بالنسبة لهذين الاصلين، فعلى هذا تُصبحُ متابعة رجلِ الحقِّ ذي الموقف الحاسمِ وتأييده واجبة، ومتابعة غيره محرمة.

ومما ينبغي أن نُلَفِتَ اليه الأنظارُ أنَّ كلمة «العلم» الواردة في كلام النبي «ص»: «من أفتي النَّاسَ بغيرِ علمٍ ..»، ما أريدَ بها الفقهُ الاصطلاحي، ولا سيما فقه أكثر المعاصرين (المتحجِّرِ المحدود)، لان هذا الاصطلاحُ مُستحدَثٌ متأخِّرٌ عن زَمَنِ النبي والأمة بقرون. والفقهُ بهذا المعنى لا يشملُ كثيراً من مسائل الاسلام. ويأتي الكلامُ حولَ هذه الموضوعاتِ بشكلٍ اوسع.

١- البحار ٢ / ٨٨: الاحتجاج ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤: الوسائل ١٨ / ٩٤ - ٩٥.

بعد أن عَلِمْنَا مُؤَهَّلَاتِ المَرْجِعِيَّةِ والمِيزَاتِ التي تجعلها تُنُوبُ عن دعوة الانبياء والاصياء، لا بد من أن نَتَحَرَّى الامور التي تُنافي القيادة الدينية، لكي يكون الناس على بصيرة من أمرهم، تجاه هذا الامر المصيري في حياة الامة؛ واليك بعضاً منها:

- ١ - ضحالة الفهم السياسي والاجتماعي وعدم استيعاب العلاقات المؤثرة والمتأثرة، الفردية والاجتماعية، بين المجتمع الانساني^١.
- ٢ - عدم وعي الاسلام بجميع جوانبه كدين حي حاكم في الحياة.
- ٣ - الميل الى الحياة الدنيا وتضاؤل ملكة التقوى والورع.
- ٤ - تخلُّل الأهواء وانحسار حاكمية العقل والبصيرة.
- ٥ - السكوت أمام الجبايرة والمعتدين، وترك مواجعتهم، تجنباً لمكروههم.

- ٦ - الاحساس بالضعف والذل، والتشاؤم من العمل والتحرك في الأمة، والوقوف عند الأهداف المرحلية الضيقة.
- ٧ - التفقه بغير علم (بمعناه الواسع الذي أشرنا اليه).

١ - قالوا: إن الفقيه العالم الكبير، السيد محمداً الطباطبائي الفشاركي الاصفهاني (م - ١٣١٦ هـ . ق)، لما رجعوا اليه، بعد رحلة استاذته الميرزا محمد حسن الشيرازي الكبير (م - ١٣١٢ هـ . ق)، لتسلم المرجعية والزعامة الدينية، قال: «إني لست اهلاً لذلك، لأن الرئاسة الشرعية تحتاج الى امور، غير العلم بالفقه والاحكام، من السياسات، ومعرفة مواقع الامور...» (فوائد الرضوية ٢ / ٥٩٤).

وهذا العالم الزاهد اليقظ المثبت، كان من اعظم فقهاءنا الربانيين، وكان يُدرّس في حياة استاذته الميرزا الشيرازي. ولقد تخرّج عليه اعلام كالمرزا محمد حسين النائيني (م - ١٣٥٥ هـ . ق)، والشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي (م - ١٣٥٥ هـ . ق). ولقد وُصف في كلمات بعض الاجلة بـ «الاستاذ الكبير» (ريحانة الادب ٣ / ٢٢٠).

٨ - عدم الاخلاص في المواقف والمفاهيم والمشاعر.
وبشكلٍ عامٍّ أَيْةٌ صِفَةٌ أو حَالَةٌ تَضَادُّ ما عَدَدناه في المؤهَّلَات ولا تُنَاسِبُ طَبِيعَةَ مَوْقِفِهِمْ، كخُلَفَاءَ لَخُلَفَاءِ اللهُ في الارض، أُوكِلَ اليهم استكمالُ المسيرة التي أُرِيقَتْ فيها دماءُ الانبياءِ والاصياء - عِبَرُ القرون الطَّوَالِ من صِرَاعِ جُنْدِ الحَقِّ وجُنْدِ الباطل - فَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِهَذَا المَقَامِ الدِينِيِّ وَالْمَسْئُولِيَّةِ الكَبِيرِي. واليك طائفةً من الاحاديث التي تَكشِفُ النِقَابَ عن هذا الجانب:

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: آفةُ الزَّعامَةِ^١، ضعفُ السِّيَاسَةِ^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: آفةُ العَامَّةِ، العالِمُ الفَاجِرُ^٣.
- ٣ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، عن عليّ «ع»: إنَّ في جَهَنَّمَ رَحَى تَطْحَنُ خَمْسًا، أَفْلا تَسْأَلُونِي ما طِحنُها؟ فقليل له: وما طِحنُها يا اميرَ المؤمنين؟ قال: العلماءُ الفَجْرَةُ، والقُرَّاءُ الفَسَقَةُ، والجبابرةُ الظَّلْمَةُ، والوزراءُ الخَوْنَةُ، والعُرَفَاءُ الكَذْبَةُ^٤..
- ٤ الامام علي «ع»: لا يَكُونُ السَّفَهُ والغِرَّةُ في قلبِ العالمِ^٥.
- ٥ الامام علي «ع»: .. ها! إنَّ هُنْها لَعِلْمًا جَمًّا (واشارَ بيده الى صدره) لو أَصَبْتُ حَمَلَةً. بلى، أَصَبْتُ لَقِنًا غيرَ مأمونٍ عليه، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدينِ للدنيا.

١ - او: آفة الزعماء.

٢ و ٣ - غرر الحكم / ١٣٦ - ١٣٧.

٤ - الخصال ٢ / ١٤٢.

٥ - الكافي ١ / ٣٦.

وَمُسْتَظْهِراً بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبُحْجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ؛ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلَاذَا وَلَا ذَاكَ؛ أَوْ مِنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ؛ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْإِنْعَامُ السَّائِمَةُ؛ كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ^١.

٦ الامام علي «ع»: .. قد سمّاه اشباهُ الناسِ عالماً وليس به، بَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعٍ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ، وَاکْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ^٢.

٧ الامام علي «ع»: لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْاِخْتِلَافُ^٣.

٨ الامام علي «ع»: .. لَمْ يَعْضُ عَلَى الْعِلْمِ بِضَرْسٍ قَاطِعٍ، يُذْرِي الرُّوَايَاتِ إِذَا رَأَى الرِّيحَ الْهَشِيمِ، لَأَمَلِيٌّ - وَاللَّهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ^٤.

٩ الامام الصادق «ع» - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ»: هُمْ قَوْمٌ تَعَلَّمُوا وَتَفَقَّهُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا^٥.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَجَرَتِ الْوَقَائِعُ هَذَا الْمَجْرَى، يَحْدُثُ الْخَطْبُ الْفَاحِشُ وَالْحَادِثُ الْجَلَلُ، وَهُوَ سَيْطَرَةُ عُلَمَاءِ السُّوءِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، فَيُضِلُّونَ وَيُفْسِدُونَ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:

١ - نهج البلاغة / ١١٥٦ - ١١٥٧؛ عبده ٣ / ١٨٧.

٢ - نهج البلاغة / ٧١؛ عبده ١ / ٤٨.

٣ - البحار ٢ / ١٢٢، عن «كنز الفوائد».

٤ - نهج البلاغة / ٧١؛ عبده ١ / ٤٩.

٥ - البحار ٢ / ٢٩٨، عن «تفسير العياشي».

١٠ الامام علي «ع» : زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ، تَغْرَقُ وَتُغْرَقُ ١.

٤ - من هو الفقيه؟

قَدْ التَّبَسَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ، فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ، فِي مَعْرِفَةِ «الْفَقِيهِ». وَقَدْ أَكَّدَ هَذَا الْإِلْتِبَاسَ وَاشَاعَهُ بَيْنَ النَّاسِ، عَمَلُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ وَسِيرَتُهُمْ. وَمَوْضُوعِيَّةُ الْبَحْثِ تَجْعَلُنَا نُدْعِي بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْفَقَاهَةَ قَدْ انْحَصَرَتْ دَائِرَتُهَا فِي حَقْلِ مَعْيَنٍ، يُمَثِّلُ جُزْءًا مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَا يُمَثِّلُ جَمِيعَ الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ؛ فَانَّ مَجْمُوعَ الْآيَاتِ الَّتِي تُمَثِّلُ الْجَانِبَ الْمُبْحُوثَ عَنْهُ فِي الْفِقْهِ الْآنَ، لَا تَتَجَاوَزُ ٥٠٠ آيَةً، مِنْ بَيْنِ ٦٠٠٠ آيَةٍ (أَيِ بِنِسْبَةِ الْجُزْءِ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا مِنْهُ).

فَالْفَقِيهُ بِهَذَا الْمَفْهُومِ، لَيْسَ عَالِمًا إِسْلَامِيًّا مُسْتَوْعِبًا، لِأَنَّ الْعَالَمَ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ جَمِيعَ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ. وَهِيَ لَا تَنْحَصِرُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْإِحْكَامِيَّةِ الْفَقْهِيَّةِ. وَالْفُقَهَاءُ - أَكْثَرُهُمْ - لَا يَعْلَمُونَ سِوَى مَوْضُوعَاتِهِمْ الْفَقْهِيَّةِ، بِصُورَةٍ وَاعِيَةٍ. وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْفَقِيهُ مُسْتَوْعِبًا لِجَمِيعِ مَنَاحِي الْإِسْلَامِ وَمَغَازِيهِ، فَكَيْفَ يَسَعُهُ أَنْ يَقُودَ الْمَجْتَمَعَ، وَأَنْ يَمَلَأَ فَرَاغَ وَجُودِ الْأُئِمَّةِ «ع» فِي نَشْرِ الْمُثَلِّ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَرْكِيذِهَا؛ وَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُشْرِفَ عَلَى الْوَقَائِعِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْمَوَاضِعِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، وَيَسْتَنْبِطَ أَحْكَامَهَا مِنَ الدِّينِ وَيَسْعَى لِتَطْبِيقِهَا فِي الْمَجْتَمَعِ؟ وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ. وَإِذَا شَتَّتَ أَنْ يَزْدَادَ هَذَا الْوَاقِعُ عِنْدَكَ وَضُوحًا، فَانظُرْ إِلَى الْكُتُبِ الْفَقْهِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَهِيَ كُتُبٌ تُطْرَحُ كِبْرَانِمَجٍ عَمَلِيٍّ لِلْأَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ. وَإِذَا نَظَرَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَاطِرٌ، وَحَسِبَهَا بِرَامَجٍ وَاعِيَةً لِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، يَظُنُّ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ لَا رِبْطَ لَهُ بِالْحَيَاةِ

البشرية المتطورة، وبالادارة والسياسة، وبالحركات البناءة في العلم والاقتصاد، وبالقوى الدفاعية والتسلح، وبالآلام البشرية المتوفرة، وبالمحرومين والمستضعفين ومشاكلهم، وبمجابهة الجبابرة والمتسلطين، وبالقضايا الملموسة الجارية في المجتمع والحياة. وهذا خطبٌ عظيم، وخسرانٌ مبین.

وللامام الخميني، قائد المسلمين المجاهد، محاضرات هامة بنفس هذا الصدد، ودروس راقية، تأتي هنا بلمعة منها:

«.. ولكي نلاحظ الفرق بين الاسلام، وبين ما يُطرح باسم الاسلام يكفي أن نُقارن بين القرآن وكتب الحديث من جهة، وبين الرسائل العملية التي كتبها العلماء المجتهدون من جهة أخرى. والنتيجة أن هناك فرقاً كبيراً بينهما من حيث الشمول ومدى التأثير في الحياة الاجتماعية؛ فنسبة الآيات التي تتعلّق بشؤون المجتمع الى آيات الاحكام والعبادات، تفوق نسبة المنة الى الواحد، ولو لا حظنا مجموعة كتب الحديث التي تتناول التشريعات الاسلامية - وهي تقرب من خمسين كتاباً - لوجدنا أن المقدار الذي يتناول احكام العبادات ووظائف الانسان تجاه خالقه، لا تتجاوز أربعة كتبٍ .. ويتعلّق بعضها بالمسائل الاخلاقية، بينما تتناول البقية الباقية، العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوق وتدير شؤون المجتمع.»^١

أجل، إن الاسلام دين جامع كامل شامل يحيى مع الحياة، وينسجم مع النواميس الحية في المجتمع والتاريخ. والقرآن الكريم يحتوي على أكثر من ٦٠٠٠ آية، تتناول مختلف شؤون الحياة.

فعلى هذا المنطق الصحيح، لا يمكن أن يكون العلم اللازم للعالم القائد - الذي يقوم لأن يبني المجتمع - منحصراً في الفقه الاصطلاحي، أي

معرفة كيفية الوضوء والتيمم والغسل، وتفريق الدماء الثلاثة، وكيفية إخراج الزكاة والخمس، وعدد التَّسْبِيحَاتِ الأربعة، وشرائط البيع وسائر أبواب الفقه المتعارف اليوم. لا، لا يكون الأمر كذلك، فإنَّ الإسلامَ وَضَعَ لكلِّ أمرٍ حُكماً حتى أُرْسِ الخَدَشُ - كما جاء في الحديث^١ - ولكلِّ حركةٍ وسكونٍ وظيفةً وتوجيهاً. وما من حركةٍ وسكونٍ إلا وأنت محتاجٌ فيهما الى معرفة - كما جاء في الحديث^٢.

والمُسلِمُ الحَيِّ، يَعِيشُ في المجتمع - لا في الفلوات والبراري - فَتَمَثَّلُ أمامه في كلِّ يومٍ عَشْرَاتٌ من المسائل والامور والقضايا السياسية والاجتماعية، ممَّا يتعلَّق بالعمل، من فعلٍ أو تركٍ، وما يُمَتُّ الى اتِّخَاذِ موقِفٍ. ولا يَصِحُّ لِأَيِّ مُسلِمٍ نَابِهٍ أَنْ يَتْرُكَ التَّدخُلَ في هذه الامور، لِأَنَّ هذا التَّركَ خلافُ الواجب الاسلامي؛ وهو الاهتمامُ بأمور المسلمين والانتباهُ لكلِّ ما يَجْرِي في المجتمع الاسلامي، واتِّخَاذُ موقِفٍ مناسبٍ بالنسبة لكلِّ امرٍ؛ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ^٣.

أضف الى ذلك، أنَّ تَرْكَ المَعَايِشَةِ للامور الاجتماعية والمداخلة فيها، يَسْتَتِيعُ امرأً أَصْعَبَ وَخَطْباً أَفْدَحَ. وهو وقوعُ الأمرِ بأيدي غير المسلمين، أو المُنْتَظَاهِرِينَ بالاسلام، الذين ليس لهم شرفٌ ولا دينٌ ولا عهد، من هؤلاء الفَسَقَةُ والخَوْنَةُ الذين لا غايةَ لهم إلا الدنيا ومناصبها، والإغارةُ على الاموال ونهبِ الثروات. ولذلك يَتَصَافَقُونَ مع الاجانب المقتدرين، لِهَدْمِ دعائمِ الاسلام ونهبِ ثروات المسلمين. فالواجبُ على كلِّ فردٍ من أفراد المسلمين أن يكونَ مُشَارِكاً في المسائل الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والادارية، والتعليمية والتربوية، والثقافية، والعمرانية،

١ - الكافي ١ / ٢٣٩.

٢ - تحف العقول / ١١٩.

٣ - ارشاد القلوب / ١٨٤.

نظرة الى الباب

والدفاعية، مُتَّخِذاً موقفاً حاسماً، يُفِيدُ العَدَالَةَ والحَقَّ، ويُوَازِرُ الاسلامَ والمسلمين.

وهذه المُشَارَكَةُ الجَادَّةُ الواعية، تَتَوَقَّفُ على العلمِ بالمسائل الاجتماعية والسياسية - الداخلية منها والخارجية - وعلى تَفَهُّمِ أَجْوِبَةِ الدين لتلك المسائل. ومن المعلوم أن هذا امرٌ لا يُمْكِنُ لِكُلِّ فردٍ الخوض فيه، فعند ذلك يَعْمَلُ بالحُكْمِ الفطريِّ الشرعي، وهو رُجوعُ الجاهل الى العالم، فيرجعُ الناسُ حينئذٍ الى العلماء ويسألون عما يَسْنَحُ لهم؛ فيجب أن يكون العالمُ عارفاً بجميع ما أشرنا اليه، معرفةً مستوعبةً واعية، حتى يُتَاحَ له توجيهُ الناسِ وارشادهم على مختلفِ المستويات.

وهذا العلمُ الجامعُ الشامل هو الذي يَجِبُ أن يكونَ من يُفتي الناسَ واجدأله، وهذا هو الذي من أفتي الناسَ بغيره، كان ما يُفسِدُهُ من الدين والمجتمع أكثرَ ممَّا يُصْلِحُهُ.

فالفقيهُ الذي يَصِحُّ للمجتمع أن يُقَلِّدَهُ ويُلقِي اليه بزمامه، في عامَّةِ المسائل والشؤون، يَجِبُ أن يكونَ عالماً أيضاً، أي مُمَثِّلاً لجميعِ تعاليمِ الاسلام في العبادة، والمعاملة، والسياسة، والثقافة، والاجتماع، والاخلاق، والدِّفاع، والحكومة، والاقتصاد، والادارة، وما يُمْتُّ الى هذه الامور ويتَّصَلُ بها. ومن أعظمِ المصائبِ الدينية الاجتماعية، أن آحادَ الامة يُقَلِّدون، في الاغلب، «الفقيه» لا «العالم». أي يرجعون لتطوير حياتهم تطويراً قرآنياً، الى من لا يَسْتَوْعِبُ مِنَ الْقُرْآنِ الا ١ / ١٢. وان كثيراً من هؤلاء كما لا يعلمون من الاسلام والقرآن بالاجتهاد الا هذا المقدار، لا علمَ لهم بالسياسات الداخلية والخارجية، والمواقف الاستعمارية، والمسائل الدُولِيَّةِ، والقضايا العالمية، والمذاهب الاقتصادية، والتجارب التاريخية.

أضف الى ذلك، المسائل الاخلاقية، و«الحياة القلبية»؛ والى هذا يُشِرُّ

العلامة المجلسي حيث يقول: «ويُطلقُ الفقيهُ غالباً في الأخبار على العالمِ العاملِ الخبيرِ بعيوبِ النفسِ وآفاتِها، التاركِ للدنيا، الزاهدِ فيها، الراغبِ الى ما عنده تعالى، من نعيمه وقربه ووصاله»^١. واليك أحاديثٌ بهذا الصدد:

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» - عن عليّ «ع»: «ألا أُخبرُكم بالفقيه حقاً؟ مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .. وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. أَلَا! خَيْرٌ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُُّمٌ. أَلَا! خَيْرٌ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ. أَلَا! خَيْرٌ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ»^٢.
 - ٢ الامام الباقر «ع»: «إِنَّ الْفَقِيهَ، الزَاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّائِبُ فِي الْآخِرَةِ، الْمَتَمَسِّكُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ «ص»»^٣.
 - ٣ الامام الصديق «ع»: «إِعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ مِنْ رَوَايَاتِهِمْ عَنَّا، فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الْفَقِيهَ مِنْهُمْ فَقِيهًا حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثًا. فَقِيلَ لَهُ: أَوْ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثًا؟ قَالَ: يَكُونُ مُفَهَّمًا. الْمَفَهَّمُ الْمُحَدَّثُ»^٤.
- ٥ - رعاية الحكمة في تعظيم العلماء وإرجاع الأمة اليهم

١ - البحار ٢ / ١٥٨.

٢ - الوسائل ٤ / ٨٣٠.

٣ - البحار ٢ / ٥١، عن «المحاسن».

٤ - رجال الكشي / ٣.

نظرة الى الباب

إنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ قَدْ أُوجِبَ تَكْرِيمًا عَمِيقًا وَتَجَلَّةً وَاسِعَةً لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، هَذَا؛ مَعَ أَنَّ الدِّينَ الْحَقَّ الْإِلَهِيَّ، لَا يَرُسُّمُ خِطَّةً تَوْجِبُ الْإِنْحِطَاطَ وَالْجَاهِلِيَّةَ، وَلَا يَأْتِي بِتَعْلِيمٍ يَنْتَهِي إِلَى عُبُودِيَّةِ النَّاسِ لِلنَّاسِ. وَأَنَّ الْمُعَلِّمِينَ الرَّبَّانِيِّينَ - مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْأَوْصِيَاءِ - لَا يَفْرُضُونَ عَلَى الْعَامَّةِ مَا يُوجِبُ الْإِسْتِعْبَادَ، وَالتَّقَهُّرَ، وَالسَّقُوطَ. فَالْعَالَمُ الَّذِي يَدْعُو الدِّينَ إِلَى تَبْجِيلِهِ وَاتِّبَاعِهِ، لَا يَكُونُ إِلَّا الَّذِي يَنْطِقُ عَنِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ هَوَىٍّ أَوْ انْحِيَاظٍ سِوَى رِسَالَةِ اللَّهِ وَتَطْبِيقِهَا.

وهناك في العلماء والذين ينتمون إلى الدين، من لم يبلغ إلى حقيقة العلم ولم يحصل على تقوى وحياء قلب ولم يستند إلى ركن وثيق؛ أو من له عقلية ساذجة تستولي أبالسة السياسات الباطلة والفاشمة على عقله ووعيه بأدنى سعي؛ أو جبان لا يوجد عنده أية جرأة وتحمس للدفاع عن الحق؛ أو مفتون بالدنيا وزهرتها مائل إلى الاماني؛ أو مواه يتفق - في الباطن - مع السياسة والجناة والطواغيت، ويؤدي - في الظاهر - أنه مع المجتمع وأهدافهم الدينية، مع أنه مع أعداء المجتمع والدين، وأمثال هؤلاء، من فجر العلماء - أو عجزتهم، أو جبنائهم أو سذجهم - الذين يخونون الإسلام ويخذلون المسلمين، ويمحقون آثار الحركات الثورية الدائمة الهدامة والبناءة. أفهل يمكن بعد هذا، أن نعتقد أن الإسلام حينما يدعو إلى تكريم العالم واتباعه، يدعو إلى تكريم أمثال هؤلاء واتباعهم؟ لا، لا يمكن.

وبعبارة أخرى: إن العالم إنما يتصدى للقيادة الدينية نيابة عن النبي «ص» وعن أوصيائه «ع». ومن البديهي أن النائب والمنوب عنه، يجب أن يكون بينهما شبه جوهري. وهذه الشباهة الجوهرية إنما تتحقق بالملكات الراسخة الباطنة، كحياة القلب والنزاهة والعدالة والتفاني في الله وفي الدين، والوقوف العملي بجانب المحرومين والمظلومين

والمفصوبين، لا بمجرد المحفوظات الذهنية والمصطلحات التي لم يكن
لأكثرها عين ولا أثر في الاسلام الأول. والحياة القلبية والملكات الباطنة،
كالزاهة والعدالة والقدرة الروحية، أمور كسبية لامهوبة. وهناك في
العلماء من يوفق لكسبها ومن لا يوفق، لأنها مدارج تحتاج الى رياضة
مداومة، وتهذيب للنفس وقواها، وعمل قلبي مستمر..

وإذا كان العالم غير موفقٍ لكسب الكمالات والملكات الباطنة، وهو
يتصدى مع ذلك للقيادة الدينية، ولو في مجتمع صغير وحقل محدود،
فهناك يقع الخطب الفادح؛ لأن أمثال هؤلاء إن نالوا الجاه، وإن أحرزوا
اعتقاد الناس فيهم والاعتماد عليهم، لا يفيدون الأمة إلا الهوان، ولا
الدين إلا الزوال، ولا الفضيلة إلا الفناء، ولا العدل إلا البوار، ولا العزة
الدينية إلا الذل، ولا الحكومة الحقة الا السقوط. فلأجل ذلك الأمر الهام
وذلك السرّ الديني والاجتماعي الكبير، قد جاء في التعاليم الاسلامية
تقسيم العلماء الى صنفين: علماء الخير وعلماء الشر (وبتعبير علماء
السوء). وقد ثبتت في تلك التعاليم تقريرات بحق علماء السوء، كما جاء
ثناء كبير لعلماء الخير، حتى جعلوا ورثة الانبياء، وخلفاء الرسول «ص».

وقد جئنا في الفصول السابقة من هذا الباب - ولا سيما الفصلين
الثاني عشر والثالث عشر - بطائفة من تلك التقريرات، حتى يعلم المجتمع
المسلم واجبه أمام هذا الصف - بما فيهم المدرسون والخطباء والوعاظ
ومن اليهم - فيجتنبهم، ويقترّب الى الربانيين والامثال، حتى يعود بذلك
الى الاسلام اعتلاؤه، والى المسلمين عزهم، والى رسالات الله نشرها
وتجسيدها، والى البشرية كافة سلامها وسعادتها. ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم.

نظرة الى الباب

جاء في الحديث الشريف: «... فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لامر مولاه، فللعوام أن يقلدوه؛ وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم»^١.

وهذا أمرٌ معلوم، وقد مرّت في هذا الباب مسائل تُرشدنا الى ذلك؛ فإنّ كلّ فقيهٍ وعالمٍ ليس له أن يترأس الأُمَّةَ الاسلامية، ما لم يتمتّع بالميزات (الظاهرية والباطنية، العلمية والعملية)، التي يجب أن تكون فيه. فاللائق لهذا الامر هو أوحدِيٌّ كلّ عصر، وواحدٌ من الفقهاء لا جميعهم. والسياسةُ الدينية الخارجية والحقائق الموضوعية والتجارب المتعلقة بأمر الادارة والمجتمع، والعقل والاعتبار، والوقوف على طبائع النفوس واستعداداتها ومواهبها، كلّ هذه تفرّضُ على الأُمَّة المسلمة أن لا تُدعِنَ للمرجعية القائدة إلا لبعض الفقهاء لا كلّهم. وكان الائمة الطاهرون يُرشدون الى ذلك، كما مرّ في الحديث.

٧- تصدّي غير اللائق للمناصب الدنيّة وبعض محاذيره

أ- الخيانة الاجتماعية

١ النبي «ص»: من تقدّم على المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو افضلُ منه، فقد خان الله ورسوله والمسلمين^٢.

٢ النبي «ص»: يا ابن مسعود! علماؤهم وفقهاؤهم خونةٌ فجرة. ألا! إنهم اشرارُ خلقِ الله، وكذلك أتباعهم، ومن يأتيهم ويأخذ منهم ويحببهم

١- الاحتجاج ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤، من حديث الامام العسكري «ع».

٢ - الغدير ٨ / ٢٩١.

وَيُجَالِسُهُمْ وَيُشَاوِرُهُمْ أَشْرَارُ خَلْقِ اللَّهِ ١..

ب - وهن الامة وتسافل امرها

١ النبي «ص»: مَنْ أُمَّ قَوْمًا وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَفْقَهُ، لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ إِلَى سَفَالٍ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢.

ج - الحرمان من توفيق الله والطافه

١ النبي «ص»: . إِنْ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَلِأَهْلِهَا. وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ، مَقَتَهُ اللَّهُ. وَمَنْ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: «أَنَا رَئِيسُكُمْ» وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ، حَتَّى يَرْجِعَ عَمَّا قَالَ وَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ادَّعَى ٣.

٨ - الوظيفة الدينية عند تصدي غير اللائق

أ - الوظيفة الفردية الخاصة

١ النبي «ص»: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ: «لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمًا مَفْتُونًا بِالدُّنْيَا فَيُضِدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي» ٤.

١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٧.

٢ - ثواب الاعمال / ٢٤٦.

٣ - تحف العقول / ٣٦.

٤ - الكافي / ١ / ٤٦.

- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: الفقهاء امناء الرُّسل ما لم يدخلوا في الدنيا .. فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم^١.
- ٣ الامام الصادق «ع»: اذا رأيتُم العالمَ مُحِبًّا لدنياه، فَاتَّهِمُوهُ على دينكم^٢..

ب - الوظيفة الاجتماعية العامة

- ١ الامام علي «ع»: يَجِبُ على الامام أن يَحْبِسَ الفُسَّاقَ مِنَ العلماء، والجُهَّالَ مِنَ الاطباء، والمفالس من الأكرياء^٣.

فيجبُ على هذا الاساس الالهي القويم، أن يَعْرِفَ المجتمعُ الاسلامي واجبه أمامَ الفُسَّاقِ مِنَ العلماء، والغافلين عن الله، والداخلين في الدنيا المنحازين الى السُّلطاتِ الغاشمة، والذين يتصدّون للزعامة الدينية والقيادة الاسلامية من غيرِ أن يكونوا واجدين لجميع المؤهلات (وهذا التصدي هو من أكبر انواعِ الفسوق، وهو كفرٌ سياسي واجتماعي في محكمة الحق والاسلام). فكما يجبُ على الامام حَبْسُ العالمِ الفاسق، لِحَفْظِ المصالح الاجتماعية الاسلامية، وللتَحَفُّظِ على الكيان الديني والركائز القرآنية، كذلك يجبُ على سائر الطبقات أن يتركوا هؤلاء الموصوفين من العلماء وان يَحذَرُوهم على دينهم، وان يُقَاطِعُوهم - كائنين مَن كانوا - حتى يَخْلُوَ الجوُّ للرباني الامثل اليَقِظِ المؤمن، والشجاعِ المُجاهد، والمُكافِحِ الزاهد العارِفِ بالسياسات والمُطَّلِعِ على مَطامِعِ الاعداء وِدسائِسِهِم، والقادر على أن يَقِفَ أمامهم وأمامَ أهدافِهِم الشيطانية،

١-٢ الكافي ١ / ٤٦.

٢ - التهذيب ٦ / ٣١٩.

لكي يعودَ الى الاسلام عزّه، والى المسلمين كيأنهم وثوراتهم ودينهم وحريرتهم؛ ولكي لا تُتلفَ قيمُ الاسلام والمسلمين، ولكي يُصانَ ايمانُ شبابنا ويُحصنَ ضدَّ الوقوعِ في شَرِكِ المادية والالحاد؛ ولكي تجدَ الأمةُ المسلمةُ موقلاً تلوذُ اليه، عن التيارات اللانسانية، من جانب الامبريالية المسيحية، والجنائيات والخيانات الصهيونية. وكلُّ ما قلناه، يُؤيِّده ويؤكِّده، بل يُوجِبُه العقلُ والاعتبار، والفترة السليمة والنقلُ الموثق - كما سلف^١.

٩ - الزعامة

ومن المسائل المصيرية الهامة - التي يجبُ أن تنتبهَ لها مجتمعاتنا - هي أنَّ بقاءَ المُثلِ الشيعية، والحقائق الدينية العالية، واستقلالِ الاقاليم

١- ربما يُناقشنا القارئ - عند ذكر هذه المواصفات - بالتحيز، او الإلماح الى التعيين المصادقي لها؛ مع أنَّ هذا امرٌ خارجٌ عن خُطَّةِ المؤلفين، فإنَّ على أيِّ مؤلِّفٍ أن يكتبَ ما يفهمه عن موضوعه، بروحِ الملاحظةِ والموضوعيةِ والامانةِ والصدق - والرأئدُ لا يكذب - ونحنُ لانرومُ أن نخرجَ من هذه الخُطَّةِ، بل نطرحُ ما نفهمه عن المواصفات التي يجب أن تكونَ فيمن يقومُ بامرِ المجتمعِ الاسلامي كخليفةٍ للاوصياء «ع». واما تعيينُ المصداقِ فهو امرٌ لاسبيلِ اليه الا في ظروفِ الواقعِ والتجارب.

ولقد يصعبُ الامرُ علينا في المقام - بصورةٍ خاصةٍ - لثلاثةِ امور؛ وهي إننا نقيم - تبعاً لتعاليم القرآن وحامله - وزناً كبيراً:

أ - لتجسيدِ العدالةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والمعيشيةِ (القسطِ القرآني)، ونراها من اهم غاياتِ حضورِ الدينِ في المجتمعِ الانساني - كما اشرنا اليه مراراً.

ب - لشجْبِ التكاثرِ والإترافِ والاسراف.

ج - لِرَفْضِ التَّخَلُّفِ والرَّجْعِيَّةِ وتبنيِّ العصريةِ والتقدم، وفهمِ «الحياة الحديثة» و«الانسان الحديث».

ونطلبُ من القراءِ الاعزاء، أن لا تفوتهم اشاراتنا هنا وهناك وأن يُراجعوا الامور الخمسة التي جاءت في الاشارة التي ستاتي في مُنتهى هذه النظرة، وأن يُمعنوا النظرَ فيها، حتى يَقفوا على مقاصدنا الانسانية والاسلامية، من التأكيد على هذه النزعة والاتجاه.

نظرة الى الباب

الاسلامية، انما هو منوطٌ بزعامةٍ دينيةٍ نابهةٍ صامدة؛ فإن الامراء والحكام والرؤساء الذين يظهرون في الاسلام، لا يقومون بحفظ الدين. وما يرى منهم في هذا المجال، انما هو أمرٌ سطحيٌ وقتيٌ يمتُّ بسياساتهم وتمويهاتهم على الجماهير؛ فلا صائنٌ للشيعة والتشيع الا العالم الرباني القائد.

ومن المعلوم أن هذه الصيانة، بأبعادها السياسية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدفاعية، لا يمكن القيام بها الا بنظامٍ اداريٍّ كاملٍ ومؤسساتٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ وسياسيةٍ ودفاعيةٍ. ومن أهم مقومات هذا النظام والتوفيق لتحقيقه، هو الوحدة في الزعامة والرئاسة. ومن هنا يجب على الفقهاء كافةً، أن يذكروا الله واليوم الآخر، وأن يخلوا الجوَّ ويمهدوا السبيلَ لمن هو الأرجح والأقدر والامثل؛ لأن تعدد الزعماء والذين يتصدون لهذا المقام، يوجبُ فشلَ الأمة، وهدمَ الاسلام، من جهة تأثيره في تشتيتِ القدرة المركزية الدينية، وتكثيرِ الصفوف، وتفريقِ الاتجاهات.

ولأن نؤكد على هذا الاصل المصيري، ونلقي عليه ضوءاً أكثر من ذي قبل، نوردُ حديثاً عن المعصوم. وما ننقله الآن وإن كان قد صدر في أمرِ الامامة، غير أنه ينطبقُ على مُشكلةِ الشيعة الاجتماعية (وكذلك أهل السنة، إن تبعوا علماءهم الثقات العُدول في المسائل السياسية والقيادية ورفضوا اطاعة غيرهم من المتسلطين، كما تفعل الشيعة الاثنا عشرية) في هذه الازمان، لأن المقصدَ صيانةَ دين الله، وازاحة العَراقيل عن طريقه الى التطبيق والبسط، فالمناطُ واحد. واليك الحديث:

الامام الرضا «ع» - فيما رواه فضل بن شاذان النيسابوري: .. فإن قيل: فلم لا

يجوزُ أن يكونَ في الارضِ امامانِ في وقتٍ واحدٍ أو أكثر من ذلك؟ قيل
لِعَلِّ منها: أن الواحدَ لا يختلفُ فعلُهُ وتديبُهُ، والإثنين لا يتفق فعلُهُما
وتديبُهُما. وذلك إننا لم نجد اثنين الا مُخْتَلَفِي الهِمَمِ والارادة، فاذا كانا
اثنين ثم اختلفت هِمْمُهُما وارانَتُهُما، وكانا كلاهما مفترَضِي الطاعة، لم يكن
أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه، فكان يكونُ في ذلك اختلافُ الخلق
والتشاجر والفساد. ثم لا يكونُ أحدٌ مطيعاً لأحدهما الا وهو عاصٍ للآخر،
فَتَعُمُّ المعصيةُ أهلَ الارض؛ ثم لا يكونُ لهم مع ذلك السبيلُ الى الطاعة
والايمان، ويكونون انما أُوتوا في ذلك من قبل الصّانع والذّي وضع لهم
بابَ الاختلاف وسبب التشاجر، اذ أمرهم باتّباعِ المُخْتَلَفِينَ.

ومنها: أنه لو كانا امامين، لكان لكلٍّ من الخصميين أن يدعوا الى غير
الذّي يدعو اليه الآخر في الحكومة، ثم لا يكونُ أحدهما أولى بأن يتّبع
صاحبه من الآخر، فتَبْطُلُ الحقوقُ والأحكامُ والحدودُ.
ومنها: أنه لا يكونُ واحدٌ من الحجتين أولى بالنظر والحكم والأمر
والنهي من الآخر. فإذا كان هذا كذلك، وجب عليهم أن يبتدئوا الكلامَ
وليس لأحدهما أن يسبقَ صاحبه بشيء، إذا كانا في الإمامة شرعاً واحداً، فإن
جازَ لأحدهما السكوت، جاز للآخر مثل ذلك. وإذا جاز لهما السكوتُ
بَطَلَتِ الحقوقُ والأحكامُ، وعُظِّلَتِ الحدودُ، و صار الناسُ كأنهم لا إمامَ
لهم^١.

تأمل في هذا الحديثِ الشريفِ بإمعانٍ، تجد فيه سرّاً اجتماعياً كبيراً
وقاعدةً سياسية هامة، لأنّ الامامَ لم يُنْطَقْ استدلّاله على المقصود بالعصمة،
بل أفرغهُ في قالبٍ عامٍّ ينطبقُ على الأُسُسِ الاجتماعية التي تفرُضُ

نظرة الى الباب

وحدة الزعامة. فتأمل في هذا التعليم الراقي والتوجيه الصامد، ثم اتَّخِذْ
لنفسك في هذه المسألة التي يتعلَّق كيانُ التشيع وبقاؤه بها موقفاً حاسماً
مرضياً عند الله، مفيداً لإعلاء كلمة الحق، ولا استمرارِ رسالاتِ الله على
الارض.

ومن المعلوم أنَّ الساسةَ يَسْعَوْنَ لتعدّدِ الزعماءِ الدينيين، ويروّجون
طائفةً من الفقهاء بهذه المناسبة، حتى لا يَسْتَقِرَّ الأمرُ على الواحدِ الأمثل،
فيصيرَ عقبةً في مَسِيرِ جنائياتهم وخياناتهم.

وهناك يبدو ذلك الواجبُ الاجتماعي الكبير، وهو السعيُّ لتوحيد
الكلمة، ووحدة الزعامة، فيجبُ على العلماء ان لا يتهاونوا في تحقيق هذا
الامر^١. ويجبُ على وعاظ الشيعة وخطبائهم وكتّابهم ودُعواتهم، أن
يوضحوا هذا الامرَ (الذي دعا اليه وأبانَ حكمته، الامام ابو الحسن علي بن
موسي الرضا «ع»^٢) لجميعِ الناس، حتى سَكَّانِ البوادي ورُعاة المَواشي.
ويجبُ على جميعِ الامة أن لا يُقلِّدوا الا الزعيمَ الواحدَ الواجدَ لجميعِ
مؤهلاتِ القيادة أو أكثرها، بالنسبة الى غيره^٣.

١ و ٢ و ٣ - تنبيهان:

الاول - لقد وَقَفْنَا بعد ذلك على حديثٍ رواه شيخنا المحدث الكبير، الحاج ميرزا حسين
النوري الطبرسي في «المستدرک» (٢ / ٣٢٢)، عن الامام جعفر بن محمد الصادق «ع»: «ما لكم
وللرئاسات، انما للمسلمين رأسٌ واحد». وهذا التعليم صريحٌ في شجبِ الرئاساتِ المتعدّدة
والتأكيد على «وحدة الزعامة» في المسلمين. وهذا يعمُّ الرئاساتِ كلّها، كما يدلُّ عليه ظاهر
السِّياق؛ وان التعليمَ الرضويّ الذي اوردناه في المتن، كان ينفي وجود رئيسين معصومين في وقتٍ
واحد، ويوضحُ علله. وانما اوردناه هنا لنوعٍ من المناط.

ففي ضوء التعليم الصادقي، يمكن التأكيد على «وحدة الزعامة» بصورة باتّة؛ غير ان الامر في
غير المعصوم لا يمكن ان يُصارَ اليه بشكلٍ مطلق، لثلاثِ تفوتِ مصالحِ الاسلام والمسلمين. فالحق
هنا ان نُفرّق بين «التشخيص» و«التنفيذ»؛ ففي المرحلة الاولى، يجب على زعيم المسلمين أن
يتعاطي الآراء ويضرب بعضها ببعضٍ حتى يتولّد منها الصواب، ويُشاوِرَ الرجالَ حتى يشارِكهم في

ورعايةُ الاصل المذكور، من جانب الطبقات المختلفة، توجبُ أن يجعلوا الزعامة بيد الأمثل، ويتخذوه زعيماً واحداً مطاعاً، ومقاماً مسؤولاً، وقائداً نافذ الكلمة، ومرجعاً دينياً صامداً، وعند ذلك يتوجهُ اليه أنظار الكل - على ما يسوق اليه الضميرُ الشيعي - فتتكونُ في البلاد زعامةٌ واحدةٌ مقتدرة، تعملُ على إعلاء الحق، وشجْبِ الجبايرة والطواغيت، وتدعو الى بسطِ العدل والاحسان، وتركيز العظمة والتقدم.

١٠ - ولاية الفقيه

عقولهم، ويستشير أصحاب العقولِ الرَّاجحة، ويستند في القضايا الخاصة الى نظراتِ لجانٍ اخصائية وخبراتها؛ فعليه ان لا يكون فوئياً مستبدّاً برأية الشَّخصي، حتى لا يُصبح مصداقاً لكلام الامام الصادق «ع»: «المستبدُّ برأيه موقوفٌ على مداخِصِ الزَّلَل» (سفينة البحار ١ / ٤٩٣). وزلَّله هذا لا يَتِمُّ على حساب نفسه فقط، بل يَتِمُّ على حسابِ الاسلام والمسلمين.

واما في المرحلة الثانية (مرحلة التنفيذ)، فعليه ان يبدى رأيه الحاسم - بعد ما اجتاز المرحلة الاولى بصورةٍ سالحةٍ مطمئنةٍ وجدّيةٍ - ويُقدِّم على انفاذه، حتى تَسِقَ الامور، وينتظم قوامُ المجتمع، وتُصان وحدةُ كلمة الجماهير ..

وبذلك يُجمَع بين العمل بالاصلين الهامين: اصل «وحدة الزعامة»، واصل «تَبَنِّي المشاورة»، والمشاركة في عقولِ الرجال والخبراء والأخصائيين والاستفادة منها، وعدم الركونِ الى «الرأي الشَّخصي الفردي» مما اشرنا اليه هنا وهناك، لاهميته الباتة.

الثاني - لقد دَمَّتِ التعاليمُ القرآنية والحديثية، الرئاسة والرغبة فيها، ذمّاً كثيراً يقترب من الهلاكِ الابدي، الا لمن يكون سالحاً لها واجداً لمؤهلاتها (راجع: سفينة البحار ١ / ٤٩٢). فيجبُ على كلِّ من يتصدى لها ان يكون على يقينٍ من انه حاز جانباً عظيماً من الصلاحية والاهلية والجدارة؛ و عليه ان يكون غير راغبٍ فيها ولا مبتهجٍ بها؛ وعليه ان يأخذ نفسه بالاخلاص والتواضع، وان يصون قلبه من وساوسها المضللة والمهلكة، وان لا يتهاون باصل «التشاور»، وان لا يغفل عن احوال الضعفاء والمحرومين، وان لا يتقاعس عن تطوراتِ الزمن ومُتطلباتِ العصور النسل، وان يلتزم بكلِّ ما يجبُ عليه في الرئاسة، من جليل الامور ودقيقها .. وهذه الامور ولزوم رعايتها تعمُ الرئاسات كلها، كبيرها وصغيرها .. (راجع ايضاً: «رسالة الحقوق»، للامام علي بن الحسين السجاد «ع» - تحف العقول / ١٨٤ - ١٩٥).

نظرة الى الباب

لقد اتَّضَحَ للقارئِ الى الآن، أنَّ العالمَ القائمَ بأمرِ القيادة والزعامة هو الذي تكتنِّفه الوظائف والمسؤوليات من نواحٍ عديدة، لأنَّه هو المُثَلُّ لنظام النبوات في هذه الازمان. وهذا النظام هو الرسالة الالهية التي انتهت الى نبينا الاكرم «ص»، ثم الى الائمة الطاهرين «ع»، ثم الى العلماء الربانيين. فالزعيم الذي يُريد أن يقومَ بواجبات تلك الرسالة، تعليماً وتطبيقاً، يجبُ عليه قبلَ كلِّ شيءٍ، أن يقومَ بانشاء حكومةٍ مُتمتعةٍ بالقدرة والانطلاق، لكي يتسنى له تعليم دين الله على وجهه، وتطبيقه على نهجه. اذ من الواقع المعلوم أنه يوجدُ في كل عصر جابرةٌ يُحادونَ دينَ الله، ويصدون عن سبيل الله. وبخاصة ان الدين الحق يدعو الى الحرية والعزة، وهم لا يُريدون للناس الا الاستعبادَ والذل، فلهذا يمنعون المجتمعَ عن تبني الدين، بشتى الوسائل الممكنة ممَّا بأيديهم من القدرة والدعاية والتوجيه.

فمن يدعو الناس الى رفض العبودية والاستثمار، وتبني الدين والجري على مقتضى ارشاداته، لا بدَّ من أن يقومَ بازاحة العراقيل عن هذا السبيل. وهذا أمرٌ لا يُتاح الا بالقدرة والمنعة. فلا ملاذٌ للامة الا العالمُ العادل النابهُ الحكيم السياسي الزاهد المدبر الشجاع الزعيم القائد. وعلى هذا الزعيم أن يقومَ بدوره في انشاء القدرة الدينية والحكومة الاسلامية، والتمهيد لذلك بتوعية المجتمع، وايقاظ الافكار، وتقوية القلوب، وارسال الدعاة والخطباء و.. ثم يقومَ بواجبه الموروث من الانبياء من اقامة الأمتِ والعوج، واحياء معالم الدين، ونشر حقائق القرآن، وتطبيق أحكام الاسلام، ونشر العدالة الاجتماعية^١، ودعم أُسس المساواة^٢، وقطع ايدي الخونة والعملاء، والوقوف بجانب المستضعفين والمحرومين من حقوقهم^٣، واسترداد تلك الحقوق، والدفاع عن

١ و ٢ و ٣ - نوكد على هذه المواضع بصورة حاسمة:

المظلومين والمضطهدين، والمحاربة لبثّ المُثل العليا، والقيام لتصحيح بصائر الشعب، وتهذيب الافكار، وتطهير الزمان، وتأيد الجانب الحق في كل أمر فرديّ أو اجتماعي، وتربية الناشئة على أُسسٍ اسلاميةٍ .. الى غير ذلك، مما يرجع الى بسط الحق، وتفهم الدين، ونشر السعادة، وتحسين مصائر العيش، وتضمين الرحمة والعدالة والسلام.

ونُشير في ختام هذا البحث، الى كتاب هامّ، قلّمَا أُلّف مثله - فيما كتبه الفقهاء - نظراً الى أجوائه الحيّة، وارشاداته المنبّهة، وتعاليمه الموقظة، وتوعيته السياسيّة، واتجاهاته الصّامدة. الا! وهو كتاب «ولاية الفقيه»، أو «الحكومة الاسلاميّة»^١، للامام الخميني، من دروسه التي القاها قبل سنين. وهذا الكتاب يجب ان يُتدارس في حوزات المسلمين العلميّة، بل وفي المجالس العامّة والمساجد والتكايا، ويجب ان تُوضّح مفاهيمه لكل فردٍ من افراد الامة^٢.

أ - «نشر العدالة الاجتماعية».

ب - «دعم أُسس المساواة».

ج - «الوقوف الفعليّ بجانب المستضعفين والمحرومين من حقوقهم ..».

وانّ هذه الامور الهامة في بناء المجتمع الاسلامي، تُشكّل قسماً عظيماً من اهداف الحكومة الاسلامية وتجسيد «ولاية الفقيه». اذ غاية الغايات الاجتماعية للدين هي ان يقوم الناس بالقسط؛ ولا قسط بدون العدالة الاقتصادية والمالية والمعيشية. وانّ القرآن والحديث يدعوان الى تطبيق هذه الامور بجدّ وتأكيّد حاسمين. فليكن القراء على انتباه من ان التأكيد على هذه المسائل والبحوث والتأليف والتحقيق فيها، لا يكون التطبيق هذه الاصول وتوعية الجماهير بالنسبة اليها. والتكليف الديني لا يقتضي الأهدا ..

١ - من المؤسف عميقاً، أنّ المواضيع المطروحة في هذا الكتاب، لم تجد طريقاً الى التجسيد!
٢ - يفيد بهذا الصدد، الرجوع الى هذه الكتب ايضاً:

١ - في انتظار الامام: لعبد الهادي الفضلي.

٢ - من الفقه السياسي في الاسلام: لمحمد جعفر الظالمي.

٣ - القيادة الاسلامية في الفلسفة والتشريع: لحواد كاظم.

اشارة هامة

رأينا من اللازم في ختام هذا الفصل أن نشير الى امور خمسة :

١ - لقد أكدنا في الفصول الماضية (كما لاحظها القراء الكرام)، تبعاً للتعاليم الاسلامية، على أن علماء الدين هم الذين يخلّفون الانبياء والاصياء ويتابعون سيرتهم؛ فعلى هذا يجب ان تكون سيرتهم الشخصية واتجاههم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والسلوكي، مطابقة لسيرة الانبياء والاصياء الشخصية واتجاههم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والسلوكي.

وهذا اصل لو اغمضنا النظر عنه وهجرناه، لا يبقى دليل على لزوم اتباع العالم الديني. والذي جاء في التعاليم والاحاديث يرشد الى هذا الاتجاه ايضاً، لأن النبي «ص» والائمة الطاهرين «ع» قد أرجعوا الناس الى العلماء العاملين الملتزمين النابهين، الى ثلثة علمت معارفهم واخلاقهم وسننهم واحكامهم والتزمت بها وتخلقت بتلك الاخلاق وعملت بتلك السنن والاحكام. والتعريف الذي جاء به العلامة المجلسي للفقهاء، يشمل ايضاً هذا النوع من العلماء ولا يعدوهم^١.

ففي هذا الضوء، يجب ان تكون روح تعاليم الانبياء والاصياء وجوهرها، متجلية في افكار هؤلاء العلماء وفي معتقداتهم وفتاواهم واتجاهاتهم وسلوكهم. وتلك الروح - وهي دين الله ولبه - هي الدعوة الى توحيد الله تعالى، واقامة القسط وتركيز العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

فعلى هذا الاساس، فكل حكم، او فكرة، او تلق، او فتوى، او سلوك، يكون عقبة في سبيل الهدف المذكور (التوحيد والعدل) وبسطه في

النَّاسِ، او يوجبُ ضعفه واهماله، وَيَعُضُدُ جانبَ الاثرياء والاقوياء (الذين هم العقباتُ في سبيلِ العدالة وتجسيدها)، فهو لا يكون اسلامياً قرانياً بوجهٍ من الوجوه. ولا يَسَعُ لايِّ اسمٍ او عنوانٍ او تشبُّثٍ ان يُلصَقَ هذه الامور و الاتجاهاتِ الزائفةَ بالدينِ الالهيِّ.

ولقد مرَّتِ الآياتُ القرآنيةُ والاحاديثُ التي تُبينُ «الاصولَ العامَّةَ لرسالاتِ الانبياء»، في البابِ الخامس. وانَّ هذه الاصولَ قد جاءت في القرآن الكريم بصورةٍ اجلى وَاكَّد. فكلُّ حكمٍ دينيٍّ، يجبُ ان يكون مُتَّجِهاً نحو هذه الاصول، وان تكونَ هذه الاصولُ سائدةً فيه. وبكلامٍ آخر: انَّ المقياسَ في كونِ ايِّ حكمٍ دينياً والهيّاً، هو مطابقته للاصول العامَّة المذكورة وللدعوة القرآنية المعلومة، وهي قيامُ الناس بالقسط (لِيُقومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) ، وتركيزُ العدالة الاجتماعية في المجتمع الانساني كله. وهذه الاصولُ يجبُ ان تكونَ حاکمةً على كلِّ الاصولِ الأخرِ والفروع والامورِ كُلِّها، كليها وجزئها.

ومن المعلومِ الواضح، انَّ القسمَ الرَّئيسيَّ والاعظمَ من العدالة وتطبيقها، انما يَرجعُ الى الامورِ الماليَّة و الاقتصادية، حتى انَّ العدلَ القضائيَّ ايضاً يُمْتُ الى العدلِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ بوشيحِ صلة؛ فيجبُ ان يكونَ اقتصادُ المجتمع وحركةُ المال فيه وتوزيعُ المُؤنِ والارزاقِ وسائرِ الادواتِ الحياتية بينَ الناس بصورةٍ تَعكسُ انَّ هذا المجتمعَ مجتمعٌ اسلاميٌّ قرآنيٌّ، مجتمعٌ محمديٌّ جعفريٌّ، لا مجتمعٌ فرعونيٌّ وطاغوتيٌّ. فبناءً على ماضى، كلُّ حكمٍ او نظريةٍ او فتوى تحوّل دونَ تطبيقِ هذه الغاية - وهي غايةُ الدينِ الاصلية - لا يُمكنُ ان تكونَ حكمَ الله وحكمِ الاسلام. وانَّ الفُروقَ الباطنة في المعيشة والغنى والتمول والرِّفاه،

تضادُ مبدأ «القسط» فتضادُ سيرة الأنبياء وروحياتهم و تشجُبُ الأخوية التي جاء بها القرآن الكريم، وتناقضُ وصايا أكيدة جاءت من قِبَلِ النبي «ص» والأئمة المعصومين «ع»، بصدد تجسيدِ المؤاساة والمساواة مع المؤمنين والاهتمام بامور الآخرين. فليس من السائغِ أن نُبرّرَ تلكَ الفروقَ في المجتمع باسم الدين او الملكية وقداسيتها، وأن:

نُلغِي احكامَ الانبياء والاصياء؛

ونُخِيطَ آمالَ الشباب (الذين بيدهم صنُعُ المستقبل و بناؤه) بالاسلام وقدرته على تطوير المجتمع واقامة القسط واسترداد الحقوق ومكافحة الظلم والعدوان الاقتصادي؛

ونُخِيبَ رجاءَ كثيرٍ من المفكرين والمصلحين والثوارِ والحقوقيين، الذين يترقبون إنجازاتنا؛

وأن نُذيقَ المستضعفين والمحرومين (الذين يتطلعون الى الحركات الاسلامية برجاءٍ وامل)، كاسَ الخيبة واليأس..

اجلٍ، يجب علينا أن لا نفعل كل ذلك، بل علينا أن نُعلنَ أن الدين هكذا يقول ويحتم:

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: إنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا، وَلَا احْتَا جُوا، وَلَا جَا عُوا، وَلَا عَرُوا، إِلَّا بِذُنُوبِ الْاَغْنِيَاءِ^٢.
- ٢ الامام الصادق «ع»: .. يَا ابْنَ جُنْدَبَ، بَلِّغْ مَعَاشَرَ شِيعَتِنَا وَقُلْ لَهُمْ: لَا تَذَهَبَنَّ

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٠.

٢ - الوسائل ٤ / ٦.

بكم المذاهب، فوالله لا تُنال ولا يُتنا إلا بالورع، والاجتهاد في الدنيا،
ومواساة الإخوان في الله؛ وليس من شيعتنا من يظلم الناس^١.

٣ الامام الصادق «ع»: «إمتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف
محافظة عليهم عليها؟ وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا؟ وعند
أموالهم كيف مواساتهم لأخوانهم فيها؟^٢.

٢ - لقد مرّ في الباب الخامس، أنّ مخالطة الأنبياء ونبى الإسلام
وصحبتهم وقعودهم وقيامهم كانت مع الفقراء والمساكين وأفراد الطبقات
المستضعفة من الناس («معكم المحيا ومعكم الحيات» - كلام قاله
النبي «ص» لجمع من مساكين المدينة^٣). وأنّ شجب الفقرو إزالته يُوجب
بالضرورة أن ينضمّ المصلحون والرؤاد والعلماء إلى المحرومين والفقراء
وأن يعيشوا معهم، حتى يكونوا على ارتباط بمعاناتهم، وحتى يزدروا بتلك
المُعاشاة الجانب المقابل و يقضوا عليه، يعني عيش المتكاثرين
والمترفين وحياتهم.

وهذه السيرة يجب أن نُشاهدّها في علماء الدين بوجه خاصٍ
ومستمرّ. إنّ مخالطة الأغنياء وصحبتهم تُميت القلب - كما ورد في
الاحاديث^٤ - وتصدّ الإنسان عن ذكر المحرومين والاقتراب منهم
والالتحام مع صفوفهم، فيجب على العلماء أن يُخالطوا المحرومين
والمساكين لكي يلمسوا آلامهم باليد، ويعزّموا على استرداد حقوقهم بجدّ
وصمود.

١ - تحف العقول / ٢٢٣.

٢ - الخصال / ١٠٣.

٣ - البحار / ٧٢ / ٢.

٤ - راجع: ما مرّ في الفقرة ٢، من هذه النظرة.

نظرة الى الباب

وَلْيَكُنْ عَلَى ذِكْرِنَا أَنَّ الْكَوْنَ مَعَ الْمُحْرَمِينَ وَالْإِنْضَامَ إِلَيْهِمْ، يَجِبُ أَنْ لَا يَنْحَصِرَ فِي الْكَلَامِ وَالشَّعَارِ، أَوْ الْمَخَالَطَةِ الْبَسِيطَةِ حِينًا وَتَرْكِهَا أحيانًا (وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ)، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا فِي جَمِيعِ الشُّوْنِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَفِي كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِالْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، سَائِدًا فِي جَمِيعِهَا: فِي التَّشْرِيعِ، فِي الْبَرْمَجَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، فِي الْقَضَاءِ، فِي التَّوْزِيعِ، فِي الْاِسْتِهْلَاكِ، فِي السُّكْنَى، فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ، فِي الصُّحَّةِ ..

٣ - لَا يَصْلَحُ كُلُّ عَالِمٍ لِلزَّعَامَةِ الدِّينِيَّةِ وَلتَطْوِيرِ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، الْإِمَانُ كَانَ مُتَوَفَّرًا عَلَى مَعْرِفَةِ الزَّمَانِ بِمَا فِيهِ. وَلَقَدْ أَشْرْنَا - فِيمَا سَلَفَ - إِلَى أَهْمِيَّةِ الْوَعْيِ وَالإِتْبَاهِ لِلْعَالِمِ الدِّينِيِّ. وَالْآنَ تُوكِّدُ عَلَى هَذَا الْاَصْلِ أَيْضًا؛ وَهُوَ أَنَّ الْعَالِمَ الدِّينِيِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوْعِبًا لِجَمِيعِ أِبْعَادِ الْإِسْلَامِ، وَاعِيًا لِلْقَضَايَا الْبَشَرِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ وَالْمَسَائِلَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ الْحَدِيثَةَ^١ (وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ مَصَادِقِ «الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ» فِي هَذِهِ الْحَقَبِ^٢)، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَصَلَ الْمَجْتَمَعَ إِلَى تِلْكَ السَّعَادَةِ الَّتِي يَسْتَهْدِفُهَا الدِّينُ، وَلَا يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يُطَبَّقَ هَذَا التَّخْطِيطَ الْإِلَهِيَّ: «لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَالِمَ الدِّينِيِّ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْوَاقِعَ الْاِقْتِصَادِيَّ وَمَا يُؤْتِيهِ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَيْلُ الْمُسْرِينِ، وَأَنْخَدَعَ بِتَأْدِيتِهِمْ بَعْضَ النَّفَقَاتِ، يَغْفُلُ عَمَّا يَقَعُ هُنَاكَ مِنْ مَظَالِمٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ وَأَنْحِرَافَاتٍ مَالِيَّةٍ، فَلَا يُفْلِحُ فِي الْقَضَاءِ

١ - مِنَ الْبَعِيدِ جَدًّا أَنْ يَسْتَوْعِبَ فَرْدٌ وَاحِدٌ جَمِيعَ أِبْعَادِ الْإِسْلَامِ، وَيَعِي قَضَايَا الْبَشَرِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَالْمَسَائِلَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ الْحَدِيثَةَ، لِأَجْلِ ذَلِكَ فَالْإِنْسَابُ وَالْاِصْلَاحُ - بَلِ الْوَاجِبُ الْإِلْزَامُ - أَنْ يَكُونَ لِلزَّعِيمِ الدِّينِيِّ لِحَاثِ أَخْصَانِيَّةٍ فِي الْمَسَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَنْ يَشَاوِرَهَا هُوَ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ، بِصُورَةٍ جَدِيَّةٍ، حَتَّى لَا يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى فِشْلِ الزَّعَامَةِ، وَوَهْنِ الْحَقِّ، وَتَخَلُّفِ الْأُمَّةِ، وَخُسْرَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَجَاحِ اِعْدَاءِ الدِّينِ. رَاجِعْ أَيْضًا: الْأَمْرُ «٤»، مِنْ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ.

٢ - نُشِيرُ فِي الْأَمْرِ «٥» مِنْ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ إِلَى أَنْ شَجِبَ الطَّوَاغِيتُ الْاِقْتِصَادِيَّةِينَ كَانُوا فِي مَقَدِّمِ أَعْمَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَرَأْسِ بَرَامِجِهِمْ، وَأَنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْكَرِيمَةَ مَشْحُونَةٌ بِذِكْرِ أَمْثَلَةٍ حَيَّةٍ مِنْهُ.

على الطّاعوت الاقتصاديّة واقامة القسط في الجماهير، مع أنّ اقامة القسط هو الاصلُ الرّئيسيُّ الذي جاء به الدين والقرآن. وإنّ كثيراً مما يُقال بحقّ علماء الدين واهميّة اتّباعهم، يرجع الى هذا الاصل وتطبيقه، الذي هو روحُ الرّعاية ودعامتها الاجتماعيّة وبه يُقام الحقُّ ويُصلحُ المجتمع؛ والّا فإنّ ما يقومُ به البعضُ من البحثِ العلميّ والتدريس، او التحفّظ على عدّةٍ من الظواهر الشّرعيّة، او الاقتناع بشيءٍ من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة سطحيّة وما شاكل ذلك، فإنّ هذه كلّها ليست اموراً يُتكلّمُ عنها بهذا النحو، وليست مقاصد اصليّة للتأكيدات البالغة التي جاءت بصدد إرجاع الناس الى العلماء لاقامة دين الله الحنيف، وعدل الله العظيم^١.

وما جئنا به في «نظرنا الى الباب»، من التأكيد على لزوم انتباه

١ - إنّ الحكمة الاصلية للزعامة الدينية واقامتها وتبنيها، هي تطبيق اصلين: التربية والسياسة (ولقد جاءت في وصف ائمتنا الهداة اوصياء النبي «ص» تعبير كهذه: «خزان العلم»، «حاملة كتاب الله»، «الدعاة الى الله»، «اهل الذكر»، «بقية الله .. وعيبة علمه وحجته ونوره وبرهانه»؛ وهذه التعبيرات وامثالها تصرّح بموقفهم التربوي والتعليمي. وجاءت تعبير كهذه: «ساسة العباد»، «اركان البلاد»، «المظهرين لامر الله ونهيه»، «القادة الهداة»، «القوامون بامره»، «اعلاماً لعباده»، و«مناراً في بلائه»؛ وهذه التعبيرات تصرّح بموقفهم السياسي والاداري. فعلى نوابهم ايضاً أن يكونوا كذلك، في حدّهم النيابي. والتربية - وهي «صنع الفرد وثقيفه في حال صلته بالمجتمع» - تتوقّف على بثّ العقائد الحقّة والآداب والاحكام الاسلامية وتدريب الفرد عليها. والسياسة - وهي «صنع المجتمع وثقيفه في حال صلته بالافراد» - تتوقّف على تطبيق العدل والقسط.

وهنا يجب ان يُعلّم أنّ للاصل الثاني (تجسيد العدل والقسط)، دوراً هاماً، في تطبيق الاصل الاول (تجسيد احكام الله ودينه وتربية الناس عليها)، بل ان تطبيق الاصل الاول يتوقّف على تطبيق الاصل الثاني؛ ولذلك يعدّ القرآن الكريم قيام الناس بالقسط، غاية الغايات الاجتماعيّة لبعثة الانبياء «ع»؛ ولذلك يُنادي الامام عليّ بن ابي طالب «ع»: «العدل حياة الاحكام» (غرر الحكم / ٣٠). فلاحياة واقعية لاحكام الدين الا بالعدل الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي والقضائي وما الي ذلك. هذا هو منهاج دين الله؛ فليكن منهاجاً لكل زعامة او مجتمع او حكم تدعي الاسلاميّة، وتنتمي اليها، وتهتفُ بها، والّا فلا ..

نظرة الى الباب

النَّاسِ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْعَالَمِ وَاصْطِفَاءِ الرَّعِيْمِ الدِّينِيِّ، وَاهْمِيَّةِ «وَحْدَةِ الرَّعَامَةِ الدِّينِيَّةِ»، وَمَا قَلَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْجَبَابِرَةَ وَالْمُسْتَبِدِّينَ يَسْتَعْبِدُونَ النَّاسَ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ الَّذِينَ يُحَرِّرُونَهُمْ (كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا يَضَعُونَ عَنِ النَّاسِ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ يُحَدِّدُ لَنَا الْمَقْصُودَ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ، فِي مُوَاصَفَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، مِنْ وَعِيهِ، وَاتِّبَاهِهِ، وَنَظَرِيَّتِهِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَسِعَةِ افِقِهِ، وَفَهْمِهِ لِلْإِنْسَانِ وَالْمَجْتَمَعِ وَالْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ.

فِي هَذَا الضَّوِّءِ، لَنَا أَمَلٌ أَكِيدُ فِي أَنْ يَنْتَبِهَ الْقُرَّاءُ لِمَقَاصِدِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، مِمَّا جَنَّبْنَاهُ فِي النَّظَرَةِ إِلَى هَذَا الْبَابِ وَيَفْطُنُوا لَهَا، وَأَنْ يُحْسِنُوا الظَّنَّ بِنَا فَلَا يَحْسَبُوا أَنَّ الْمَوَاضِيْعَ وَالتَّأَكِيدَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي فِقْرَاتِ النَّظَرَةِ إِنَّمَا هِيَ تَحْيِيزَاتٌ غَيْرَ مَوْضُوعِيَّةٍ لِاتِّوَاكُبِ الْهَدَفِ الْإِصْلَاحِيِّ؛ لِأَنَّالْمَ نَسْتَهْدِفُ بِهَا إِلَّا إِضْاحَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى تَجْسِيدِ أَهْدَافِ دِينِ اللَّهِ فِي آفَاقِهِ، وَعَدْلِ اللَّهِ فِي أِبْعَادِهِ، لِنَجَاةِ الْإِنْسَانِ وَإِسْعَادِهِ؛ فَكُلُّ مَا كَانَ خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَكُونُ، فَلَيْسَ مِنَ الْكَلَامِ وَالتَّأَكِيدِ فِي شَيْءٍ.

٤ - لَيْسَ مِنَ السَّائِعِ أَنْ نَعُدَّ الرَّعَامَةَ أَمْرًا بَسِيْطًا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَصِلَاتِهِ الْمُعَقَّدَةَ، كَمَا تُلْقَى التَّجَارِبُ الضَّوِّءِ عَلَيْهِ أَيْضًا. مِنْ هُنَا، يُصْبِحُ مِنَ الْوَاجِبِ الْمَحْتَمِ عَلَى حُوزَةِ الرَّعَامَةِ الدِّينِيَّةِ أَنْ تَكُونَ مَعْتَمِدَةً، فِي كُلِّ أَمْرٍ وَمَوْضُوعٍ، عَلَى لِجَانِ اسْتِشَارِيَّةٍ، وَمُسْتَنِدَةٍ إِلَيْهَا وَمُتَقَوِّئَةً بِهَا.

وَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ اللَّجَانُ - مُضَافًا إِلَى اخْتِصَاصَاتِهَا وَخُبْرَاتِهَا الْمَوْضُوعِيَّةِ - مَتَّصِفَةً بِصِفَاتٍ تُؤَهِّلُهَا لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْخَطِيرِ، الَّذِي يُمُتُّ إِلَى حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَكِيَانِهِمُ الْعَالَمِيِّ.

وَمِنْ الْمُؤَلَّفَاتِ لِلنَّظَرِ أَنَا نَشَاهِدُ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا «ع» قَدْ عَهَدَ - فِيمَا عَهَدَ - إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ، قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا، بِ«الْإِكْتِثَارِ مِنْ مُدَارَسَةِ

العلماء والمُطلّعين، ومنافئة الحكماء وذوي الخبرات في تثبيت ما صلح عليه امرُ بلاده، واقامة ما استقام به الناس قبله»^١. ويطلبُ منه - في العهد - «أن يجتنب من الإعجابِ بنفسه، والثقة بما يعجبه منها»^٢.

وإذا كانتِ الحالةُ هذه في القرونِ الغابرة، مع بساطة الحياة والادارة فيها، فوجوبُ ذلك في عالمنا المعاصر يكون اوضحَ وأكثرَ. وهذه مسائلُ هامةٌ مصيريةٌ نكتفي هنا بهذه الاشارة اليها.

٥- ان مشكلة الانسان العظمى، عبر تاريخه الطويل، كانت هي الظلم الاقتصادي، لا الظلم السياسي والاجتماعي؛ وإن هذين الظلمين كانا تابعين لذلك الظلم وعميلين له (كما أن الامر كذلك في حياتنا المعاصرة ايضاً)؛ و أن القرآن الكريم انما قام بذلك الكفاح الرّحب المعمق ضد المتكاثرين والتكاثر والمترفين والاتراف والمسرّفين والاسراف، لكي يوقف الناس على ذلك الخطر العظيم بأبعاده، ويلفت انظارهم الى ضرورة محاربتة.

ففي هذا الضوء، يجبُ على علماء الاسلام، الذين يعمدون لتحكيم أسس الدين الالهي، وانقاذ المجتمع البشري، وتطوير حياة المسلمين على اساس الاحكام الاسلامية، وصون الناشئة من الضلال والانحراف، وسوق الجماهير الى اتباع الحق والفضيلة، أن يصطفوا دائماً في جبهة الدفاع عن المحرومين والمستضعفين وجقوقهم المسلوّبة، وأن يقتدوا بالانبياء في شجب الجبابة الاقتصادية والظواغيت المالىين - مثل الجبابة السياسيين - وأن يكافحهم لكي يستردوا حقوق المحرومين ويُخرجوها من حلقوم اولئك الغاصبين ويرُدوها الى اهلها المحتاجين؛ ولكي تتمكن الجماهير المضطهدة والمنسيةُ بذلك أن تُقيم الدين ومناسكه

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠٠١؛ عبده ٣ / ٩٩ و نهج البلاغة / ١٠٣٠؛ عبده ٣ / ١١٩.

نظرة الى الباب

وتُؤدِّي فرائضَ الله تعالى، من الصَّلَاةِ والصَّوْمِ وسائرِ الاحكام، بصورةٍ صحيحة، وأن تُربِّي ناشتتها - بعد النِّجاة من مخالِبِ الفقر - تربيةً يَرْضَى عنها الله والرَّسول.

لو كان الانبياءُ «ع» مأمورين من عند الله تعالى، لتعليم العبادَةِ وإيقافِ النَّاسِ على المَناسِكِ الشَّرعيةِ العباديةِ فقط، لما قاموا بتلك الثَّوارتِ والحُرُوبِ العظيمةِ والدَّاميةِ، ولما قالَ القرآنُ الكريم: «وَكَايْنُ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ»^١. وإنَّ هذه الحُرُوبَ لم تكن مقصورةً على الحربِ ضَدَّ الطَّوغيَةِ الماليينِ ايضاً، الَّذين كانوا نفسَ الطَّواغيَةِ السياسيينِ، او من مُؤازريهِم الَّذين يَحفظون عُروشَ اولئك الجبابرةِ صوناً لِمنا فَعهم ودُخولهم، ويؤيِّدون تلك الحُكوماتِ الجائرةَ حتَّى يُتاحَ لهم في ظلِّها ايُّ عدوانٍ وامْتِصاص.

فعلى علماء الدين، الَّذين يَخلفون الانبياءَ والاصياءَ - ان كانوا اخلافَ صدقٍ ملتزمين - ان يقوموا بهذا الواجبِ المصيريِّ الكبيرِ، يعني مجابَهةِ الاغنياءِ والمتكاثرينِ والمُترفينِ مجابَهةً رحيمةً تغييريَّةً، فانَّ هؤلاء هم الَّذين قال عنهم الامام جعفر الصَّادق «ع»: «انَّ النَّاسَ ما افْتَقَرُوا، ولا اَحْتاجُوا، ولا جاعُوا، ولا عَرُوا، اِلَّا بذنوبِ الاغنياءِ..»^٢. وقال عنهم الامامُ ابو محمَّدٍ العسكريِّ: «اغنياؤهم يَسْرِقون زادَ الفقراءِ»^٣.

اجل، انَّ عليهم «ان لا يُقارَّوا على كِظَّةِ ظالمٍ ولا سَعْبِ مظلوم»^٤. حتَّى يَسْتَنقِدُوا حقوقَ المحرومينِ واموالهم وارزاقهم ويردِّوها اليهم، ويَضْمَنُوا بذلك بقاءَ دينِ الله، الَّذي يقوم على سواعدِ المحرومينِ ودماءِ ابنائهم الشَّهداء.

فالغرضِ الاصلِي من هذه البحوثِ والتعاليمِ وجمعها وعرضها، هو قيامُ دينِ الله في النَّاسِ، وانقاذِ الانسانِ المُضطهدِ المحرومِ، وخصوصاً في عصرِ «الغيبية»، الَّذي تَيَمَّتِ البشريَّةُ فيه، حيثَ فَقَدَتْ اباها الرُّوحي

ومربيها اللائق المعصوم ..

ومن المعلوم أن أصول دين الله الاصلية، هي في العقيدة، التوحيد؛ وفي العمل الفردي، الصلاة؛ وفي العمل السياسي، الولاية؛ وفي العمل الاجتماعي (وُضِعَ المجتمع وبنائه)، العدل. وسائر العقائد والأعمال تابعة لهذه الأصول:

١ - التوحيد،

٢ - الصلاة،

٣ - الولاية،

٤ - العدل.

فليكن الهدف الاصيلي: بناء مجتمع مؤمن موحد، مُقيم للصلاة، تابع للحكم الحق، مُقيم للقسط والعدل..

ولقد بحثنا عن «ولاية الفقيه» في هذا الباب، تبيناً لفلسفة الإسلام السياسية وتكميلاً لها، فيما يرجع إلى «القياء الدينية»، في عصور «الغيبية». غير أن التجارب الفعلية أوقفنا على مسائل هامة تتعلق بتجسيد الأمر، من جهة أشخاص الفقهاء وقابلياتهم، وما يتبنونه من منهج في الفحص والتمييز والتطبيق، وما يؤول إلى وعي الزمن والعصرية، والوقوف على الثقافات، والنجوع بالواقعية، والاهتمام بالاستشارة والاحتراز عن التفرد بالرأي والتحميس، وخصوصاً في القضايا الأخصائية والمعقدة.. وهي كثيرة - وهناك معضلة أخرى هامة ومصرية، من جهة الذين يقترَبون إلى الفقيه الزعيم، أو يقترَب هو منهم، في صلات مختلفة، وما يقع هناك من التأثير والتوجيه. ولعل الخوض في هذه المسائل وما يمت إليها بوشيح صلة، يطلب مجالاً آخر، فدعُه لذلك المجال، إن دامت «الحياة»، ووافقتنا الفرص، وساعدنا التوفيق.

البَابُ التَّاسِعُ

الفصل الاول

الحكم الديني الالهي

الكتاب

- ١ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق، لتحكم بين الناس بما أراك الله..^١
- ٢ قل : الله أعلم بما لبثوا، له غيبُ السماوات والارض، أبصر به وأسمع، ما لهم من دونه من وليٍّ، ولا يُشركُ في حكمه احداً *^٢
- ٣ أم اتخذوا من دونه أولياء، فالله هو الوليُّ، وهو يُحيي الموتى، وهو على كلِّ شيءٍ قدير * وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه الى الله، ذلكم الله ربِّي، عليه توكلتُ وإليه أنيب *^٣
- ٤ ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم، وإن يُشرك به تُؤمنوا، فالحكم لله العليُّ الكبير *^٤

١ - سورة النساء (٤) : ١٠٥.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٢٦.

٣ - سورة الشورى (٤٢) : ٩ - ١٠.

٤ - سورة غافر (٤٠) : ١٢.

الحديث

١ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا، بَكْتَابٍ نَاطِقٍ وَامْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ. وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُسَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا. وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا..^١

٢ الامام علي «ع»: «أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا «ص» لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ عُهْدِ عِبَادِهِ إِلَى عُهْدِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وِلَايَتِهِ»^٢.

٣ الامام الصادق «ع»: لَا وَاللَّهِ، مَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» وَالِىِ الْأَئِمَّةِ؛ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ»، وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي الْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^٣.

١ - نهج البلاغة / ٥٤٨: عبده ٢ / ٩٩.

٢ - الوافي ٣ (م ١٤) / ٢٢.

٣ - الكافي ٢ / ٨.

الفصل الثاني

الحاكم الديني الالهي

الكتاب

- ١ إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهَ اللَّهُ، فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ..^٢
- ٣ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ *^٣
- ٤ الْيَوْمَ، أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..^٤
- ٥ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ..^٥

١ - سورة الفتح (٤٨) : ١٠.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥٩.

٣ - سورة السجدة (٣٢) : ٢٤.

٤ و ٥ - سورة المائدة (٥) : ٣ و ٤٧.

الحديث

١ النبي «ص» - عن عليّ «ع»: «لَمَّا نَزَلَتْ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^١ أَي: «رَهْطَكَ الْمُخْلِصِينَ»، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ «ص» بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُمْ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يَكُونُ أَخِي، وَوَارِثِي، وَوَزِيرِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ بَعْدِي؟»، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ رَجُلًا رَجُلًا، كُلُّهُمْ يَا بَنِي ذَلِكَ، حَتَّى أَتَى عَلِيًّا فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! هَذَا أَخِي، وَوَارِثِي، وَوَصِيِّي، وَوَزِيرِي، وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ بَعْدِي». فَقَامَ الْقَوْمُ، يَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ لِهَذَا الْغَلَامِ.^٢

٢ النبي «ص»: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي مُوسَى: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، عَلِيًّا أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا.^٣

٣ النبي «ص»: يَا أَنْسُ! أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ .. قَالَ أَنْسُ: قُلْتُ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْإِنصَارِ» وَكَتَمْتُهُ، إِذْ جَاءَ عَلِيًّا^٤ ..

٤ النبي «ص»: أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَسْتُمْ تَزْعَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِّهِ»

١ - سورة الشعراء (١٦): ٢١١.

٢ - علل الشرايع / ١٧٠؛ البحار ١٨ / ١٧٨. وهذا الحديث معروف به «حديث بدء الدعوة»، وله

اسناد كثيرة متضاربة من طرق الفريقين؛ راجع: «الغدیر» / ٢.

٣ - البحار ٣٨ / ١٤٨.

٤ - البحار ٣٧ / ٣٠٠، عن «كشف اليقين».

مَنْ وَالَاهِ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغَضْ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَاَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ..»^١.

النسبي «ص» - أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ مَكَّةَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ، حَتَّى نَزَلَ بِغَدِيرِ الْجُحْفَةِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِالذُّوْحَاتِ فُقِّمَ مَا تَحْتَهُنَّ مِنْ شَوْكِ ثَمَّ نَادَى: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَخَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ - وَإِنَّ مَنَّا لَمَنْ يَضَعُ رِدَاءَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَبَعْضُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص»، فَصَلَّى بِنَا الظَّهْرَ ثَمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، الَّذِي لَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَى. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّي مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا نِصْفَ مَا عَمَرَ مَنْ قَبْلَهُ.. أَلَا! وَإِنِّي يُوشِكُ أَنْ أَفَارِقُكُمْ. أَلَا! وَإِنِّي مَسْئُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ! فَهَلْ بَلَّغْتُكُمْ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». فَقَامَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْقَوْمِ مُجِيبٌ يَقُولُ: نَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ، وَصَدَعْتَ بِأَمْرِهِ، وَعَبَدْتَهُ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ. جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا مَا جَزَى نَبِيًّا عَن أُمَّتِهِ! فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «أَشْهَدُوا! أَنْ قَدْ صَدَقْتُمْ وَصَدَقْتُمُونِي! أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنْتُمْ تَبَعِي، تَوْشِكُونَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَسْأَلُكُمْ حِينَ تَلْقَوْنِي عَنِ ثَقَلَيْي، كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي فِيهِمَا؟» قَالَ (الرَّوَايُ): فَأُعِيلَ عَلَيْنَا، مَا نَدْرِي مَا الثَّقَلَانُ؟ حَتَّى قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَا الثَّقَلَانُ؟ قَالَ:

١ - البحار ٣٧ / ١٨٠. وهذه قطعة من حديث الغدير، المشهور، المتواتر.

«الأكبرُ منهما كتابُ الله عز وجل، سببُ طرفه بيدِ الله وطرفه بأيديكم، فتمسّكوا به ولا تزلّوا! والأصغرُ منهما عترتي، مَنْ استقبل قبلي، واجابَ دعوتي، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم. فإنّي قد سألتُ لهما اللطيفَ الخبير، فأعطاني. ناصرُهما لي ناصر، وخاذلُهما لي خاذل، ووليُّهما لي وليّ، وعدوُّهما لي عدو. ألا! وإنّها لن تهلكَ أمةٌ قبلكم حتى تدنّ بأهوائها، وتظاهرَ على نبيّها، وتقتلَ مَنْ قام بالقسط منها». ثم أخذَ بيدِ عليّ ابنِ ابي طالب فرَفَعها فقال: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعليّ مولاه. وَمَنْ كُنْتُ وليّه فهذا وليّه، اللهم والِ مَنْ والاه! وعادِ مَنْ عاداه!» قالها ثلاثاً..

٦ الامام السجاد «ع»: اللهم! إنّك أيّدتَ دينك في كلِّ أوانٍ بامامٍ أقمته علماً لعبادك، ومَناراً في بلادك، بعد أن وصّلتَ حبله بحبلك، وجعلته الذريعة الى رضوانك، وافترضتَ طاعته، وحذرتَ معصيته، وأمرتَ بامتثال اوامره، والانتهاؤ عند نهيه، وألّا يتقدّمه متقدّم، ولا يتأخّر عنه متأخّر..

٧ الامام الصادق «ع» - عيسي بن السّري قال: قلتُ لابي عبدالله «ع»: حدّثني عما بُنيّت عليه دعائمُ الاسلام، اذا أنا أخذتُ بها زكّي عملي ولم يضرّني جهلٌ ما جهلتُ بعده؟ فقال: شهادةُ ان لا اله الا الله، وأنّ محمداً رسولُ الله، والاقرارُ بما جاء به من عندالله، وحقُّ في الاموالِ من الزكاة،

١ - البحار ٣٧ / ١٨٤ - ١٨٥. وهذا حديث «الغدِير» المتواتر المشهور، راجع لاسناده المتضافرة

المتكاثرة، من طرق الفريقين:

١ - الغدِير، للعلامة الاميني.

٢ - عِبَقَاتُ الانوار، للعالم الكبير مير حامد حسين الهندي.

٣ - المراجعات، للعالم الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي.

٤ - البحار (ج ٣٧)، للعلامة المجلسي.

٥ - غايه المرام، للعالم الفاضل السيد هاشم البحراني.

٢ - الصّحيفة السجاديّة / ٣٣٦ - ٣٣٧ (الدعاء ٤٧).

الفصل الثاني : الحاكم الديني الالهي

والولاية التي امر الله عز وجل بها، ولاية آل محمد «ص»؛ فإن رسول الله «ص» قال: «مَنْ مات ولا يَعْرِفُ امامه، مات ميتةً جاهلية»؛ قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم»، فكان عليُّ «ع»، ثم صارَ من بعده حسنٌ، ثم من بعده حسينٌ، ثم من بعده عليُّ بنُ الحسين، ثم من بعده محمدُ بنُ علي، ثم هكذا يكونُ الامر. إِنَّ الارضَ لا تَصْلِحُ الا بامامٍ، ومَنْ مات لا يَعْرِفُ امامه، مات ميتةً جاهلية. وأحوجُ ما يكونُ احدُكم الى معرفته، اذا بَلَغَتْ نفسه ههنا - قال (الراوي): وأهوى بيده الى صدره - يقول حينئذ: لقد كنتُ على أمرٍ حَسَنٍ^١.

الفات نظر

إن الدين يُمثَلُ حكومةَ الله على الارض وتطبيقَ سُننه ونشرَ شرائعه، لإسعاد الانسان وانقاذه من الضلالة والشقاء. والنبِيُّ يُبعثُ لتأسيسِ هذه الحكومة وتحقيقها.

واذا كان النبي خاتماً لما سبق، وفاتحاً لعهدٍ جديدٍ يستمرُّ الى يوم القيامة، فإنه من الضروري أن يعملَ على إقامة أركانِ الحكم الالهي الذي يَضْمَنُ خلودَ هذه الرسالة وسلامتها من أخطار التحريف والتشويه؛ أضف الى ذلك بسطَ هُدى الله عز وجل على وجه الارض. وهذا لا يُمكنُ إلا بأن يُعَيَّنَ - بوحيٍ من الله وامره - من ينوبُ عنه، نيابةً دينيةً الهية. لأجلِ ذلك يقومُ النبيُّ بنصبِ عَلمٍ للامة يَهْتَدون به ويسيرون على منهاجه، ولا يكونُ الا من هو جديرٌ بالقيام مقامه، ويتناسبه علماً وعملاً وايناراً واقداماً، بما جعله امتداداً طبيعياً لرسالته في الامة المسلمة، بل في الامم كلها. ولهذه الحقيقة

-الراهنة نرى نبينا الاعظم «ص» يُصرِّح من أول يومٍ يُعلنُ دعوتَه،
بمَن يَخلفُه من بعده، كما مر في الحديث الاول. وذلك الحديث
المشهور المعروف بـ «حديث بدءِ الدعوة»، مروِيٌّ من طُرق
الفريقين واسنادهم^١.

وهناك طائفةٌ أخرى من الاحاديث الواردة في الحكومة
الدينيّة والفلسفة السياسيّة، كلّها متضافرةٌ ومتواترةٌ، وهي أحاديثُ
الامامة، المرويّةُ عن طُرق علماء المذاهب الاسلاميّة. راجع لذلك -
عدا الكتب التي ذكرت اسماؤها في ذيل الحديث - :

احقاق الحقّ، للقاضي نور الله التُّستريّ .
الإمامة الكبرى، للحاج آغا ميرالقزوينيّ .
دلائل الصّدق، للشيخ محمّد حسن المظفر النّجفيّ .

الفصل الثالث

أهداف الحكومة الدينية

الكتاب

١ لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، لِيُقَومَ النَّاسُ
بالقسط ..^١

الحديث

١ الامام علي «ع» :... وأما فرضه الله عز وجل من الفرائض في كتابه، فدعائم
الاسلام، وهي خمسُ دعائم. وعلى هذه الفرائض بُنيَ الاسلام .. ثم
الولاية، وهي خاتمها والحافظة لجميع الفرائض والسُنن^٢ ..

٢ السيِّدة فاطمة «ع» : .. ففرض الله الايمان تطهيراً من الشرك .. والطاعة نظاماً

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ - الوسائل ١ / ١٨.

للملّة، والامامة لَمَّا من الفرقة ..^١

٣ الامام السجاد «ع» : رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَائِبِ اَهْلِ بَيْتِهِ! الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكِ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي اَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرَّجْسِ وَالذَّنَسِ تَطْهِيراً بَارَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ..^٢

٤ الامام السجاد «ع» : فهو (الامام - الحاكم الاسلامي) عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبِهَاءُ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ! فَأَوْزِعْ لَوْلِيكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ .. وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشُرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ - صَلَوَاتِكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَأُحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبْنُ بِهِ الضَّرَاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَآمَحِقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عَوَجاً، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَانِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى اَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ..^٣

٥ الامام الباقر «ع» : أما! لو أن رجلاً قامَ ليله وصام نهاره، وتصدَّقَ بجميعِ ماله، وحجَّ جميعَ دهره، ولم يَعْرِفْ وِلايَةَ وَلِيِّ اللَّهِ فَيُؤَالِيَهُ وَيَكُونُ جَمِيعَ اَعْمَالِهِ بِدَلَالَتِهِ إِلَيْهِ، مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ ثَوَابِهِ، وَلَا كَانَ مِنْ اَهْلِ الْاِيْمَانِ..^٤

٦ الامام الصادق «ع» : لَا يُتْرَكُ الْاَرْضُ بِغَيْرِ اِمَامٍ، يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ اِنَاسٍ بِاِمَامِهِمْ»^٥; ثم قال: قال رسولُ اللَّهِ «ص»: «مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ اِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^٦.

١ - البحار ٦ / ١٠٧، عن «علل الشرايع».

٢ و ٣ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٣٣٤ و ٣٣٧ - ٣٣٨ (الدَّعَاءُ ٤٧).

٤ - الوسائل ١ / ٩١.

٥ - سورة الاسراء (١٧) : ٧١.

٦ - البحار ٨ / ١٢، عن «تفسير العياشي».

الفصل الثالث : أهداف الحكومة الدينية

- ٧ الامام الصادق «ع» : في قولِ الله تعالى: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ»^١، قال: «الامام»،
«وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»^٢، كنايةً عن امير المؤمنين «ع»^٣..
- ٨ الامام الصادق «ع» - في التعريفِ بالامام: .. يَحْقُنُ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ الدَّمَاءُ،
وَيُصَلِّحُ بِهِ ذَاتَ الْبَيْنِ، وَيُلْمُّ بِهِ الشَّعْثَ، وَيَشَعْبُ بِهِ الصَّدْعَ، وَيَكْسُو بِهِ
الْعَارِيَّ، وَيُشْبِعُ بِهِ الْجَائِعَ، وَيُؤْمِنُ بِهِ الْخَائِفَ^٤..

الفات نظر

تأمل في الحديث الخامس، من الوصي الخامس، الامام محمد بن علي الباقر «ع» حيث يقول: «...وَلَمْ يَعْرِفْ وِلَايَةَ وَلِيِّ اللهِ، فَيُؤَالِيَهُ وَيَكُونُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ بَدَلًا لِيهِ ..»، تأمل في هذا الكلام بامعان، حتى ترى أمراً واضحاً هو أصل التشيع (وهو الاسلام المحض). فإن الحياة على هدى الرسالة الالهية - الفردية أو الاجتماعية - لا تتحقق الا باتباع أوامر الله، واتباع أوامر الله لا يتحقق الا بمعرفة دين الله وحدوده، ومعرفة دين الله وحدوده لا تؤخذ الا من النبي أو رجل منه، ولا يؤدي إلا عنه.

فعلى هذا الاساس، يكون الدين لله، وتكون الاعمال الصادرة من الانسان بدلالة داع الهی، من نبي أو وصي نبي . وفي غير هذه الصورة، لا يمكن ضمان مطابقة التصرفات الفردية أو الاجتماعية لرضا الله وتشريعاته، مطابقة قطعية، التي هي لازمة لإبراء الذمة واقامة الحجّة.

١ و ٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٣.

٣ - البحار ٦٨ / ٣٢٨: عن «تفسير القمي».

٤ - الكافي ١ / ٣١٤.

الفصلُ الرَّابِعُ

المصالح العامة والمحاکم الدّيني

الكتاب

١ ثمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * ١

الحديث

١ الامام علي «ع»: أيها الناس! إن احقَّ الناسَ بهذا الامر أقواهم عليه، واعلمهم بأمر الله فيه؛ فإن شغبَ شاغِبٌ استُعْتِبَ، فإن أبى قُوتِلَ. ٢

٢ الامام علي «ع»: لا يَصْلَحُ الحُكْمُ ولا الحُدُودُ ولا الجمعةُ، إلا بإمامٍ عدلٍ. ٣

٣ الامام علي «ع» - من كلامه لَمَّا عَمَدَ المَسِيرَ الى الشَّامِ لِقِتالِ معاوية بن ابي سفيان: بعدَ حمدِ الله والثَّناءِ عليه، والصلاةُ على رسولِ الله «ص»: اتَّقُوا

١ - سورة الجاثية (٤٥): ١٨.

٢ - نهج البلاغة / ٥٥٨: عبده ٢ / ١٠٤.

٣ - دعائم الاسلام ١ / ١٨٤: البحار ٨٩ / ٢٥٦.

الفصل الرابع: المصالح العامة والحاكم الديني

الله واطيعوا إمامكم! فإن الرعيّة الصالحة تنجو بالامام العادل. ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالامام الفاجر^١..

٤ الامام السجاد «ع» - من دُعائه يوم عرفة: .. وأمرت بامتثال أوامره (اوامر الامام الحاكم الاسلامي)، والانتهاه عند نهيه، وألا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر؛ فهو عصمة اللّائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين^٢.

٥ الامام الصادق «ع»: لا يصلح الناس الا بامام؛ ولا تصلح الارض الا بذاك^٣.

٦ الامام الكاظم «ع» - فيما رواه عن الامام علي بن الحسين: .. وطاعة ولاة العدل تمام العز^٤.

٧ الامام الرضا «ع»: .. إن الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين. إن الامامة أس الاسلام النامي، وفرعه السامي. بالامام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتوفير الفيء والصدقات، وامضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف^٥.

٨ الامام الرضا «ع» - في خطابه للمأمون العباسي: أما علمت .. أن والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط، من اراده أخذه^٦..

٩ الامام الرضا «ع» - فيما نقله عنه فضل بن شاذان الأزدي النيسابوري: فإن

١ - البحار ٨ / ٤٧٢ (طبعة الكمباني).

٢ - الصحيفة السجادية / ٣٣٧ (الدعاء ٤٧).

٣ - البحار ٢٣ / ٢٢، عن «علل الشرائع».

٤ - تحف العقول / ٢٨٧.

٥ - الكافي ١ / ٢٠٠.

٦ - البحار ٤٩ / ١٦٥، عن «عيون اخبار الرضا».

قال: فَلِمَ جَعَلَ أُولِي الْأَمْرِ وَأَمْرَ بَطَاعَتِهِمْ؟ قيل: لِعَلِّ كَثِيرَةً، مِنْهَا أَنَّ الْخَلْقَ لَمَّا وَقَعُوا عَلَى حَدٍّ مَحْدُودٍ وَأَمْرًا وَإِنْ لَا يَتَعَدَّوْا ذَلِكَ الْحَدَّ، لِمَا فِيهِ مِنْ فُسَادِهِمْ، لَمْ يَكُنْ يَثْبُتُ ذَلِكَ وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ فِيهِ أَمِينًا، يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّعَدِّيِّ وَالِدُخُولِ فِي مَا حَظَرَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ أَحَدٌ لَا يَتْرُكُ لِدَنِّهِ وَمَنْفَعَتِهِ لِفُسَادِ غَيْرِهِ، فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ قِيَمًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْفُسَادِ، وَيُقِيمُ فِيهِمُ الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ.

ومنها إِنَّا لَا نَجِدُ فَرْقَةً مِنَ الْفِرْقِ وَلَا مَلَّةً مِنَ الْمَلَلِ، بَقَوْا وَعَاشُوا إِلَّا بِقِيَمٍ وَرَيْسٍ، لِمَا لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْهُ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ فَلَمْ يَجْزِ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ أَنْ يَتْرُكَ الْخَلْقَ مِمَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْهُ وَلَا قِوَامَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ، فَيُقَاتِلُونَ بِهِ عَدُوَّهُمْ، وَيَقْسِمُونَ بِهِ فَيْئَتَهُمْ، وَيُقِيمُ لَهُمْ جَمْعَتَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ، وَيَمْنَعُ ظَالِمَهُمْ مِنْ مَظْلُومِهِمْ^١.

* ففي ضوء هذه التعاليم، يُصْبِحُ مَنْعُ الظَّالِمِينَ مِنَ المَظْلُومِينَ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ؟ وَهَلِ الظُّلْمُ يَنْحَصِرُ فِي الظُّلْمِ السِّيَاسِيِّ وَلَا يَشْمَلُ الْاِقْتِصَادِيَّ وَالْمَعِيشِيَّ وَالصِّحِّيَّ وَالتَّرْبُويَّ وَالْقَضَائِيَّ..؟ وَهَلِ تُزَاحُ هَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنَ الظُّلْمِ مَعَ قَبُولِ الْاِمْتِلَاكَاتِ الْحُرَّةِ وَالْفُرُوقِ الْمَعِيشِيَّةِ الْبَاهِظَةِ؟ وَهَلِ هَذِهِ مِنَ الْعَدْلِ؟ وَهَلِ تُقَرُّ آيَاتُ الْقِسْطِ الْقُرْآنِيِّ؟

١ - البحار ٦ / ٦٠، عن «عيون اخبار الرضا» و«علل الشرايع».

الفصل الخامس

الحاكم الديني، محور الحق والعدالة والصلاح

الكتاب

- ١ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» - كتب ابو عبدالله «ع» الى ابي الخطاب: إنا اصلُ الحق، وفروعُ الحق طاعةُ الله. وعدونا اصلُ الشرِّ، وفروعهم الفواحش^٢ ..
- ٢ الامام الصادق «ع» - سأل اباحنيفة ابو عبدالله «ع» عن هذه الآية: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ

١ - سورة يوسف (١٢) : ٤٠.

٢ - رجال الكشي / ٢٩١.

يومئذٍ عن النّعيم»؟ فقال: «ما النّعيمُ عندك يا نعمان؟» قال: القوتُ من الطّعام والماءِ البارد. فقال: «لئن أوقفك اللهُ بينَ يديه يومَ القيامة، حتّى يسألك عن كلِّ أكلةٍ أكلتها أو شربةٍ شربتها، ليطولنَّ وقوفُك بينَ يديه». قال: فما النّعيمُ جُعِلتُ فداك؟ قال: «نحنُ أهلُ البيت، النّعيمُ الذي أنعمَ اللهُ بنا على العباد. بنا اتّلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا أَلَّفَ اللهُ بين قلوبهم وجعلهم إخواناً».^٢

٣ الامام الصادق «ع»: لكلِّ زمانٍ وامةٍ امامٌ، تُبعثُ كلُّ اُمةٍ مع إمامها^٣.

٤ الامام الصادق «ع»: قال رسولُ اللهُ «ص»: قال اللهُ - تبارك وتعالى - : «لِيَأْذُنَ بِحَرْبٍ مِنِّي مَنْ آذَى عَبْدِي الْمُؤْمِنَ، وَلِيَأْمَنَ غَضْبِي مَنْ أَكْرَمَ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ. وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلَّا عَبْدٌ وَاحِدٌ، مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ، لَأَسْتَعْنَيْتُ بِهِمَا عَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقْتُ فِي أَرْضِي، وَلَقَامَتِ سَبْعُ سَمَاوَاتٍ، وَسَبْعُ أَرْضِينَ بِهِمَا، وَجَعَلْتُ لَهُمَا مِنْ إِيْمَانِهِمَا أَنْسًا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْسٍ سِوَاهُمَا»^٤.

١ سورة التكاثر (١٠٢) : ٨.

٢ - البحار ٢٤ / ٤٩، و ٧٣ / ٧٠، عن «تفسير العياشي» وغيره.

٣ - البحار ٧ / ٣٠٨.

٤ - البحار ٦٧ / ٧١.

الفصلُ السادس

السياسة العملية للحاكم الاسلامي

الكتاب

* لقد مضت آياتٌ عديدة - في البابينِ الخامس والسابع -
ترسُمُ مثاليَّةَ الحاكمِ الاسلامي في تعاملِ الناس؛ واليك بعض
الاحاديث:

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الائمةَ في كتابِ الله عزوجل إمامان، قال الله - تبارك
وتعالى - : «وجعلناهم ائمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»^١ لا بأمرِ الناس؛ يُقَدِّمُونَ أَمْرَ الله
قَبْلَ أَمْرِهِمْ، وَحَكَمَ اللهُ قَبْلَ حَكْمِهِمْ. قال: «وجعلناهم ائمةً يَدْعُونَ الى
النار»^٢؛ يُقَدِّمُونَ أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَمْرِ اللهِ، وَحَكَمَهُمْ قَبْلَ حَكْمِ اللهِ، وَيَأْخُذُونَ

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٧٣.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٤١.

بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل^١.

٢ الامام علي «ع»: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي أَمَاماً لِيَخْلُقَهُ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي نَفْسِي وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كُضْعَفَاءِ النَّاسِ، كَيْ يَقْتَدِيَ الْفَقِيرُ بِفَقْرِي، وَلَا يُطْفِي الْغَنَى غِنَاهُ!»^٢.

٣ الامام الصادق «ع»: «المُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» يَوْمًا: جُعِلْتُ فِدَاكَ! ذَكَرْتُ آلَ فُلَانٍ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ هَذَا إِلَيْكُمْ لَعِشْنَا مَعَكُمْ، فَقَالَ: هِيَاهُ يَا مُعَلَّى! أَمَا وَاللَّهِ، أَنْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ مَا كَانَ إِلَّا سِيَاسَةَ اللَّيْلِ، وَسِيَاحَةَ النَّهَارِ، وَلُبْسَ الْخَشَنِ، وَأَكْلَ الْجَشْبِ»^٣.

٤ الامام الصادق «ع»: «نُعِيْتُ إِلَى النَّبِيِّ «ص» نَفْسُهُ .. فَنَادَى: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ» وَأَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بِالسَّلَاحِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ «ص» الْمَنْبَرَ فَنَعَى إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْكُرُ اللَّهَ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي، إِلَّا يَرْحَمَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَجَلَّ كَبِيرَهُمْ، وَرَجِمَ ضَعِيفَهُمْ، وَوَقَّرَ عَالِمَهُمْ، وَلَمْ يُضْرَبْ بِهِمْ فَيُذَلِّهِمْ، وَلَمْ يُفْقَرْهُمْ فَيُكْفِرْهُمْ، وَلَمْ يُغْلَقْ بَابُهُ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قُوَّيَهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَلَمْ يَخْبِرْهُمْ فِي بُعُوثِهِمْ فَيَقْطَعَ نَسْلَ أُمَّتِي ..»^٤.

تذييلان

١ - الحاكم المسلم كما يراه الامام علي بن ابي طالب «ع»

١ - الكافي ١ / ٢١٦.

٢، ٣ - الكافي ١ / ٤١٠.

٤ - الكافي ١ / ٤٠٦.

الفصل السادس : السّياسة العمليّة للحاكم الاسلامي

١ الامام علي «ع» - فيما كتبه لبعض عمّاله على الصّدقات: أمره بتقوى الله في سرائر امره وخفيّات عمله، حيث لا شاهد غيره، ولا وكيل دونه. وأمره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما أسرّ. ومن لم يختلف سرّه وعلايته وفعله ومقالته، فقد أدّى الامانة، وأخلص العبادة. وأمره أن لا يجبههم ولا يعضهم، ولا يرغب عنهم تفضلاً بالامارة عليهم، فإنهم الإخوان في الدين، والاعوان على استخراج الحقوق^١.

* راجع بهذا الصدد: العهد العلويّ للاشر النخعي، الذي جاء في «نهج البلاغة»، فإنه برنامج شامل دقيق، للسياسة العملية والوظائف الهامة، في الحكومة «الانسانية - القرآنية».

٢ - لاحرمة للحاكم الجائر ولا كرامة

١ الامام الباقر «ع»: ثلاثة ليس لهم حرمة، صاحب هوى مبتدع، والامام الجائر، والفاسق المعلن الفسق^٢.

١ - نهج البلاغة / ٨٨٤: عبده ٣ / ٣٠.

٢ - قرب الاسناد / ١٠٧.

الفصل السابع

صلة الفلسفة الاعتقادية والفلسفة السياسية

الكتاب

- ١ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا *^١
- ٢ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ..^٢
- ٣ أَنَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ، وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - في ختام خطبته يوم الغدير: مَعَاشَرَ النَّاسِ! قُولُوا: أُعْطِينَاكَ عَلَىٰ ذَلِكَ عَهْدًا عَنِ انْفُسِنَا، وَمِيثَاقًا بِالسَّنَتِنَا، وَصَفْقَةً بِأَيْدِينَا، تُؤَدِّيهِ إِلَىٰ

١ - سورة الكهف (١٨) : ٤٤.

٢ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٦.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٥٥.

الفصل السابع : صلة الفلسفة الاعتقادية والفلسفة السياسية

اولادنا واهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وانت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً. قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، فإن الله يعلم كل صوت، وخائنة كل نفس. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً؛ قولوا ما يرضي الله عنكم، فإن تكفروا فإن الله غني عنكم^١..

- ٢ الامام علي «ع»: إن لـ «لا اله الا الله» شروطاً، وأنا وذريتي من شروطها^٢.
- ٣ الامام الصادق «ع» - في بيان قوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^٣، قال: هي طاعة الله ومعرفة الامام^٤.
- ٤ الامام الصادق «ع»: إن الله اجل واعظم من ان يترك الارض بغير امام عدل^٥.
- ٥ الامام الصادق «ع»: ولايتنا ولاية الله، التي لم يبعث نبياً قط الا بها^٥.
- ٦ الامام الصادق «ع»: خرج الحسين بن علي «ع» على اصحابه فقال: أيها الناس! إن الله - جل ذكره - ما خلق العباد الا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له الرجل: يا ابن رسول الله بأبي انت وأمي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة اهل كل زمان

١ - الغدير ١ / ٢٧٠.

٢ - غرر الحكم / ١٠٤.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٦٩.

٤ - الكافي ١ / ١٨٥.

٥ - كمال الدين / ٢٢٩.

٦ - الكافي ١ / ٤٣٧.

امامهم، الذي يجب عليهم طاعته^١.

* لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْعِبَادَ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْعِبَادَةِ، جَعَلَ لَهُمْ أَدِلَّةً هُدَاةً يَدُلُّونَ النَّاسَ عَلَى طَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ وَكَيْفِيَةِ الْعِبَادَةِ. وَأَمَّا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ مَا كَانَ مُطَابِقًا لِمَادَلِّ عَلَيْهِ الْإِدِلَّةُ الْإِلَهِيَّةُونَ؛ وَهُمْ الْإَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ. فَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ «ع» فِي جَوَابِ الرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَهُ: «... مَا مَعْرِفَةُ اللهِ؟»: «مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمْ...». وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ وَعِبَادَتَهُ لَا تَصِحُّ وَلَا تَقَعُ صَحِيحَةً مُطَابِقَةً لِرِضَا اللهِ وَتَشْرِيْعِهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ بِدَلَالَةِ الدَّلِيلِ الْإِلَهِيِّ، الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْعَالَمُ بِطَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ وَكَيْفِيَةِ الْعِبَادَةِ بِتَعْلِيمٍ مِنْ اللهِ أَوْ مِنْ نَبِيِّهِ.

وهذا الأمر المهم، يوجب أن تصبح معرفة أولئك الأدلاء الهداة، مقدمة لمعرفة الله وعبادته الصحيحتين. فإذا جازلنا القول بأن معرفة الأنبياء والأوصياء هي معرفة الله ومعرفة دينه. ولاجل ذلك يقول الإمام جعفر الصادق «ع»، في حديثٍ يُلقَى به ضوءاً على هذا الموضوع المهم: «... وَلَا يُعْرَفُ اللهُ وَدِينُهُ وَحُدُودُهُ وَشَرَائِعُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ الْإِمَامِ. كَذَلِكَ جَرَى بِأَنَّ مَعْرِفَةَ الرِّجَالِ دِينَ اللهِ...»^٢.

وراجع لمزيد الايضاح لهذا التعليم الحسيني القيم: الحديث الخامس، من الفصل الثالث (وكلمتنا حوله)، والحديث الأول، من الفصل الرابع عشر، من هذا الباب، الذي سيأتي.

٧ الإمام الصادق «ع» - عمّار الساباطي قال: قلتُ لابي عبدالله «ع»: انّ ابأُمّيّة

١ - البحار ٥ / ٣١٢، عن «علل الشرايع».

٢ - البحار ٢٤ / ٢٩٠، عن «السرائر».

يوسف بن ثابتٍ حَدَّثَ عَنْكَ إِنَّكَ قُلْتَ: «لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ عَمَلٌ»؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْنِي أَبُوَامِيَةَ عَنْ تَفْسِيرِهَا، إِنَّمَا عَنَيْتُ بِهَذَا أَنَّهُ مَنْ عَرَفَ الْإِمَامَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ عَمِلَ لِنَفْسِهِ بِمَا شَاءَ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ قَبْلَ مَنْهُ ذَلِكَ وَضَوْعِ لَهْ أَعْوَافًا كَثِيرَةً، فَانْتَفَعَ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ مَعَ الْمَعْرِفَةِ. فَهَذَا مَا عَنَيْتُ بِذَلِكَ. وَكَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا إِذَا تَوَلَّوْا الْإِمَامَ الْجَائِرَ الَّذِي لَيْسَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى»^١.

٨ الامام الرضا «ع» - لَمَّا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا «ع» نَيْسَابُورَ وَأَرَادَ أَنْ يَرْحَلَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! تَرْحَلُ عَنَّا وَلَا تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثٍ فَنَسْتَفِيدَهُ مِنْكَ؟ وَكَانَ قَدْ قَعَدَ فِي الْعِمَارِيَةِ فَأُطْلِعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيٍّ ابْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.» قَالَ (إِسْحَاقُ ابْنَ رَاهُوِيَةَ): فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا: «بَشْرُوطِهَا، وَأَنَا مِنْ شَرُوطِهَا»^٢.

* المقصود من هذا الكلام (.. وَأَنَا مِنْ شَرُوطِهَا) وما مرّ في كلام الامام عليّ بن ابي طالب «ع» في الحديث الثاني، أنّ الاقرار بكلمة التوحيد إنّما يصير سبباً للنجاة، اذا كانت ادارة المجتمع بيد رجلٍ الهيّ وكان الحكم حكماً الهياً، حتى يتسنى للناس أن يصلوا

١ - امالي الطوسي ٢ / ٣١ - ٣٢.

٢ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٣٥.

الى حقيقة التوحيد العقيدّي والعمليّ، والاقرارِ بالله الواحد الاحد
واداءِ العبادة له، ورَفْضِ كُلِّ شريكٍ سواه، وتركِ عبادة الآخرين
واطاعتهم، واقامة العدلِ في الجماهير بصورةٍ مُبسّطة .
وهذه الفلسفةُ السياسيّةُ، هي ارقىُ واسمىُ فلسفةٍ سياسيّةٍ
ظهرت في تاريخ العقيدة والسياسة والفكر. وهي متجاوبةٌ مع اصل
التوحيد ومنسجمةٌ معه؛ ومن عظيمِ ميزاتِ هذا التّصوّرِ أنّ توحيدَه
الحكم، وحُكمَه التّوحيد.

الفصل الثامن

صلة الاعمال الدينية والفلسفة السياسية

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين *^١

* تصرّح الآية القرآنية بأنّ التقوى والالتزام إنّما هي رهينة الكون مع الرّواد الصادقين، والالتحام مع الصّف الذي يتبع زعماء الحقّ والصّلاح ويطيعهم.
ومن هنا يظهر بجلاء، الترابط الجذري بين الاعمال الدينية والفلسفة السياسيّة.

٢ يوم ندعو كلّ أناسٍ بامامهم، فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يُقرأون كتابهم ولا يُظلمون فتيلًا * ومن كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً *^٢

١ - سورة التوبة (٩) : ١١٩.

٢ - سورة الاسراء (١٧) : ٧١ - ٧٢.

الحديث

١ الامام علي «ع» : الواجبُ في حكمِ الله وحكمِ الاسلامِ على المسلمين .. أن لا يعملوا عملاً ولا يُقدِّموا يداً ولا رجلاً، قبل أن يختاروا لا أنفسهم اماماً عفيفاً، ورِعاً، عارفاً بالقضاء والسُّنة، يجبي فيئهم ويُقيم حجَّهم وجمعتهم، ويجبي صدقاتهم^١ ..

٢ الامام الباقر «ع» : قال الله - تبارك وتعالى - : «لَأَعَذَّبَنَّ كُلَّ رَعِيَةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوِلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الرِّعِيَةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً. وَلَا عُفُونَ عَنْ كُلِّ رَعِيَةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوِلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الرِّعِيَةُ فِي أَنْفُسِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً»^٢.

* يُشير هذا الحديث - والحديث السابع - الى موضوعٍ رئيسيٍّ مهمٍّ و أصلٍ بناءً، وهو أنَّ الحكمَ والادارةَ الباطلينِ والفاستدين، يُوجبان أن تصيرَ اعمالُ الافراد الصالحة ضايعةً وغير ناجعةٍ ولا مؤدِّيةٍ الى فضيلةٍ او خير؛ بل الافرادُ في امثال تلك الحكومات لا يسعهم أن يكونوا صالحين.

وهناك احاديثٌ موجهةٌ هامةٌ - ذكرت نماذج منها هنا - تؤكدُ على اهميةِ الحكمِ الحقِّ الرئيسيِّ واهميةِ اتباعه و مسانده، وتبينُ ماله من الاثر في بقاء دينِ الله وعباداته ومناسكه وفي صلاحِ المجتمع و فلاحِ الانسان.

وهذا الموضوع، هو مبنئ فلسفةِ الاسلام السياسيِّ الرصينة،

١ - البحار ٨٩ / ١٩٦.

٢ - الكافي ١ / ٣٧٦.

الفصل الثامن : صلة الاعمال الدّينية والفلسفة السّياسيّة

وله صلّة جوهرية بقبول الدين وتبنيه، والقيام بفرائضه واجباته .

٣ الامام الباقر «ع» : لا دين لمن دان بطاعة من يعصي الله، ولا دين لمن دان بفريّة باطل على الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله^١.

٤ الامام الباقر «ع» : إن من دان الله بعبادة يجتهد فيها نفسه، بلا امام عادل من الله، فإن سعيه غير مشكور، وهو ضال متحير^٢.

٥ الامام الصادق «ع» - عن رزيق قال: قلت له: أي الأعمال افضل بعد المعرفة؟ فقال: «ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصّلاة، ولا بعد المعرفة والصّلاة يعدل الزكاة، ولا بعد ذلك شيء يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شيء يعدل الحجّ. وفاتحة ذلك كلّ معرفتنا، وخاتمة معرفتنا؛ ولا شيء بعد ذلك كبر الإخوان، والمواساة ببذر الدينار والدرهم»^٣.

٦ الامام الصادق «ع» : المُحمّديّة السّهلة (السّمحة)، إقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت الحرام، والطاعة للامام، واداء حقوق المؤمن^٤.

٧ الامام الصادق «ع» : .. وكذلك لا يقبل الله من العباد، الاعمال الصالحة التي يعملونها، اذا تولّوا الامام الجائر، الذي ليس من الله تعالى^٥..

الفات نظر

لقد كافحتّ التعاليم الاسلاميّة، العمى والغواية والاعتزاز.

١ - البحار ٧٢ / ١٢٣، عن «السرائر».

٢ - المستدرک ١ / ٢١. والظاهر: «يجهد» بدل «يجتهد»؛ والسّهو من الناسخين.

٣ و ٤ - الوسائل ١ / ١٨ و ١٥.

٥ - امالي الطوسي ٢ / ٣٢.

وقد اهتمت هذه التعاليم برفع العمى السياسي وإزاحته، فإنه مصدر كل ضلالةٍ وشرٍّ، ومنبع كل انحطاطٍ وخُسران. ولذلك ترى في الآيتين - الثانية والثالثة - اللتين نقلناهما في صدرالفصل، أن العمى السياسي والاعتزاز في حقل الزعامة عد سبباً للعمى الأخروي والشقاء الأبدى؛ فتأمل في هذا الاصل القيم البناء المحيي للمجتمعات.

الفصل التاسع

الحاكم الديني وتعميم التشريعات السماوية على الارض

الكتاب

- ١ وُقِلَ : إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * .. فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمَشْرِكِينَ *^١
- ٢ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما اوصي به معاذ بن جبل، حين بعثه الى اليمن: ..
وانفذ فيهم امر الله .. وأظهر امر الاسلام كله، صغيره وكبيره ..^٣
- ٢ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ «ع»: .. انتم عباد الله .. حَمَلَةٌ دِينِهِ وَوَحْيِهِ .. وبلغاؤه الى

١ - سورة الحج (١٥) : ٨٩ و ٩٤.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٣٩.

٣ - تحف العقول / ٢٥.

الامم^١ ..

٣ الامام الصادق «ع» : إن الله - تبارك وتعالى - أعطى محمداً «ص» شرائع نوح و ابراهيم وموسى وعيسى «ع»: التوحيد، والاخلاص، وخلع الانداد، والفترة الحنيفية السمحة، ولا رهبانية ولا سياحة، احلّ فيها الطيبات، وحرّم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم؛ ثم افترض عليه فيها الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحلال، والحرام، والمواريث، والحدود والفرائض، والجهاد في سبيل الله. وزاده الوضوء، وفضله بفاتحة الكتاب، وبخواتيم سورة البقرة، والمفصل، واحلّ له المغنم، والفئء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً؛ وارسله كافةً الى الابيض، والاسود، والجن، والانس^٢ ..

٤ الامام الرضا «ع» - فيما جمعه ونقله الفضل بن شاذان النيسابوري: .. فان قال [قائل]: فما اول الفرائض؟ قيل له: الاقرار بالله وبرسوله وحجته وبما جاء من عند الله عز وجل. فان قال [قائل]: لم امر الخلق بالاقرار بالله وبرسوله وبحججه وبما جاء من عند الله عز وجل؟ قيل: لعل كثيرة؛ منها ان من لم يقرب الله عز وجل، لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر. ولم يراقب احداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم؛ واذا فعل الناس هذه الاشياء وارتكب كل انسان ما يشتهي ويهواه - من غير مراقبة لاحد - كان في ذلك فساد الخلق اجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والاموال، وابا حوا الدماء والنساء، وقتل بعضهم بعضاً من غير

١ - الاحتجاج ١ / ١٣٣.

٢ - الكافي ٢ / ١٧.

الفصل التاسع : الحاكم الديني وتعميم التشريعات ..

حق ولاجرم، فيكون في ذلك خرابُ الدُّنيا وهلاكُ الخلق وفسادُ الحرث والنَّسل^١ ..

* فعلى الحاكمِ الاسلاميَّ أن يقومَ ببسطِ التشريعاتِ الالهيةِ في الارض، حتى يَسُدَّ ابوابَ الفسادِ والخراب، والسَّقوِطِ الانسانيِّ، والدمارِ الاجتماعيِّ، والتسافلِ البشريِّ ..

الفصل العاشر

أئمة العدل وأئمة الجور

الكتاب

- ١ وجعلنا منهم أئمةً يهْدُونَ بأمرنا لما صَبَرُوا، وكانوا بآياتنا يوقنون *^١
- ٢ وجعلناهم أئمةً يَدْعُونَ إلى النار، ويومَ القيامة لا يُنصَرُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام الكاظم «ع» - محمد بن منصور قال: سألتُ عبداً صالحاً عن قول الله تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»^٣؟ فقال: «إِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَجَمِيعُ مَا حُرِّمَ فِي الْكِتَابِ هُوَ الظَّهْرُ الظَّاهِرُ، وَبِاطِنٌ مِنْ ذَلِكَ أئمةُ الجور. وَجَمِيعُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ هُوَ الظَّاهِرُ، وَالباطن من ذلك أئمةُ

١ - سورة السَّجْدَةِ (٣٢) : ٢٤.

٢ - سورة الفَصِّصِ (٢٨) : ٤١.

٣ - سورة الاعراف (٧) : ٣٣.

الحق»^١.

تنبيه

لقد سَلَفَ القولُ إِنَّ العَمَى السِّياسِيَّ من أهمِّ أنواعِ العَمَى والاعتذار؛ وذلك لِأَنَّ الزَّعامَةَ والادارةَ، لها دَوْرُها الحَيُّ في تطوِيرِ المجتمعاتِ وتربيةِ الآحادِ، ونشرِ الصِّلاحِ أو الفسادِ وتركيزهما. لذلك جاءَ عن ائمةِ هَلِ البيتِ «ع» أنَّ أصلَ الفواحشِ والمفاسدِ وباطنِها، هو الامامُ الباطلُ، وأنَّ أصلَ الصالحاتِ والفضائلِ والخيراتِ والبركاتِ هو الامامُ الحقُّ^٢. ولقد مرَّ عن الامامِ أميرِ المؤمنينِ قوله: «.. فَإِنَّ الرعيَّةَ الصالحةَ تَنجُو بالامامِ العادلِ، ألا! وَإِنَّ الرعيَّةَ الفاجرةَ تَهْلِكُ بالامامِ الفاجرِ»^٣. ويأتي عن الامامِ جعفرِ الصادقِ قوله: «إِنَّ في ولايةِ الواليِ الجائرِ دَوَسَ الحَقِّ كُلَّهُ، واحياءَ الباطلِ كُلَّهُ، وَاظْهَرَ الظلمَ والجورَ والفسادَ..»^٤. وقد عُدَّ في بعضِ الاحاديثِ، تَوَلَّى الحاكِمِ الجائرِ كُفْرًا - كما يأتي.

فالامامُ الحاكِمِ العادلِ الحقِّ - او نائبه الحقيقيُّ اللائقُ - هو أصلُ الخيرِ كُلِّهِ للناسِ، والحاكِمُ الباطلِ الجائرِ وَعَمَلَاؤُهُ، همُ أصولُ الشرِّ كُلِّهِ. وانطلاقاً من هذا الاصلِ الاساسيِّ القويمِ، تَضافَرَتِ الرواياتُ الكثيرةُ عن النبيِ «ص» والائمةِ «ع»، التي تُعَلِّنُ أَنَّ «مَنْ ماتَ بِغَيْرِ امامٍ ماتَ ميتةً جاهليَّةً»^٥.

١ - الوسائل ١٧ / ٣.

٢ - رجال الكشي / ٢٩١؛ الوسائل ١٧ / ٣؛ لاحظ ايضاً: الحديث ١، من هذا الفصل، والحديث ١، من الفصل ١٤.

٣ - البحار ٨ / ٤٧٢ (طبعة الكمباني).

٤ - تحف العقول / ٢٤٥.

٥ - الكافي ٢ / ٢١؛ البحار ٨ / ١٢، عن تفسير العياشي؛ راجع ايضاً: الحديث ٧، من الفصل ٢، والحديث ٦، من الفصل ٣.

الفصلُ الحادي عشر

التَّحذِيرُ مِنْ مُوَازَرَةِ الْحُكُومَاتِ الْجَائِرَةِ

الكتاب

١ أَفْحُكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟ *

الحديث

- ١ النبي «ص»: اربعةٌ من قَواصِمِ الظُّهْرِ: اِمامٌ يَعِصِي اللَّهَ وَيُطَاعُ أَمْرُهُ ٢..
- ٢ النبي «ص»: .. مَنْ خَفَّ لِسُلْطَانٍ جَائِرٍ فِي حَاجَةٍ كَانَ قَرِينَهُ فِي النَّارِ، وَمَنْ دَلَّ سُلْطَانًا عَلَى الْجورِ قُرِنَ مَعَ هَامَانَ؛ وَكَانَ هُوَ وَالسُّلْطَانُ مِنَ اشَدِّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ٣..

١ - سورة المائدة (٥) : ٥٠.

٢ - البحار ١٠٣ / ٢٣٠، عن «الخصال».

٣ - ثواب الاعمال / ٣٣١.

٣ الامام علي «ع»: ألا، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ! مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسْبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوْا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاوَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمَغَالِبَةً لِأَلَانِهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ اسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ! وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا، وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ، الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ؛ وَهُمْ اسَاسُ الْفُسُوقِ وَ.. فَاعْتَبِرُوا بِمَا اصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ^١..

٤ الامام الباقر «ع» - في قول الله: «إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^٢، قال: «والله ما صَلَّوْا لَهُمْ وَلَا صَامُوا، وَلَكِنْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»^٣.

١ - نهج البلاغة / ٧٨٦: عبده ٢ / ١٦٦ - ١٦٧.

٢ - سورة التوبة (٩): ٣١.

٣ - الوسائل ١٨ / ٩٦.

الفصل الثاني عشر

الحكومات المجاورة وآثارها

الكتاب

- ١ .. إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ..^١
- ٢ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ؟ * .. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ *^٢
- ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا، يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّه كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: إذا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ، تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.^٤

١ - سورة النمل (٢٧) : ٣٤.

٢ - سورة الفجر (٨٩) : ٦، ٩ - ١٢.

٣ - سورة القصص (٢٨) : ٤.

٤ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي».

- ٢ الامام الباقر «ع»: .. وَاعْلَمَ يَا مُحَمَّدُ! أَنْ أئمةَ الجورِ وَأَتباعَهُمَ لمعزولونَ عن دينِ الله، قد ضلُّوا وأضلُّوا، فأعمالُهُم التي يعملونها كَرَمادٍ اشتدَّتْ به الرِّيحُ، في يومٍ عاصِفٍ، لا يَقْدِرُونَ مَعًا كَسبوا على شيءٍ، ذلك هو الضلالُ البعيدُ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - في قوله تعالى: «قُلْ هو القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فوقكم»^٣، قال: السلطانُ الجائرُ: «او من تحتِ أرجلكم»^٣، قال: السفلةُ ومن لا خيرَ فيه: «او يلبسُكم شيعاً»^٣، قال: العَصبيَّةُ: «ويُذيقُ بعضكم بأسَ بعضٍ»^٣، قال: سوءَ الجوارِ.^٤
- ٤ الامام الصادق «ع»: .. وذلك أن في ولايةِ الوالي الجائرِ دَوَسَ الحقَّ كُلَّهُ، واحياءَ الباطلِ كُلَّهُ، واطهارَ الظُّلمِ والجورِ والفسادِ، وإبطالَ الكتبِ، وقتلَ الانبياءِ والمؤمنينِ، وهدمَ المساجدِ، وتبديلَ سُنَّةِ الله وشرايعه، فلذلك حَرَّمَ العملُ مَعَهُم ومعونتُهُم والكسبُ مَعَهُم، إلاّ بجهةِ الضرورةِ، نظيرَ الضرورةِ الى الدَّمِ والميتةِ.^٥

١ - هو محمد بن مسلم، الراوي والمحدث المعروف.

٢ - الكافي ١ / ١٨٤.

٣ - سورة الانعام (٦): ٦٥.

٤ - تفسير القمي ١ / ٢٠٣؛ راجع ايضاً: تفسير «نور الثقلين» ١ / ٧٢٤.

٥ - تحف العقول / ٢٤٥.

الفصل الثالث عشر

الخروج من نور الاسلام الى ظلمات الحكومة الجائرة والنظام
الطاغوتي

الكتاب

- ١ .. والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ..^١
- ٢ الم ترَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ، يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ،
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا*^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: .. لا دين لمن دان بولاية امام جائر ليس من الله، ولا
عتب على من دان بولاية امام عدل من الله. قال (ابن ابي يعفور): قلت: لا
دين لاولئك ولا عتب على هؤلاء؟ فقال «ع»: نعم، لا دين لاولئك ولا عتب

١ - سورة البقرة (٢): ٢٥٧

٢ - سورة النساء (٤): ٥١

على هؤلاء. ثم قال: «أما تَسْمَعُ لِقَوْلِ اللَّهِ: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»، يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، لِيُؤَيِّدَهُم بِالنُّورِ كُلِّ أَمَامٍ عَادِلٍ مِّنَ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ». قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ عَنَىٰ بِهَا الْكُفَّارَ حِينَ قَالَ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا»؟ .. فَقَالَ: وَأَيُّ نُورٍ لِلْكَافِرِ - وَهُوَ كَافِرٌ - فَأَخْرَجَ مِنْهُ إِلَى الظُّلُمَاتِ؟ إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نُورِ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا أَنْ تَوَلَّوْا كُلَّ أَمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَرَجُوا بِوَلَايَتِهِمْ أَيَّامَهُمْ مِنَ نُورِ الْإِسْلَامِ إِلَى ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ؛ فَأَوْجَبَ لَهُمُ النَّارَ مَعَ الْكُفْرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^٢.

٢ الامام الصادق «ع» - عن ابي بصير قال: قلت لابي عبدالله «ع»: قول الله عز وجل في كتابه: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ»^٣؟ فقال: يا أبا بصير! إن الله عز وجل، قد عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ حُكَّامًا يَجُورُونَ، أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَعْنِ حُكَّامَ أَهْلِ الْعَدْلِ، وَلَكِنَّهُ عَنَى حُكَّامَ أَهْلِ الْجَوْرِ. يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ، فَدَعَوْتَهُ إِلَى حُكَّامِ أَهْلِ الْعَدْلِ، فَأَبَى عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ يُرَافِعَكَ إِلَى حُكَّامِ أَهْلِ الْجَوْرِ، لِيَقْضُوا لَهُ، لَكَانَ مِمَّنْ حَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ، وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ»^٤»^٥ ..

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٧.

٢ - المستدرک ٣ / ٢٤٥.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٨٨.

٤ - سورة النساء (٤) : ٦٠.

٥ - الوسائل ١٨ / ٣.

* المراد من عنوان الفصل (الخروج من نور الاسلام الى ظلمات الحكومة الجائرة والنظام الطاغوتي)، أن رفض الحكم الاسلامي المشرق، يساوق الاستسلام لحكومة الظالمين. ولا يقصد بهذا الاصل الا الحكم القرآني الصادق، الذي يكون تطبيق العدالة الاجتماعية في رأس اعماله، تبعاً لسيرة الانبياء «ع». ومن اللا حب أن مكافحة الطاغوت الاقتصادي وشجبه، يضح دستوراً اصلياً لهذا الحكم، اذ بدونها لا يرجى وجود عدالة اوقسط في الجماهير^١.

فعلى هذا الاصل المسلم، اذا لم يكن موضوع العدالة الاجتماعية والاقتصادية وتغلغل القسط في حياة الناس مطروحاً في حكم - بل كان مطرحاً - ولم يعتد به كما يليق، وصارت المسائل والمشاكل الاصلية غير اصلية، وغير الاصلية اصلية وعرف بها هكذا، واكتفي في تنفيذ تلك المهام بالوعظ المجرد، ولم يقطع نفوذ المتكاثرين والاغنياء في مصائر الامور - ولو باي اسم كان - ولم يحصل المستضعفون والمحرومون على شيء من حقوقهم المسلوقة، فإن من البدهي أن حكماً كهذا لا يكون ذلك الحكم الاسلامي المشرق المنشود، الذي ينير سبل الحياة الانسانية، ويسعد الافراد، ويخلق بالمجتمع الى اوج الرقي والعظمة. والتعاليم تقصد الحكم المنشود، لا غير.

١ - ولأجل ذلك نرى أن القرآن الكريم يقول - حينما يرسم منهاج الانبياء لحركاتهم التغييرية -: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..» (سورة غافر : ٢٣ - ٢٤). فالطاغوت الاقتصادي كان ايضاً غرضاً من الاغراض التي كان الانبياء «ع» يستهدفونه ويرشقونه بسهامهم لتدميره.

ولقد جاء البحث ضافياً حول هذا الموضوع الهام الاسلامي المصيري، في الباب الحادي عشر، في الجزء الثالث، فراجع.

الفصل الرابع عشر

وجوب رفض الحكومات اللادينية

الكتاب

- ١ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ..^١
- ٢ الذين آمنوا يُقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يُقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا اولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفا *^٢
- ٣ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به ..^٣
- ٤ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من الله من اولياء، ثم لا تنصرون *^٤

الحديث

-
- ١ - سورة النحل (١٦) : ٣٦.
 - ٢ و ٣ - سورة النساء (٤) : ٧٦ و ٦٠.
 - ٤ - سورة هود (١١) : ١١٣.

١ الامام الصادق «ع» - في كتابِ الى المُفضَّل الجُعفي: .. إِنَّ الله - تبارك وتعالى - اختارَ الاسلامَ لنفسِه ديناً ورَضِيَ مِن خَلقِه، فلم يَقْبَلِ من احدٍ إلا به، وبه بَعَثَ انبياءَه ورُسُلَه ثم قال: «وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل»^١؛ فعليه وبه بَعَثَ انبياءَه ورُسُلَه ونبيّه محمداً «ص». فأفضَلُ الدين معرفةُ الرسل وولايتهم. وأخبرك أن الله أحلَّ حلالاً وحَرَمَ حراماً الى يومِ القيامة. فمعرفةُ الرسل وولايتهم وطاعتهم هو الحلال؛ فالمُحلَّل ما أحلَّوا والمُحرَّم ما حَرَمُوا، وهُم أصلُه ومنهمُ الفروع الحلال، وذلك سعيهم. ومن فروعهم امرهم شيعتهم واهل ولايتهم بالحلال: من إقام الصلاة وابتاء الزكاة و.. و .. وجميع البر؛ ثم ذَكَرَ بعد ذلك فقال في كتابه: «إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^٢؛ فَعَدُّوهُمْ هُمُ الْحَرَامَ الْمُحَرَّمِ، وَأَوْلِيَاؤُهُمُ الدَّاخِلُونَ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهُمُ الْفَوَاحِشُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَالْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالزَّانَا وَالرَّبَا وَالِدَّمُ وَالْمَيْتَةُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ؛ فَهُمُ الْحَرَامَ الْمُحَرَّمِ وَأَصْلُ كُلِّ حَرَامٍ، وَهُمُ الشَّرُّ وَأَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْهُمْ فُرُوعُ الشَّرِّ كُلِّهِ .

ومن ذلك، الفروعُ الحرامُ واستحلَّاهم اياها. ومن فروعهم تكذيبُ الانبياء، وجُحودُ الأوصياء، وركوبُ الفواحش: الزنا والسرقه وشرب الخمر والمسكرِ واكل مال اليتيم واكل الربا والخدعة والخيانة وركوب الحرام كُلِّها وانتهاك المعاصي.

وانما يَأْمُرُ اللهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، يعني مودة ذِي الْقُرْبَىٰ وَابْتِغَاءَ طَاعَتِهِمْ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، وهم اعداءُ الانبياءِ وَاوصياءِ الانبياءِ. وهُمُ الْمَنْهِيُّ عَنِ مَوَدَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، يَعِظُكُمْ بِهَذِهِ

١ - سورة الاسراء (١٧): ١٠٥.

٢ - سورة النحل (١٦): ٩٠.

الفصل الرابع عشر : وجوب رفض الحكومات اللادينية

لعلكم تذكرون. وأخبرك أنني لو قلت لك: إن الفاحشة والخمر والميسر والزنا والميتة ولحم الخنزير هو رجل، وأنا أعلم أن الله قد حرم هذا الاصل وحرّم فرعه ونهى عنه وجعل ولايته كمن عبد من دون الله وثناً وشركاً؛ ومن دعا الى عبادة نفسه فهو كفرعون اذ قال: «أنا ربكم الاعلى»، فهذا كله على وجهٍ إن شئت قلت: هو رجل، وهو الى جهنم، ومن شايعه على ذلك، فانهم مثل قول الله: «انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير»^١ لصدقت.

ثم لو أنني قلت: إنه فلان ذلك كله لصدقت، إن فلاناً هو المعبود المتعدي حدود الله التي نهى عنها أن تتعدى.

ثم إنني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل؛ وذلك الرجل هو اليقين وهو الايمان، وهو امام أمته وأهل زمانه. فمن عرفه عرف الله ودينه، ومن انكره أنكر الله ودينه، ومن جهله جهل الله ودينه؛ ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرايعه بغير ذلك الامام؛ كذلك جرى بأن معرفة الرجال دين الله^٢ ..

الفات نظر

هذا الحديث يُبين ايضاً (كالا حاديث التي مرّت في الفصول الاربعة السالفة)، اهمية الحكم الحق، في وضوح تام واتجاه حاسم، مُردِفاً بذكر امثلة من الواقع الراهن، في كلتا الجهتين: الصّلاح والفساد؛ ويؤكد تأثير ذلك الحكم الايجابي في تطبيق دين

١ - سورة النازعات (٧٩) : ٢٤.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٧٣.

٣ - البحار ٢٤ / ٢٨٨ - ٢٩٠. عن «السرائر».

الله وتنفيذ شرائعه، بحيث يُعدُّ الامامَ والحاكمَ الحقَّ تجسيدا لكلِّ خيرٍ وطاعةٍ وبرٍّ وصلاحٍ، ويراها عينَ الايمان واليقين؛ ويُعدُّ الحاكمَ الباطلَ تجسيدا لكلِّ فسادٍ ومعصيةٍ وفجورٍ وسقوط.

ومما يظهر من هذا التعليم، اهتمامُ الإمامِ الصادق «ع» بتبيين فلسفة الاسلام السياسية الصحيحة وتوعية الناس لها، واعتداده البالغ بهذا الاصل العظيم، حيث يُعلِّمه بهذا الشكل لتلميذه المفضل ابن عمر الجعفي ولسائر المسلمين.

وكلُّ ذلك يرمي الى غرض:

أ - نشر التوحيد الحق،

ب - بسط العدالة الاجتماعية والاقتصادية،

ج - قيام المجتمع الانساني بالقسط،

د - وبالعدل،

هـ - وبالمؤاساة والمساواة.

تذييلان

١ - الالتفاف حول الحاكم الاسلامي

١ الامام الباقر «ع»: .. ذُرْوَةُ الامر، وَسَنَامُهُ، ومفتاحُهُ، وبابُ الاشياء، ورضا الرحمان، الطاعةُ للامام بعد معرفته^١..

٢ الامام الباقر «ع»: قال رسولُ الله «ص»: ما نَظَرَ اللهُ عز وجل الى وليِّ له، يُجِهدُ نفسه بالطاعةِ لِامامه والنصيحةِ، إلا كان معنا في الرفيقِ

١ - الكافي ١ / ١٨٥.

الأعلى^١.

٣ الامام الباقر «ع»: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ»^٢، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَقُومُونَ فِي النَّاسِ فَيُكذِّبُونَ، وَيَظْلِمُهُمْ أئِمَّةٌ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَأَشْيَاعُهُمْ؛ فَمَنْ وَالَاهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَهُوَ مِنِّي وَمَعِيَ وَسَيَلْقَانِي. أَلَا! وَمَنْ ظَلَمَهُمْ وَكذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا مَعِيَ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»^٣.

٤ الامام الصادق «ع»: مَنْ خَلَعَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ قَدَرَ شِبْرٌ، خَلَعَ رَبَّقَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ. وَمَنْ نَكَثَ صَفْقَةَ الْإِمَامِ، جَاءَ إِلَى اللَّهِ أَجْذَمًا^٤.

٥ الامام الرضا «ع» - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فِي بَيَانِ مَعْنَاهِ التَّأْوِيلِيِّ):^٥ «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ»^٦، قَالَ: السَّمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ «ص» رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَالْمِيزَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» نَصَبَهُ لِخَلْقِهِ. قُلْتُ: «أَلَا تَطْفُوا فِي الْمِيزَانَ»؟ قَالَ: لَا تَعْصُوا الْإِمَامَ. قُلْتُ: «وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ»^٦؟ قَالَ: أَقِيمُوا الْإِمَامَ الْعَدْلَ. قُلْتُ: «وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ»^٦؟ قَالَ: لَا تَبْخَسُوا الْإِمَامَ حَقَّهُ وَلَا تَظْلِمُوهُ^٧.

١ - الكافي ١ / ٤٠٤.

٢ - سورة الاسراء (١٧): ٧١.

٣ - الكافي ١ / ٣١٣.

٤ - البحار ٢ / ٢٦٧، عن «المحاسن».

٥ - لقد اشرنا الى «المعنى التأويلي»، في الجزء الاول، في الفصل ٤، من الباب ٣؛ وفي هذا الجزء، في الفصل ٤٥، من الباب ٦.

٦ - سورة الرحمن (٥٥): ٧ - ٩.

٧ - البحار ٣٦ / ١٧٢، عن «تفسير القمي».

٢ - آثار متابعة الحاكم الحقّ والنظام القرآنيّ الصّالح

- ١ النبي «ص» : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً تُشْبِهُ حَيَاةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَمُوتَ مِيتَةً تُشْبِهُ مِيتَةَ الشَّهَدَاءِ، وَيَسْكُنُ الْجَنَانَ الَّتِي غَرَسَهَا الرَّحْمَانُ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا، وَلْيُوَالِ وَلِيَّهُ، وَلْيَقْتَدِ بِالْإِثْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ عَتَرْتِي، خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي^١ ..
- ٢ الامام الباقر «ع» : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدْنِيهَا رَبِّي، وَيَتَمَسَّكَ بِقَضِيبِ غَرَسِهِ رَبِّي بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَوْصِيَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُدْخِلُونَكُمْ فِي بَابِ ضَلَالٍ، وَلَا يُخْرِجُونَكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى^٢ ..

إشارة

إِنَّ هَذَا التَّعْلِيمَ النَّبَوِيَّ الْهَامَّ - وَامثاله، وهي كثيرةٌ وذاتُ
إبلاغٍ حاسم - يُشِيرُ إِلَى فِلْسَفَةِ تَأْكِيدِ النَّبِيِّ الْهَادِي «ص» عَلَى
اتِّبَاعِ أَوْصِيَاءِهِ - يَعْنِي الْإِمَامَ عَلِيًّا وَالْإِثْمَةَ مِنْ وُلْدِهِ - وَحَصْرِهِ
الْهُدَايَةَ وَالنَّجَاةَ فِي اتِّبَاعِهِمْ. وَهِيَ أَنْهُمْ لَا يُدْخِلُونَ الْأُمَّةَ فِي
«بَابِ ضَلَالٍ» وَلَا يُخْرِجُونَهَا مِنْ «بَابِ هُدًى».

وَلَقَدْ جَاءَتِ الْكَلِمَتَانِ نَكْرَتَيْنِ، لَتَدُلُّ عَلَى جَمِيعِ مَصَادِقِ
الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالِ - صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَحَقِيرِهَا وَجَلِيلِهَا - فِي كُلِّ
أَبْوَابِ الْمُعْتَقَدِ وَالْعَمَلِ.

وَلَأَجْلِ ذَلِكَ - وَتَصَدِيقًا لِلنَّبِيِّ «ص» وَمَتَابَعَةً لِتَعَالِيمِهِ
الْهُدَايَةِ - نَقُولُ فِي زِيَارَةِ أَوْصِيَاءِهِ:

الفصل الرابع عشر: وجوب رفض الحكومات اللادينية

« ١ - الحقُّ ما رَضَيْتُمُوهُ،

٢ - والباطلُ ما أَسَخَطْتُمُوهُ؛

٣ - والمعروفُ ما أَمَرْتُمُ بِهِ،

٤ - والمُنكَرُ ما نَهَيْتُمُ عَنْهُ».

فلاحقاً الآ ما خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَا بَاطِلَ إِلَّا مَا نَبَذُوهُ؛ وَلَا
مَعْرُوفَ إِلَّا مَا أَمَرُوا بِهِ، وَلَا مُنْكَرَ إِلَّا مَا نَهَوْا عَنْهُ.
وهذا هو الإطار الرصين، للحكمة النظرية والعملية عند
أتباع اهل البيت «ع»، في كل آفاق المعرفة والعلم، والحركة
والعمل.

- ٣ الامام الباقر «ع»: إِنَّ الرُّوحَ، والرَّاحَةَ، والفَلَجَ، والعونَ، والنَّجَاحَ، والبركةَ،
والكَرَامَةَ، والمَغْفِرَةَ، والمُعَافَاةَ، واليُسْرَ، والبُشْرَى، والرِّضْوَانَ، والقُرْبَ،
والنَّصْرَ، والتَّمَكُّنَ، والرَّجَاءَ، والمحبةَ مِنْ الله عز وجل، لِمَنْ تَوَلَّى عَلِيًّا
وَأَتَمَّ بِهِ، وَبَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّهِ، وَسَلَّمٌ لِفَضْلِهِ، وللأوصياءِ مِنْ بَعْدِهِ!..
- ٤ النبي «ص»: يَوْمٌ وَاحِدٌ مِنْ سُلْطَانٍ عَادِلٍ، خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،
وَاحِدٌ يُقَامُ فِي الأَرْضِ أَزْكَى مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ^٢.
- ٥ الامام علي «ع»: عَدْلُ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِنْ خِصْبِ الزَّمَانِ^٣.

١ - الكافي ١ / ٢١٠ .

٢ - المستدرک ٣ / ٢١٦ .

٣ - البحار ٧٨ / ١٠ .

نظرة الى الباب

هناك كلمتان، في القاموس الاسلامي الكبير: الولاية والامامة. الكلمة الاولى تشير الى معنى عام دقيق، يشمل الامامة والولاية الباطنية. والولاية الباطنية، هي الولاية الالهية العامة الكلية التي فوضت الى الولي، من الله تعالى. وهي ادارة الكائنات والاشراف عليها، باذن من الله، وبنوع من السببية والوساطة، في مصداقهما الأعلى. وقد نفى الله تعالى أن يكون له ولي من الدّل، ولكن له ولي من العز والكبرياء. وأبى الله أن يجري الامور الا بأسبابها. ووجود الولي وتصرفه في العالم، هو السبب الاول الذي صدر من مسبب الاسباب، هذا ..

وأما الامامة، فهي الزعامة والحكومة والرئاسة العامة في الدنيا والدين، الثابتة للنبي «ص» والائمة «ع» من بعده.

لقد بعث الانبياء لانقاذ المجتمعات البشرية وتعليمهم وحملهم على القسط، في العمل والاتجاه. وهذا هدف كبير شامل، لا يُنال الا بالقدرة والحكومة. فاذا ظهر في المجتمع نبي ودعا الى الله والى الصالحات، وكان هناك طاغوت يدعو الناس الى الانحلال في العقيدة والفساد في العمل، وكانت القدرة بيده وتطوير المجتمع متاحاً له، وخنق أصوات الدعوة وتشويهها في مقدوره، وكان يحمل الفئات على المقاصد السيئة والفاصلة، أتكون الغلبة والنجاح للنبي أو للطاغوت؟

فعلى هذا لا يمكن لأي مصلح يدعو الناس الى الصلاح ويؤمن بدعوته أن يقتنع بالإنذار والوعظ المجرد، وأن يهمل جانب التنفيذ والتطبيق، وان يدع النظم الحاكمة بيد الآخرين؛ لأن ذلك ينتهي الى إبادة

تلك الدعوة ومحو آثارها. وهذا أصل واضح قد سار عليه الانسان في جميع أدواره وفي عامة مقاصده، ولم يكن الانبياء «ع» غافلين عنه. لأجل ما أشرنا اليه، قام الانبياء يكافحون السلطات مكافحةً وسبعة، ويدعون الناس الى شجب الجبابة والحكام غير الدينيين، كما كانوا يجاهدون - بأوسع معنى الكلمة - لتأسيس حكومة الله على الارض، ودعم أسسها، حتى يتسنى لرسالة الله التجسيد والخلود، وللناس الحركة الى نيل السعادات والغايات الكريمة الخيرة الفاضلة، في ظلال تلك الحكومة.

وكان نبينا الاعظم في مقدم هذا الخط، ولا سيما وهو خاتم النبيين وآخر من أتى برسالة الله تعالى. لأجل ذلك قد أسس الحكومة الاسلامية والامامة الدينية بيده، وتصدى لها بنفسه، فكان يفرق عماله في النواحي، ويقود الجيوش أو ينصب من يقودها، ويأخذ الاموال ويقسمها بين الناس، ويكتب الى السلاطين والأمرء يدعوهم الى الاسلام والاستسلام، والى رفع اليد عن الناس وتخليه سبيلهم لأن ينضموا الى المجتمع الواحد الذي لا يسوده الا الاسلام، ولا تجري فيه الا رسالات الله، حتى يخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله تعالى.

وكان هذا الاصل الرئيسي، هو العلة والحكمة في تعيين الوصي والنص والتأكيد عليه، حتى يستمر أمر الدين، ويبقى الاسلام - على ما هو عليه - من غير أن يتطرق اليه تحريف أو تشويه أو تعطيل؛ فنجد النبي «ص» ينص على الوصي من بعده ويؤكد عليه، مرات ومرات، ويصرح به. منها ما جاء في الحديث المتواتر من طرق الفريقين: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي». فالكتاب هو التعليم والدعوة، والعترتهم الضمان للتجسيد.

فالمقصود من الولاية هنا، هي الزعامة والحكومة الدينية التي

يَتَصَدَّى لها النبيُّ في زمانه، ثم يتصدَّى لها أوصياؤه من بعده، ثم يتصدَّى لها العلماءُ الربانيون^١. وهذه هي الفلسفةُ السياسيّة في الاسلام. فالاسلام ليس مجردَ دعوةٍ ووعظ، من غير أن يكونَ داعياً الى تأسيسِ حكمٍ وضمانة تنفيذ، بل هو منهُجٌ جامع عمليٌّ يقوم بأمر التعليم لقوانينه، ويسعى على استمرارية ذلك وتنفيذه وتعميمه. والنبي - في «المدينة الاسلامية» - هو المعلّم الأول والرئيس والحاكم المُطاع، من جانب الله تعالى. وهذا المنصبُ الجامع لامين: التعليم والتجسيد، يَنقَلُ بعدَ النبي الى أوصيائه - واحداً بعدَ واحد - حتى لا يخلُو المجتمع من حاكمٍ حقّ عالمٍ بكل الاسلام، مستوعبٍ له. فالأوصياء هم مظاهرُ حكومة الله على الارض، واستمرارُ الحكم الالهيّ الجاري في التاريخ بيد الانبياء.

وهذا المنصبُ هو الذي ينتقل بعد الأوصياء، الى العلماء العاملين - لا كلّ أحدٍ من الفقهاء ومؤلفي الرسائل العملية، بل الى الربانيّ الأوحد في كلّ عصر^٢ - وهذا هو المفهومُ الذي قد يُعبَّرُ عنه بـ «ولاية الفقيه».

فالولايةُ الثابتة للنبيّ والائمة، بعد ولاية الله (إنما وليكم الله ورسوله ..)^٣، تشملُ الحكومةَ الظاهرة أيضاً - بل لا يُمكنُ أن لا تشملها - وهي لا تنفكُ عن الولاية الكليّة المطلقة.

ففي النظم الاسلامية، لا يصحُّ أن يترأسَ أحدٌ، الا النبيّ، أو نائبُ النبي وهو الوصيّ، أو نائبُ الوصيّ وهو الربانيّ الأوحد في كلّ عصر^٤. وهذا أصلٌ ينادي بصوتٍ عال، بأهميّة الضمانة التجسيدية للاحكام، وهي القدرة والحكومة؛ وأنّ تأسيسَ النظام الاسلامي هو روح الدين،

١ - راجع: كلمتنا في آخر الباب ٨.

٢ - على صورة تكلمنا عنها، في النظرة الى الباب ٨، وفي الاشارة التي جاءت في آخرها.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٥٥.

٤ - راجع: النظرة الى الباب ٨، والاشارة التي جاءت في آخرها.

وجوهرُ رسالةِ الله تعالى؛ وهو الكافلُ لبقاءِ الاسلامِ وبسطِ أحكامِهِ وقوانينِهِ.

وهذا المعني يرشدنا الى أمر مهمٍّ، وهو أن الاهمال أو الانحراف في الرئاسة والزعامة، في المجتمعاتِ الاسلامية، يستوجبان هدمَ الاسلامِ وذهابَ الحق والعدل، كما أن تصدّي غير الجدير من العلماء وتقدّمه وبروزه، يُؤدّي الي انغمارِ الحق وزواله. فليكن المسلمون - في هذه الازمان - على انتباهٍ لهذا الامر، أمام تمويهاتِ السّاسةِ والمستعمرين، ولتكن الطبقةُ الفاضلةُ متيقظةً، بالنسبةِ للمسائل التي أُشيرَ اليها في أخرياتِ البابِ المتقدم، ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم.

البابُ العاشر

الباب العاشر: الحاكم الاسلامي، وظائفه من واجباته ومسؤولياته؛ وفيه فصول :

الفصلُ الاوّل

اختيارات الحاكم الاسلامي وما يجب عليه

الكتاب

- ١ النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ١.
- ٢ إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * ٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - كَتَبَ «ص» لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ عَهْدًا عَلَى مَكَّةَ، وَكَتَبَ فِي أَوَّلِهِ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى جِيرَانِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَسُكَّانِ حَرَمِ اللَّهِ، أَمَا بَعْدُ .. وَقَدْ قَلَّدَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ أَحْكَامَكُمْ وَمَصَالِحَكُمْ، وَقَدْ

١ - سورة الأحزاب (٣٣): ٦.

٢ - سورة النور (٢٤): ٥١ - ٥٢.

فَوْضَ اليه تنبيهَ غافلِكُمْ، وتعليمَ جاهلِكُمْ، وتقويمَ أودِ مضطربِكُمْ، وتأديبَ مَنْ زال عن ادبِ الله منكم، لِمَا عَلِمَ مِنْ فضله عليكم .. فهو لنا خادمٌ، وفي الله أخٌ، ولأولياننا موال، ولأعدائنا مُعاد؛ وهو لكم سماءٌ ظليلة، وارضٌ زكية، وشمسٌ مُضيئة .. ولا يَحْتَجُّ مُحتَجُّ منكم في مخالفتِهِ بصغرِ سنِّه؛ فليس الاكبرُ هو الأفضل، بل الافضلُ هو الاكبرُ^١.

٢ الامام الصادق «ع»: قال رسولُ الله «ص»: أَيُّما مؤمنٍ او مسلمٍ ماتَ وترَكَ ديناً لم يكن في فسادٍ ولا اسرافٍ، فعلى الامامِ أَنْ يَقْضِيَهُ، فَإِنْ لم يَقْضِهِ فعليه إِثمٌ ذلك؛ إِنَّ الله - تبارك وتعالى - يقول: «إِنما الصَّدَقَاتُ للفقراءِ والمساكينِ ..»^٢، فهو مِنَ الغارمين، وله سَهْمٌ عندَ الامامِ، فَإِنْ حَبَسَهُ فَإِثمُهُ عليه^٣.

* جاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي: «.. إِنما صارتُ للامامِ وحده مِنَ الخمسِ ثلاثةُ أسْهُمٍ، لَأَنَّ الله قد ألزَمَهُ بما ألزَمَ النَّبِيَّ «ص»، مِنْ تربيةِ الأيتامِ، ومُؤنِ المسلمين، وقضاءِ ديونهم، وحملهم في الحج والجهاد. وذلك قولُ رسولِ الله لَمَّا أنزلَ اللهُ عليه: «النَّبِيُّ أَوْلَى بالمؤمنينِ مِنْ انْفُسِهِمْ ..»؛ وهو أَبٌ لَهُمْ، فَلَمَّا جَعَلَهُ اللهُ أباً للمؤمنين، لَزِمَهُ ما يَلزِمُ الوالدَ للولد، فقال عند ذلك: «مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ ديناً اَوْضِياًعاً فعَلَيَّْ وَالْيَّ»^٤. فَلَزِمَ الامامَ ما لَزِمَ

١ - البحار ٢١ / ١٢٢ - ١٢٣، عن «تفسير الامام العسكري».

٢ - سورة التوبة (٩) : ٦٠.

٣ - الكافي ١ / ٤٠٧.

٤ - جاء هذا التعبير في «تفسير القمي» (١ / ٢٧٨) هكذا: «فعلى الوالي»، ولعلَّ الكلام الذي جاء بعده، وكذلك بعض الاحاديث الأخرى، يؤيدان هذا التعبير أيضاً.

الفصل الأول : اختيارات الحاكم الاسلامي..

الرَّسُولَ «ص»، فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم^١.
وجاء في التفسير المذكور: «.. فلَمَّا جعلَ اللهُ النَّبِيَّ أباً
للمؤمنين أَلزَمَهُ مؤونَتَهُم وتربيةَ ايتامِهِم، فعندَ ذلك صعدَ رسولُ
الله «ص» المنبرَ فقال: «مَن تركَ مالاً فَلِوَرثَتِهِ، ومن تركَ ديناً
اوضياً عَافَ عَلَيَّ وَالْيَ»^٢. فالزم اللهُ نبيَّهُ للمؤمنين ما يلزمه الوالد، والزمَ
المؤمنين من الطَّاعة له ما يلزم الولدَ للوالد؛ فكذلك الزمَ اميرَ
المؤمنين «ع» ما الزمَ رسولُ اللهُ «ص» من بعدِ ذلك، وبعده الائمة
واحدًا واحدًا»^٣.

٣ الامام علي «ع»: الواجبُ في حكمِ الله وحكمِ الاسلامِ على المسلمين ..
أن لا يعملوا عملاً ولا يُقدِّموا يداً ولا رجلاً، قبلَ أن يختاروا لانفسِهِم اماماً،
عفيفاً، عالماً، ورِعاً، عارِفاً بالقضاءِ والسُّنة، يَجبي فيئهِم، ويُقيمَ حجَّهم
وجُمعتَهُم، وَيَجبي صدقاتِهِم^٤ ..

٤ الامام الصادق «ع» - قال أبانُ بنُ تغلب: سألتُ عن جعفرِ بنِ محمد «ع» عن

١ - تفسير القمي ١ / ٢٧٨: البحار ٩٦ / ١٩٨.

٢ - معلوم ان المراد: من ترك ديناً وليس له مال يُؤدِّي به دينه، او ترك ضياعاً وليس له وارث. وانما يرجعُ
الى النبيِّ او الامامِ والوالي، لكي يصرفه هو في مصالح المسلمين وما ينوبه من تموينهم وتربيةِ
اولادِهِم وحملِهِم في الحجِّ والجهاد، وما الى ذلك.

٣ - تفسير القمي ٢ / ١٧٦.

* تنبيه واعتذار: لقد جاء - في الطبعاتِ السابقة لهذا الكتاب - ما اوردناه هنا عن تفسير
الثقة الجليل، الشيخ ابي الحسن علي بن ابراهيم القمي، باسم «الامام العسكري» «ع» ومنسوباً
اليه بصورة حديثين. وذلك لسهوَ وقع، فاختلف التفسيرُ المذكور بتفسير الامام العسكري عند
النقل. ونحن هنا ننبهُ القراء الكرام على هذا السهوَ ونعتذرُ اليهم، ونرجو منهم تصحيح النسخة
التي هي لديهم، إن كانت من الطبعات السابقة؛ ولا عصمة الآلهة.

٤ - البحار ٨٩ / ١٩٦، عن «كتاب سليم بن قيس الهلالي» / ١٦١ - ١٦٢.

قول الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ»^١ فِيمَنْ نَزَلَتْ؟ قال: «فينا والله نزلت خاصةً، ما شَرِكْنَا فِيهَا أَحَدًا». قلتُ: فإنَّ أبا- الجارودِ رَوَى عن زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ «ع» أنه قال: «الخُمْسُ لَنَا - مَا احْتَجْنَا إِلَيْهِ - فَإِذَا اسْتَغْنَيْنَا عَنْهُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَبْنِيَ الدُّورَ وَالْقُصُورَ». قال: «فهو كما قال زيد ..»^٢.

٥ الامام الكاظم «ع»: .. له (الامام) بعد الخمس، الأنفال .. وهو وارث من لا وارث له، يعول من لا حيلة له^٣ ..

٦ الامام الصادق «ع» - في تفسير معنى الولايات؛ وهي جهتان: فأحدي الجهتين من الولاية، ولايةُ ولايةِ العدل، الذين أمر الله بولايتهم وتوليتهم على الناس .. والجهةُ الأخرى، من الولاية، ولايةُ ولايةِ الجور .. فوجهُ الحلال من الولاية، ولايةُ الوالي العادل الذي أمر الله بمعرفته وولايته، والعملُ له في ولايته، وولايةُ ولايته، وولايةُ ولايته، بجهةٍ ما أمر الله به الوالي العادل، بلا زيادةٍ فيما أنزل الله به ولا نقصانٍ منه .. وذلك أن في ولايةِ والي العدل وولايته، إحياء كلِّ حقٍّ وكلِّ عدلٍ، وإماتة كلِّ ظلمٍ وجورٍ وفساد. فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه، والمعينُ له على ولايته، ساعياً في طاعةِ الله، مُقَوِّياً لدينه^٤ ..

٧ الامام الصادق «ع» - عن محمد بن عليِّ الحلبي قال: قلتُ له: ما يُعطى

١ - سورة الانفال (٨) : ١.

٢ - البحار ٩٦ / ٢٠٢، عن «تفسير فرات الكوفي».

٣ - الوسائل ٦ / ٣٦٥.

٤ - تحف العقول / ٢٤٤.

- المُصَدِّق؟ قال: «ما يرى الامام، ولا يُقدَّر له شيء»^١.
- ٨ الباقران «ع» - روى محمد بن مسلم وزرارة بن أعين عنهما، قالوا: «وضع امير المؤمنين «ع» على الخيل العتاقِ الراعية، في كلِّ فرسٍ، في كلِّ عام دينارين، وجعل على البراذين ديناراً»^٢.
- ٩ الامام الصادق «ع» - في قولِ الله: «والعاملينَ عليها»^٣، قال: هُم السُّعَاةُ عليها، يُعطيهِم الامامُ مِنَ الصَّدَقَةِ بقدر ما يراه، ليس في ذلك توقيتٌ عليه^٤.
- ١٠ الامام الصادق «ع»: الامامُ يَرى رأيه بقدر ما اراهُ الله، فإن رأى أن يُقسِمَ الزكاةَ على السَّهام التي سَمَّاهَا اللهُ قَسَمَها؛ وإن أعطى اهلَ صنف واحد، رآهم أحوَجَ لذلك في الوقت، أعطاهم^٥..
- ١١ الامام الرضا «ع» - فيما نقله فضل بن شاذان الأزدي: فإن قال: فلمَ جُعِلَتِ الخُطبة؟ قيل: لأنَّ الجُمعةَ مشهُدٌ عامٌ، فأرادَ أن يكونَ للامامِ (للامير - خ ل)، سببٌ الى موعظتِهِم وترغيبِهِم في الطاعة وترهيبِهِم من المعصية، وتوقيفِهِم على ما ارادوا من مصلحةِ دينِهِم ودنياهِم، ويُخبرَهُم بما وُردَ عليهم من الآفات، ومن الاهوالِ التي لهم فيها المضرَّةُ والمنفعةُ^٦.
- ١٢ الامام الرضا «ع» - جاء المأمونُ اليه ومعَه كتابٌ طويلٌ .. فقرأ ذلك الكتابَ عليه، فاذا هو فتحٌ لبعضِ قُرَى كابلٍ .. فلما فرغ قال له الرضا «ع»: وسرَّكَ فتحُ قريةٍ من قُرَى الشرك؟ فقال له المأمون: أوليس في ذلك سرورٌ؟ فقال: إتقِ الله في أُمَّةٍ محمد «ص» وما وُلاكَ اللهُ مِن هذا الامرِ وخَصَّكَ به،

١ و ٢ - الوسائل ٦ / ١٤٤ و ٥١.

٣ - سورة التوبة (٩): ٦٠.

٤ و ٥ - دعائم الاسلام ١ / ٢٦٦ و ٢٦٧.

٦ - علل الشرايع / ٢٦٥: البحار ٦ / ٧٣ - ٧٤.

فإنك قد ضيّعت أمور المسلمين، وفوّضت في ذلك الى غيرك، يحكمُ فيهم
بغير حكمِ الله عز وجل، وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط
الوحي، وان المهاجرين والانصار يُظلمون دونك، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلا
ولا ذمّةً، ويأتي على المظلوم دهرٌ يُتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته، فلا يجد
من يشكوا اليه حاله .. أما علّمت أن والي المسلمين مثل العمود في وسط
الفسطاط، من اراده أخذهُ^١.

١٣ الامام الرضا «ع»: .. إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا،
وعز المؤمنين. إن الامامة أس الاسلام النامي، وفرعه السامي. بالامام
تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد وتوفير الفيء
والصدقات، وامضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف^٢.

١ - البحار ٤٩ / ١٦٥، عن «عيون اخبار الرضا».

٢ - تحف العقول / ٣٢٣.

الفصل الثاني

الحاكم الاسلامي ومسؤولياته الشخصية

الكتاب

- ١ يا داوُد اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْاَرْضِ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ..^١
- ٢ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ، أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ، فَاِن جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم اَوْ اَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَاِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلن يَضُرُّوكَ شَيْئًا، وَاِن حَكَمْتَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ، اِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٢
- ٣ وَاِن اَحْكُم بِمَا اَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعِ اَهْوَاءَهُمْ، وَاَحْذَرُهُمْ اَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا اَنْزَلَ اللَّهُ اِلَيْكَ ..^٣

الحديث

١ - سورة ص (٣٨) : ٢٤.

٢ و ٣ - سورة المائدة (٥) : ٤٢ و ٤٩.

١ الامام علي «ع»: من عبدالله امير المؤمنين الى قثم بن العباس: سلام عليك! اما بعد .. فقم على ما في يدك مما اليك، مقام الصليب الحازم، المانع سلطانه، الناصح للأمة؛ ولا يبلغني عنك وهن، ولا خور، وما تعتذر منه. ووطن نفسك على الصبر في البأساء والضراء. ولا تكونن فشلاً، ولا طائشاً، ولا رعديداً. والسلام^١.

٢ الامام علي «ع» - من عهده للأشتر النخعي: ثم أمور من امورك، لا بد لك من مباشرتها: منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك، بما تخرج به صدور أعوانك. وأمض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه^٢ ..

٣ الامام علي «ع» - من العهد المذكور: وان ظنت الرعية بك حيفاً، فأصحر لهم بغيرك، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارك، فان في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق^٣.

١ - البحار ٨ / ٦٨٢ (طبعة الكمباني)؛ راجع ايضاً: نهج البلاغة / ٩٤٢؛ عبده ٣ / ٦٥ - ٦٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٢٢؛ عبده ٣ / ١١٣ - ١١٤.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٢٦؛ عبده ٣ / ١١٦.

الفصل الثالث

الحاكم الاسلامي وعماله

أ - اصطفاء العمال والولاة

الكتاب

- ١ قال : رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ *
- ٢ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ، فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ *
إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُتَّقِينَ *
- ٣ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، قَالَ :
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ : لَأَيُّنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *

١ - سورة القصص (٢٨) : ١٧.

٢ - سورة الجاثية (٤٥) : ١٨ - ١٩.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٢٤.

الحديث

١ الامام علي «ع» - من العهد الاštري: ثم انظر في أمور عمالك: فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباةً وأثرةً، فانهما جماعٌ من شعب الجور والخيانة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الاسلام المتقدم، فإنهم أكرم اخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً. ثم أسبغ عليهم الارزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحنة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم، وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لا مورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية^١.

٢ الامام علي «ع» - من ذلك العهد: ومهما كان في كتابك من عيب، فتغابيت عنه ألزمته^٢ ..

٣ الامام علي «ع» - مما كتبه الى عبدالله بن العباس، وهو عامله على البصرة: فأربع ابا العباس - رحمك الله - فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر، فإننا شريكان في ذلك. وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأبي فيك. والسلام^٣.

ب- الرقابة العامة

١ - نهج البلاغة / ١٠١١: عبده ٣ / ١٠٥.

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٦: عبده ٣ / ١٠٩.

٣ - نهج البلاغة / ٨٦٨: عبده ٣ / ٢١.

الكتاب

- ١ .. وما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا *^١
- ٢ .. وقال موسى لِأَخِيهِ هَارُونَ : أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - من العهد الأشرقي: ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقَلَّةٌ انصافٍ فِي مَعَامَلَةٍ، فَاحْسِمِ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ. وَلَا تُقَطِّعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ مَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرِبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَوْجِبَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالزِّمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ؛ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، واقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.^٣
- ٢ الامام الرضا «ع» : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» إِذَا وَجَّهَ جَيْشًا فَأَمَّهُمْ أَمِيرٌ، بَعَثَ مِنْ ثِقَاتِهِ مَنْ يَتَجَسَّسُ لَهُ خَبْرَهُ.^٤

١ سورة الكهف (١٨) : ٥١.

٢ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٢٥ : عبده ٣ / ١١٥ - ١١٦.

٤ - البحار ١٠٠ / ٦١، عن «قرب الاسناد».

٣ الامام علي «ع» - كتب الى مصقلة بن هبيرة الشيباني، عامله على ارض شير -
خُرَّة: أما بعد! فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش على اهل
المصر غش الامام. وعندك من حق المسلمين، خمس مئة الف درهم،
فأبعث بها الي حين يأتيك رسولي، والّا فأقبل الي حين تنظر في كتابي.
فإني قد تقدمت الى رسولي أن لا يدعك ساعة واحدة تُقيم بعد قدومه
عليك، إلا ان تبعث بالمال. والسلام^١.

ج - الرقابة الخاصة، على المواقف القضائية، و..

الكتاب

١ إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن
تحكموا بالعدل، إن الله نعيمًا يعظكم به، إن الله كان سميعاً بصيراً*^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - من العهد الاštري: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل
رعيته في نفسك! ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا

١ - البحار ٨ / ٦١٨ (طبعة الكمباني).

٢ - سورة النساء (٤): ٥٨.

الفصل الثالث : الحاكم الاسلامي وعماله

يَتَمَادَى فِي الرِّزْلَةِ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فِهِمْ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمِرَاجِعَةِ الْخِصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ؛ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءُ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءُ، وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقَلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ؛ فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أُسِيرًا فِي أَيْدِي الْإِشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا.

د - الجند وأحواله

الكتاب

- ١ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا، كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ * ٢
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا، إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ

١ - نهج البلاغة / ١٠٠٩ - ١٠١٠؛ عبده ٣ / ١٠٤ - ١٠٥.

٢ - سورة الصف (٦١) : ٤.

صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا، إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *^١

٣ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا، وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ *^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - من العهد الأشتري: فالجنودُ باذنِ الله حُصُونُ الرعية، وزينُ الولاية، وعزُّ الدين، وسبُلُ الأمن، وليس تقومُ الرعيةُ الا بهم. ثم لا قوامَ للجنود الا بما يُخرجُ الله لهم من الخراجِ الذي يَقوون به على جهادِ عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكونُ من وراءِ حاجتهم^٣.

٢ الامام علي «ع» - من العهد: قولٌ من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يُبْطئُ عن الغضب، ويستريحُ الى العذر، ويرأفُ بالضعفاء، وينبو على الأقوياء؛ وممن لا يُثيره العُنفُ، ولا يقعدُ به الضعف^٤.

٣ الامام علي «ع» - من العهد: وليكن أثرُ رؤوسِ جنودك عندك من واساهم في

١ - سورة التوبة (٩): ١١٩ - ١٢١ و ١٢٣.

٢ - سورة آل عمران (٣): ١٤٦.

٣ و ٤ - نهج البلاغة / ١٠٠٣ - ١٠٠٥: عبده ٣ / ١٠٠ - ١٠١.

الفصل الثالث : الحاكم الاسلامي وعماله

معاونته، وأفضلَ عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوفِ
أهلهم، حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهادِ العدو، فإنَّ عطفك عليهم
يعطفُ قلوبهم عليك' ..

الفصلُ الرَّابِعُ

الحاكم الاسلامي في الحقل الإداري

أ - الاقتراب من الناس ونفي الاحتجاب منهم

الكتاب

- ١ نحنُ أعلمُ بما يقولون، وما انتَ عليهم بجبار، فذكرُ بالقرآن من يخاف وعيد*^١
- ٢ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِئِنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*^٢

الحديث

١. الامام علي «ع» - من العهد الأشتري: وأما بعد هذا، فلا تُطوِّلَنَّ احتجابك عن رعيّتك! فإنَّ احتجابَ الولاة عن الرعية شعبةٌ من الضيق، وقلةٌ علمٍ

١ - سورة ق (٥٠): ٢٥.

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ٢١٥.

بالأمور. والاحتجابُ منهم يَقْطَعُ عنهم علمَ ما احتَجَبُوا دونه فيصغرُ عندهم الكبير، ويعظمُ الصغير، ويقبُحُ الحسن، ويحسنُ القبيح، ويشابُ الحقُّ بالباطل. وإنما الوالي بشرٌ لا يَعْرِفُ ما توارى عنه الناسُ به من الامور، وليست على الحقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بها ضروبُ الصدقِ مِنَ الكَذِبِ^١.

٢ الامام علي «ع» - من العهد الأشتري: وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ! وَتَجَلِّسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحَّ عَنْهُمْ الضُّيْقَ وَالْأَنْفَ، يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِيَ مَا أُعْطِيَ هَنِيئًا، وَامْنَعْ فِي أَجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ^٢!

٣ الامام علي «ع»: أَيُّمَا وَالٍ احْتَجَبَ عَنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، احْتَجَبَ اللَّهُ [عنه] يَوْمَ الْقِيَامَةِ [و] عَنْ حَوَائِجِهِ. وَإِنْ أَخَذَ هَدِيَّةً كَانَ غُلُولًا، وَإِنْ أَخَذَ رُشُوءَةً فَهُوَ مُشْرِكٌ^٣.

ب - الصّدق والوفاء بالعهد امام الجماهير

١ - نهج البلاغة / ١٠٢٤: عبده ٣ / ١١٤ - ١١٥.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٢١: عبده ٣ / ١١٢ - ١١٣.

٣ - ثواب الاعمال / ٣١٠.

الكتاب

- ١ والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *^١
- ٢ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل، لايؤثون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - من العهد الاشترى: واياك والامن على رعييتك باحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخليفك؛ فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^٣ *^٤.

ج - المساواة أمام القانون

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا،

١ - سورة المَعَارِج (٧٠): ٣٢.

٢ - سورة الاحزاب (٣٣): ١٥.

٣ - سورة الصّف (٦١): ٣.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠.

- ١ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *^١
- ٢ قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا :
إِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - إنَّ علياً «ع» لَمَّا حَدَّ النَّجَاشِي غَضَبَ الْيَمَانِيَّةِ، فَدَخَلَ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا كُنَّا نَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَةِ وَأَهْلَ الْفُرْقَةِ وَالْجَمَاعَةِ، عِنْدَ وُلَاةِ الْعَدْلِ وَمَعَادِنِ الْفَضْلِ بَسِيَّانٍ فِي الْجَزَاءِ، حَتَّى رَأَيْنَا مَا كَانَ مِنْ صَنِيعِكَ بِأَخِي الْحَرْثِ، فَأَوْغَرْتَ صُدُورَنَا، وَشَتَّتَ أُمُورَنَا، وَحَمَلْتَنَا عَلَى الْجَادَّةِ الَّتِي كُنَّا نَرَى أَنَّ سَبِيلَ مَنْ رَكِبَهَا النَّارُ. فَقَالَ: «وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ». يَا أَخَا نَهْدٍ! وَهَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ انْتَهَكَ حُرْمَةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ حَدًّا كَانَ كَفَارَتَهُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ، عَلَى الْأَتَّعَدِلُوا، اءَعَدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَى». فَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ، هَمَسَ هُوَ وَالنَّجَاشِي إِلَى مَعَاوِيَةَ ..^٣ (فراراً من العدالة والحق).
- ٢ الامام الصادق «ع» : قال امير المؤمنين لعمر بن الخطاب: ثلاثٌ إنَّ حَفِظْتَهُنَّ

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

٢ - سورة آل عمران (٣): ٦٤.

٣ - البحار ٨ / ٧٢٩ (طبعة الكمباني).

وَعَمِلْتَ بِهِنَّ كَفْتِكَ مَا سِوَاهُنَّ، وَإِنْ تَرَكَتَهُنَّ لَمْ يَنْفَعَكَ شَيْءٌ سِوَاهُنَّ. قَالَ:
وَمَا هُنَّ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: «إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْحَكْمُ
بِكِتَابِ اللَّهِ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَسْمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ». قَالَ
عمر: لعمري لقد أوجزت وأبلغت^١.

٣ الامام علي «ع» - من العهد الاثري: ولا يكونن المحسن والمسيء عندك
بمنزلة سوا، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان، وتدريباً
لاهل الاساءة على الاساءة، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه^٢.

٤ الامام علي «ع» - من العهد الاثري: ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى،
ولا تضيفن بلاء امرىء الى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا
يدعونك شرف امرىء الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرىء
الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً^٣.

د - الانسانيات المثلى والسعي لتركيزها

الكتاب

١ إلا الذين عاهدتم من المشركين، ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم
أحدًا، فآتموا اليهم عهدهم الى مدتهم، ان الله يحب المتقين*^٤

١ - الوسائل ١٨ / ١٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٠٠: عبده ٣ / ٩٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٠٨: عبده ٣ / ١٠٣.

٤ - سورة التوبة (٩): ٤.

٢ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، لَنْ تَبْرَهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ *

الحديث

١ النبي «ص» - نهى ان يُحلفَ الناس على صدقاتهم وقال: «هم فيها مأمونون». ونهى أن يُثنى عليهم في عامٍ مرتين .. ونهى ان يُغلظَ عليهم في اخذها منهم، وان يُقهرُوا على ذلك، او يُضربوا، او يُشدَّدَ عليهم، او يُكَلَّفوا فوق طاقتهم. وأمر أن لا يأخذ المصدق منهم الا ما وجد في ايديهم، وأن يعدلَ فيهم^٢ ..

٢ الامام علي «ع» - إنه أوصى مخنف بن سليم الأزدي، وقد بعثه على الصدقة بوصية طويلة، أمره فيها بتقوى الله ربه في سرائر اموره وخفيات اعماله، وأن يتلقاهم ببسط الوجه ولين الجانب. وأمره أن يلزم التواضع ويجتنب التكبر، فإن الله يرفع المتواضعين ويضع المتكبرين. ثم قال له: يا مخنف بن سليم! ان لك في هذه الصدقة نصيباً حقاً مفروضاً، ولك فيه شركاء: فقراء ومساكين، وغارمين، ومجاهدين، وابناء سبيل، ومملوكين، ومُتألِّفين^٣، وأنا موفوك حقك، فوفهم حقوقهم! وإلا فإنك من أكثر الناس يوم القيامة

١ - سورة الممتحنة (٦٠) : ٨.

٢ - دعائم الاسلام ١ / ٢٥٧.

٣ - المتألِّفون هم المؤلفون قلوبهم؛ راجع بصدد معرفة أصنافهم في العصور المختلفة: «الكافي» ٢ /

٤١٠ - ٤١٢: «تفسير البرهان» ٢ / ١٣٤ - ١٣٨.

خَصْمَاء. وَبُؤْسًا لِأَمْرِيءٍ أَنْ يَكُونَ خَصْمَهُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ^١.

٣ الامام علي «ع» - من العهد الاštري: وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عَيْوَبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا؛ فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ؛ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ، وَتَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ^٢.

وَلَا تَقْضُ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلَا تُحَدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْإِجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا^٣.
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالِ رَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِ الْمَوُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ، لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ؛ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ^٤.

٤ الامام علي «ع» - من العهد: أَيَّاكَ وَالِدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بغيرِ حِلِّهَا! فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبَعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ

١ - دعائم الاسلام ١ / ٢٥٨.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٧ - ٩٩٨؛ عبده ٣ / ٩٦ - ٩٧.

٣ و ٤ - نهج البلاغة / ١٠٠٠ - ١٠٠١؛ عبده ٣ / ٩٨ - ٩٩.

الفصل الرابع : الحاكم الاسلامي في الحقل الاداري

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَلَا تُقَوِّنَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ! فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ. وَإِنْ ابْتُلَيْتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةٌ سُلْطَانِكَ عَنِ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ^١.

٥ الامام الصادق «ع» : على الامام أن يُخْرِجَ الْمُحْبَسِينَ فِي الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَيَوْمَ الْعِيدِ إِلَى الْعِيدِ، فَيُرْسِلَ مَعَهُمْ، فَإِذَا قَضَوْا الصَّلَاةَ وَالْعِيدَ رَدَّهُمْ إِلَى السُّجْنِ^٢.

هـ - مراعاة حرمة الافراد و آرائهم و شؤونهم و ..

الكتاب

١ فيها رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ^٣ *

٢ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أذُنٌ، قُلْ: أَدْنُ خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ

١ - نهج البلاغة / ١٠٢٩ - ١٠٣٠؛ عبده ٣ / ١١٩.

٢ - الوسائل ١٨ / ٢٢١.

٣ - سورة آل عمران (٣): ١٥٩.

عذاب اليم *

الحديث

١ الامام علي «ع» - من العهد: أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ! .. وَلِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرِّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِّضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرِّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عِذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ؛ فَلْيَكُنْ صَغُوكَ لَهُمْ، وَمِيلُكَ مَعَهُمْ^٢.

٢ الامام علي «ع»: إِرْجَافُ الْعَامَّةِ بِالشَّيْءِ، دَلِيلٌ عَلَى مَقَدِّمَاتِ كَوْنِهِ^٣.

٣ الامام الصادق «ع»: الْوَاجِبُ عَلَى الْإِمَامِ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَزْنِي أَوْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ مَعَ نَظَرِهِ، لِأَنَّهُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ. وَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَسْرِقُ، أَنْ يَزْبُرَهُ وَيَنْهَاهُ، وَيَمْضِي وَيَدَّعَاهُ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْحَقَّ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، فَالوَاجِبُ عَلَى الْإِمَامِ إِقَامَتَهُ، وَإِذَا كَانَ لِلنَّاسِ، فَهُوَ لِلنَّاسِ^٤.

١ - سورة التوبة (٩) : ٦١.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٥ - ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ - ٩٦.

٣ - الارشاد / ١٤٣. ٤ - الوسائل ١٨ / ٣٤٤.

و - قبول النقد ومجانبة الاستبداد بالرأي

الكتاب

- ١ .. وشاورهم في الامر..^١
- ٢ واذا قيل له اتق الله، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ*^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - من العهد الاشتري: إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ، مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا .. ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ، أَقُولُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ! وَأَقْلَهُمْ مَسَاعِدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لَأَوْلِيَائِهِ، وَاقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ^٣ ..
- ٢ الامام علي «ع» - فيما رواه السيد عبد العظيم الحسني، عن الامام ابي جعفر الجواد، عن آبائه: خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ^٤.
- ٣ الامام الصادق «ع»: الْمُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ، مَوْقُوفٌ عَلَى مَدَاحِضِ الزَّلَّلِ^٥.

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٥٩.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٠٦.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٩ : عبده ٣ / ٩٧ - ٩٨.

٤ و ٣ - سفينة البحار ١ / ٤٩٣.

الفصل الخامس

واجبات الحاكم الاسلامي في تأمين حوائج المجتمع، وفي سائر المجالات المعيشية والتربوية

أ - المأون والارزاق

الكتاب

١ ما أفاء الله على رسوله، من اهل القرى، فليله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ..١

* راجع ايضاً: الباب الحادي عشر والثاني عشر، من هذا الكتاب، في الاجزاء التالية.

الحديث

١ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

- ١ الامام علي «ع» - مرَّ شيخٌ مكفوفٌ كبيرٌ يسألُ، فقال اميرُ المؤمنين «ع»: «ما هذا؟» فقالوا: يا اميرَ المؤمنين نصرانيٌّ! فقال اميرُ المؤمنين: «إِسْتَعْمَلْتُمُوهُ، حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ؟ أَنْفِقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ!»^١.

ب - الدَّيُون

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما من غريمٍ ذهبَ بغريمه الى والٍ من ولاةِ المسلمين، وَاسْتَبَانَ لِلْوَالِي عُسْرَتَهُ، إِلَّا بَرِيءٌ هَذَا الْمُعْسِرُ مِنْ دِينِهِ وَصَارَ دِينُهُ عَلَى وَالِي الْمُسْلِمِينَ، فِيمَا يَدِيهِ^٢ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ^٣.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادق: من أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكلِ اللَّحْمَ، فَلَيْسَتْ قَرْضُ عَلَى اللَّهِ وَلْيَأْكُلْهُ^٤.
- ٣ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الْإِمَامَ يَقْضِي عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الدَّيُونَ، مَا خَلَا مُهُورَ النِّسَاءِ^٥.
- ٤ الامام الصادق «ع» - ابنُ سنان قال: سَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ لَحِقَتْ أَمْرَأَتُهُ بِالْكَفَّارِ

١ - الوسائل ١١ / ٤٩.

٢ - ظ: فيما لديه، او فيما بأيديه.

٣ - المستدرک ٣ / ٤٩١.

٤ - البحار ٦٦ / ٦٥؛ عن «المحاسن».

٥ - الوسائل ١٥ / ٢٢.

وقد قال الله تعالى في كتابه: «وإن فاتكم شيءٌ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتُم، فاتوا الذين ذهبَ أزواجهم مثل ما أنفقوا»^١، ما معنى العقوبة ههنا؟ قال: «أن يُعقَبَ الذي ذهبَ امرأته على امرأةٍ غيرها، يعني يتزوَّجها بعقب، فاذا هو تزوَّجَ امرأةً غيرها، فإنَّ على الامام أن يُعطيَه مهرَها، مهرَ امرأتهِ الذاهبة». قلتُ: فكيف صارَ المؤمنون يردُّون على زوجها بغيرِ فعلٍ منهم في ذهابها، وعلى المؤمنين ان يردُّوا على زوجها ما انفقَ عليها مما يُصيبُ المؤمنين؟ قال: «يردُّ الامامُ عليه، اصابوا من الكفار ام لم يُصيبوا، لأنَّ على الامام أن يجبرَ جماعةً من تحت يده. وإن حَضرتِ القسمةُ فله أن يسدَّ كل نائبةٍ تنوبه قبل القسمة؛ وإن بقيَ بعد ذلك شيءٌ يقسمه بينهم، وإن لم يبقَ لهم فلا شيءَ عليه»^٢.

* جاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي، بصدده هذه الآية:
«إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلوبهم وفي الرقابِ والغارمينَ وفي سبيلِ الله وابنِ السبيلِ فريضةٌ من الله ..»^٣: .. «والغارمين» قومٌ قد وقَعَتْ عليهم ديونٌ أنفقوها في طاعةِ الله، من غير اسرافٍ، فيجبُ على الامام أن يقضي ذلك عنهم، ويفكِّهم من مالِ الصدقات. «وفي سبيلِ الله» قومٌ يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما يُنفقون، او قومٌ من المسلمين ليس عندهم ما يحجُّون به، أو في جميعِ سبيلِ الخير، فعلى الامام أن يُعطيَهُم من مالِ الصدقات حتى يُنفقوا به على الحجِّ والجهاد. «وابن السبيل» ابناءُ الطريق، الذين يكونون في الأسفارِ في طاعةِ الله، فيقطعُ

١ - سورة الممتحنة (٦٠): ١١.

٢ - الوسائل ١٥ / ٣٨؛ علل الشرايع / ٥١٧.

٣ - سورة التوبة (٩): ٦٠.

عليهم وَيَذْهَبُ مَالُهُمْ، فعلى الامام أن يرُدَّهُم الى اوطانهم من مالِ الصَّدَقَاتِ^١ ..

٥ الامام الصادق «ع» : إنَّ النبيَّ «ص» قال: «أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه، وعليَّ اولى به من بعدي». فقيل له (للصادق «ع»): ما معنى ذلك؟ فقال: قول النبي «ص» : «مَنْ تَرَكَ دِينًا او ضِياعًا فعليَّ، ومن تَرَكَ مالا فَلِوَرثَتِهِ»؛ فالرَّجلُ ليست له على نفسه ولايةٌ، اذا لم يكن له مالٌ، وليس به على عياله امرٌ ولا نهْيٌ، اذا لم يُجْرِ عليهم النَّفَقَةَ. والنبيُّ واميرُ المؤمنين ومن بعدهما، الزمهم هذا؛ فَمِنْ هُنَاكَ صاروا اوليٰ بهم من انفسهم. وما كان سببُ اسلامِ عامَّةِ اليهودِ إلا من بعدِ هذا القولِ من رسولِ الله «ص»، وانهم اُمنوا على انفسهم وعلى عيالاتهم^٢.

٦ الامام الصادق «ع» : مَنْ ماتَ وتَرَكَ دِينًا، فعَلينا دينُه والينا عياله. وَمَنْ ماتَ وتَرَكَ مالا فَلِوَرثَتِهِ. وَمَنْ ماتَ وليس له مِوالي فمالُه مِنَ الأَنْفالِ^٣.

٧ الامام الصادق «ع» - دخل على ابي عبدالله «ع» رجلٌ فقال: يا ابا عبدالله! قَرَضاً الى مَيْسرة. فقال ابو عبدالله «ع» : «الى غَلَّةٍ تُدْرِكُ؟» فقال: لا والله. فقال: «الى تجارةٍ تُودِّي؟». فقال: لا والله. قال: «فالى عُقْدَةٍ تُباعُ؟» فقال: لا والله. فقال: «فانتَ إِذا مِمَّنْ جَعَلَ اللهُ له في أموالنا حقاً». فدعا ابو عبدالله

١ - تفسير القمي ١ / ٢٩٩. لقد نسبنا هذا الكلام - في الطبقات السابقة - الى الامام جعفر الصادق «ع». وكان الصحيح أن نوردَه منسوباً الى الشيخ علي بن ابراهيم القمي، صاحب التفسير (وان كان كلامُ هذا الشيخ الثقة - رَجِمَهُ اللهُ تعالى - ايضاً ما خوذاً من احاديث الامامين الصادقين «ع») فننبهُ على هذا معتذرين.

٢ - الكافي ١ / ٤٠٦.

٣ - الكافي ٧ / ١٦٨.

بِكَيْسٍ فِيهِ دَرَاهِمٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَنَاولَهُ قَبْضَةً. ثم قال: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُسْرِفْ وَلَا تَقْتَرْ، وَكُنْ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا! إِنَّ التَّبَذِيرَ مِنَ الْإِسْرَافِ، قَالَ اللَّهُ: «وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا!»^١ وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ عَلَى الْقَصْدِ»^٢.

٨ الامام الصادق «ع»: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» الْمَنْبِرَ، فَتَغَيَّرَ وَجْنَتَاهُ وَالتَّمَعَ لَوْنُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ .. إِنَّ أَفْضَلَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَخَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ .. أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ^٥.

* هذه الاموال التي يتركها من لا وارث له، تُصْبِحُ مِنَ الْإِنْفَالِ -
كما مرّ في الحديث السادس - وترجع الى الحاكم الاسلامي
(النبي، او الوصي، او نائب الوصي)، ليصرفها في المصالح العامة،
كأداء ديون المُغْرَمِينَ، و تموين المساكين والمتحاجين، او الوُسْعِ
على مَنْ ضاقت معيشتُهُ، او تربية وتعليم صبيانٍ لا مربّي لهم، وما الى
ذلك ..

٩ الامام الكاظم «ع»: مَنْ طَلَبَ هَذَا الرِّزْقَ مِنْ جِلِّهِ لِيُعُودَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ،
كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنْ غُلِبَ عَلَيْهِ فَلْيَسْتَدِنْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى
رَسُولِهِ مَا يَقُوتُ بِهِ عِيَالَهُ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَقْضِ كَانَ عَلَى الْإِمَامِ قِضَاؤُهُ؛ فَإِنْ

١ - سورة الاسراء (١٧): ٢٦.

٢ - اقتباس من القرآن الكريم.

٣ - تفسير العياشي ٢ / ٢٨٨.

٤ - يُمكن أَنْ تُقْرَأَ الْكَلِمَةُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: «الْهُدَى»، عَلَى وَزْنِ «أَصْل». ومعناه: السيرة والطريقة. يقال:
«مَا أَحْسَنَ هُدْيَهُ» اي سيرته.

٥ - امالي المفيد / ١١٠ - ١١١: الهجرات ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ و ٣٠٩.

لم يقضِ كان عليه وزره. إنَّ الله - تبارك وتعالى - يقول: «إنَّما الصدقاتُ للفقراء والمساكينِ والعاملينِ عليها - الى قوله - والغارمين»، فهو فقيرٌ مسكينٌ مُغرَمٌ^١.

١٠ الامام الرضا «ع»: المُغرَمُ اذا تَدَيَّنَ - أو اسْتَدَانَ^٢ - في حقٍّ، أُجِّلَ سَنَةً، فَإِنْ اتَّسَعَ، وَإِلَّا قَضَى عَنْهُ الامامُ مِنْ بَيْتِ المَالِ^٣.

١١ الامام الرضا «ع» - عن عمر بن سليمان، عن رجلٍ من أهلِ الجزيرة قال: سأل الرضا رجلٌ فقال له: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إنَّ الله - تبارك وتعالى - يقول: «فَنظِرَةٌ الى مَيْسَرَةٍ»^٤، فأخبرني عن هذه النَّظِرَةِ التي ذَكَرَهَا اللهُ، لها حَدٌّ يُعْرَفُ اذا صارَ هذا المُعْسِرُ لا بدَّ له مِنْ أَنْ يُنظَرَ، وقد اخذَ مالَ هذا الرجلِ وأنفقَ على عياله، وليس له غَلَّةٌ يَنْتَظِرُ إدراكَها، ولا دينٌ يَنْتَظِرُ مَحَلَّهُ، ولا مالٌ غائبٌ يَنْتَظِرُ قَدومَه؟ قال: «نعم، يَنْتَظِرُ بقدرِ ما يَنْتَهي خِبرُه الى الامام، فيَقْضِي عنه ما عليه من سَهمِ الغارمين، اذا كانَ انْفَقَه في طاعةِ اللهُ. فإن كانَ انْفَقَه في معصيةِ اللهُ فلا شيءَ له على الإمامِ...»^٥.

ج-تأدية الحقوق

الحديث

-
- ١ - قرب الاسناد / ١٩٧.
 - ٢ - التردد من الراوي.
 - ٣ - الكافي ١ / ٤٠٧.
 - ٤ - سورة البقرة (٢) : ٢٨٠.
 - ٥ - تفسير العياشي ١ / ١٥٥.

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق؛ قال حنان بن سدير الصيرفي: سمعتُ أبا عبد الله «ع» يقول: نُعِيَتْ الى النبي «ص» نفسه، وهو صحيحٌ ليس به وَجَعٌ؛ قال: نَزَلَ به الرُّوحُ الامين.. فنادى نادى «الصلاة جامعة» وأمرَ المهاجرين والانصار بالسَّلاح، واجتمعَ الناس، فصعدَ النبيُّ المنبرَ فنعى اليهم نفسه ثم قال: «أذْكَرُ اللهُ الواليَ مِن بعدي على أمتي! ألا يرحمَ على جماعة المسلمين، فاجلَّ كبيرهم، ورحمَ ضعيفهم، ووَقَّرَ عالمهم، ولم يضربهم فيذلهم، ولم يُفقرهم فيكفرهم، ولم يُغلق بابَه دونهم فيأكل قوتهم ضعيفهم، ولم يخبزهم في بُعوثهم فيقطع نسل أمتي». ثم قال: «[قد] بلغتُ ونصحتُ! فاشهدوا!». وقال ابو عبد الله «ع»: هذا آخر كلامٍ تكلم به رسول الله «ص» على منبره^١.

٢ الامام علي «ع» - في العهد الاštري: وتفقَّد أمر الخراج بما يصلح أهله! فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم؛ ولا صلاح لمن سواهم الآبهم، لأنَّ الناس كلهم عيالٌ على الخراجِ وأهله^٢.

٣ الامام علي «ع» - إنَّ علياً لما هزم طلحة والزبير أقبل الناسُ مُنْهَزمين، فمروا بِامْرَأَةٍ حَامِلٍ على الطريق، ففزعَتْ منهم فطرحَتْ ما في بطنها حياً فاضطربَ حتى مات، ثم ماتت أمه من بعده. فمرَّ بها عليُّ «ع» وأصحابه، وهي مطروحةٌ وولدها على الطريق. فسألهم عن أمرها قالوا له: إنَّها كانت حاملةً ففزعَتْ حين رأت القتالَ والهزيمة .. فسألهم أيهما مات قبل صاحبه؟ فقالوا: إنَّ ابنها مات قبلها. قال فدعا بزوجه أبي الغلام الميت، فورَّثه من دينه ثلثي الدية، وورَّث أمه ثلث الدية، ثم ورَّث الزوج من المرأة الميتة

١ - الكافي / ١ / ٤٠٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٣؛ عبده / ٣ / ١٠٦.

الفصل الخامس : واجبات الحاكم الاسلامي

نصف ثلث الدية الذي ورثته من ابنتها الميتة، وورث قرابة الميتة الباقي ..
ثم ورث الزوج أيضاً من دية المرأة الميتة نصف الدية، وهو ألفان وخمسة
مئة درهم. وورث قرابة المرأة نصف الدية، وهو ألفان وخمسة مئة درهم.
وذلك إنه لم يكن لها ولد غير الذي رمت به حين فرغت. قال (راوي
الحديث) : وأدنى ذلك كله من بيت مال البصرة^١.

٤ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق: من مات في زحام يوم عرفة، أو
على جسر، لا يعلمون من قتله، فديته من بيت المال^٢.

٥ الامام الباقر «ع» : قضى أمير المؤمنين «ع» : إن ما أخطأت القضاة في دية،
أو قطع، فعلى بيت مال المسلمين^٣.

٦ الامام الباقر «ع» - أبو عبيدة قال: سألت ابا جعفر «ع» عن أعمى فقأ عين
رجل صحيح تعمداً؟ فقال: يا أبا عبيدة! إن عمداً الأعمى مثل الخطأ، هذا
فيه الدية من ماله. فإن لم يكن له مال، فإن دية ذلك على الامام. ولا يبطل
حق مسلم^٤.

٧ الامام الصادق «ع» : من ضربناه حداً من حدود الله فمات، فلا دية له علينا.
ومن ضربناه حداً من حدود الناس فمات، فإن ديته علينا^٥.

٨ الامام الصادق «ع» : إن وجد قتيلاً بأرض فلا، أدت ديته من بيت المال؛
فإن أمير المؤمنين «ع» كان يقول: «لا يبطل دم امرئ مسلم»^٦.

١ - التهذيب ١٠ / ٢٠٢ - ٢٠٣.

٢ و٣ - التهذيب ١٠ / ٢٠١ و ٢٠٣.

٤ - الاختصاص / ٢٤٩.

٥ - الوسائل ١٨ / ٣١٢.

٦ - التهذيب ١٠ / ٢٠٤.

٩ الامام الصادق «ع»: قضى امير المؤمنين «ع» في رجلٍ وُجِدَ مقتولاً، لا يُدرى مَنْ قَتَلَهُ، قال: إن كان عُرِفَ وكان له اولياءٌ يَطْلُبُونَ دِيَّتَهُ، أُعْطُوا دِيَّتَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا يَبْطُلُ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لِأَنَّ مِيرَاثَهُ لِلْإِمَامِ فَكَذَلِكَ تَكُونُ دِيَّتُهُ عَلَى الْإِمَامِ؛ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْفِنُونَهُ¹..

د - مكافحة الفقر والقضاء عليه

الحديث

١ الامام علي «ع» - من العهد الاštري: ثم الله! الله! في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا؛ واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى؛ وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تُعذر بتضييع التافه لإحكام الكثير المهم، فلا تُشخص همك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم.

وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تفتحهم العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك أمورهم. ثم اعمل فيهم بالإعذار الى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الإنصاف من غيرهم. وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه

اليه.

وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتَمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ
لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ. وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ. وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ
عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ^١.

٢ الامام علي «ع»: لَوْ اقْتَبَسْتُمُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ، وَأَدَّخَرْتُمُ الْخَيْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ،
وَأَخَذْتُمُ الطَّرِيقَ مِنْ وَضِحِهِ، وَسَلَكْتُمُ الْحَقَّ مِنْ نَهْجِهِ، لَا بَتَّهَجَتْ بِكُمْ
السُّبُلُ، وَبَدَتْ لَكُمْ الْأَعْلَامُ، وَأَضَاءَ لَكُمْ الْإِسْلَامُ، وَمَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ، وَلَا
ظَلَمَ مِنْكُمْ مُسْلِمٌ وَلَا مُعَاهَدٌ^٢.

هـ - مجابهة الاحتكار والرقابة على الأسعار

الكتاب

١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابِ الْيَمِّ*^٣

الحديث

١ - نهج البلاغة / ١٠١٩ - ١٠٢٠؛ عبده ٣ / ١١١ - ١١٢.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ٣١؛ الكافي ٨ / ٣٢.

٣ - سورة التوبة (٩): ٣٤.

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: نَفَدَ الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ «ص»، فَأَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ نَفَدَ الطَّعَامُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَ فُلَانٍ، فَمُرَّهُ يَبْعُهُ النَّاسَ. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ وَاتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلَانُ! إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ذَكَرُوا أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ نَفَدَ إِلَّا شَيْئًا عِنْدَكَ، فَأَخْرِجْهُ وَبِعْهُ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَحْبِسْهُ»^١.

٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَرَّ بِالْمُحْتَكِرِينَ، فَأَمَرَ بِحُكْرَتِهِمْ أَنْ تُخْرَجَ إِلَى بُطُونِ الْأَسْوَاقِ وَحَيْثُ تَنْظُرُ الْأَبْصَارُ إِلَيْهَا^٢.

٣ الامام علي «ع» - في العهد الاشتري: ثُمَّ اسْتَوْصِرَ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِرَ بِهِمْ خَيْرًا .. وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ، أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشَحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ. وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَاْمَنْعَ مِنَ الْاِحْتِكَارِ! فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَنَعَ مِنْهُ. وَلَيْكُنِ الْبَيْعُ بِيَعًا سَمَحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ آيَاهُ فَانْكُلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ^٣.

٤ الامام الباقر «ع»: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَنْهَى عَنِ الْحُكْرَةِ فِي الْأَمْصَارِ^٤.

و- صيانة حقوق العمال والفلاحين

١ - الكافي ٥ / ١٦٤.

٢ - التهذيب، ٧ / ١٦١.

٣ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠ - ١١١.

٤ - قرب الاسناد / ٨٤.

الحديث

- ١ النبي «ص» - إنَّ النبيَّ بَعَثَ الى اميرِ المؤمنينِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع» أنِ اصْعَدِ العِنْبِرَ وَاذْعُ النَّاسَ اليك، ثم قُل: ايها الناس! مَنْ انتَقَصَ اَجِيرًا اَجْرَهُ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^١.
- ٢ الامام الصادق «ع»: وصَّى رسولُ الله «ص» علياً عندَ وفاته فقال: يا عليّ! لا يُظَلِّمُ الفلّاحون بحضرتك، ولا يُزادُ على ارضٍ وُضِعَتْ عليها، ولا سُخْرَةٌ على مسلمٍ، يعني الأجير^٢.

ز - الإعمار

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - من العهد الاشترى: وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الارضِ اَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الخَرَاكِ! لِأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرِكُ الاَّ بِالْعِمَارَةِ. وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاكِ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ اَخْرَبَ البلادَ، وَأَهْلَكَ العبادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ الاَّ قَلِيلاً. فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ أَوْ بِأَلَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجَوُ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ المَوْؤَنَةَ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي

١ - البحار ٤٠ / ٥٩، عن «تفسير فرات الكوفي».

٢ - الوسائل ١٣ / ٢١٦.

عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدثت من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به؛ فإن العمران محتمل ما حملته. وإنما يؤتى خراب الارض من إغواز أهلها. وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر^١.

٢ الامام علي «ع» - من ذلك العهد: ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً! المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببذنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها؛ فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته؛ وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك^٢ ..

* من الواضح أن هذا الكلام (وأوص بهم خيراً) وامثاله، إنما صدر بحق التجار المسلمين الملتزمين، المقتصدين غير المتكاثرين، الذين يجتنبون الظلم والاحتكار والغلاء وحب المال وجمعه التكاثري. وهم - لالتزامهم الديني - يعدون خدمة للمجتمع وملاذاً للمحرومين.

ولا تعثر على هؤلاء في اوساط كبار الاثرياء والتمولين، لأن الثروة الكبيرة والتمول الفاحش تناقض دعوة القرآن والدين،

١ - نهج البلاغة / ١٠١٣ - ١٠١٤؛ عبده ٣ / ١٠٦ - ١٠٨.

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

وَتَبْتَعِدُ عَنِ الْمَقَائِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي حَدَّدَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ
إِطَارَهَا، وَخُصُوصًا مَعَ تَأْكِيدِ الْإِسْلَامِ الْبَالِغِ الْحَاسِمِ عَلَى مَحْدُودِيَّةِ
الرَّيْحِ فِي الْبَيْعِ، وَمَعَ تَصْرِيحِ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَنَّ الْمَالَ الْكَثِيرَ
لَا يَحْصُلُ مِنْ طَرِيقِ مَشْرُوعٍ وَلَا يَجْتَمِعُ مِنْ حَلَالٍ.

ح- جباية الزكوات والصدقات

الكتاب

١ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ
لَهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *^١

الحديث

١ - الامام علي «ع»: يَجْبُرُ الْإِمَامُ النَّاسَ عَلَى أَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ
يَقُولُ: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ».^٢

ط- مكافحة الأمية والتعليم الإجباري

١ - سورة التوبة (٩) : ١٠٣.

٢ - البحار ٩٦ / ٨٦: «دعائم الاسلام» ١ / ٢٥٩.

الكتاب

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *^١

الحديث

١ النبي «ص» - من وصيته لمعاذ بن جبل، لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَا مَعَاذُ! عَلِّمُهُمْ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَحْسِنْ أَدَبَهُمْ عَلَى الْإِخْلَاقِ الصَّالِحَةِ .. وَأَنْفِذْ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا
تَحَاشَ فِي أَمْرِهِ وَلَا مَالِهِ أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِوَلَايَتِكَ وَلَا مَالِكَ .. وَذَكَرَ
النَّاسَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَتَّبَعَ الْمَوْعِظَةَ فَإِنَّهُ أَقْوَى لَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا
يُحِبُّ اللَّهُ؛ ثُمَّ بَثَّ فِيهِمُ الْمُعَلِّمِينَ. وَاعْبُدِ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُ، وَلَا تَخَفْ فِي
اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً^٢.

٢ الامام علي «ع»: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ. فَأَمَّا حَقُّكُمْ
عَلَيَّ، فَالْنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا،
وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا^٣ ..

٣ الامام علي «ع»: عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُعَلِّمَ أَهْلَ وِلَايَتِهِ، حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ^٤.

١ - سورة البقرة (٢) : ١٢٩.

٢ - تحف العقول / ٢٥.

٣ - نهج البلاغة / ١١٤؛ عبده ١ / ٨٠.

٤ - غرر الحكم / ٢١٥.

- ٤ الامام علي «ع» - من كتاب له الى قُتَم بنِ العباس، وهو عامله على مكة: ..
وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَقْتِ الْمُسْتَفْتِي، وَعَلِّمِ الْجَاهِلِ، وَذَاكِرِ الْعَالِمِ^١ ..
- ٥ الامام الصادق «ع» - عن حَسَّانِ الْمُعَلِّمِ قَالَ: سَأَلْتُ ابا عبد الله «ع» عن
التعليم فقال: «لَا تَأْخُذْ عَلَيِ التَّعْلِيمِ اجْرَاءً»^٢ قُلْتُ: فَالشَّعْرُ وَالرِّسَالَةُ وَمَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ أُشَارِطُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ! بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الصَّبِيَانُ عِنْدَكَ سَوَاءً فِي
التَّعْلِيمِ، لَا تُفْضَلُ بَعْضُهُمْ عَلَي بَعْضٍ!»^٣.

١ - نهج البلاغة / ١٠٦٣؛ عبده ٣ / ١٤٠.

٢ - يُقصد بهذا النهي، اخذ الاجرة على تعليم ما هو الواجب.

٣ - الوسائل ١٢ / ١١٢.

الفصلُ السادسُ

الحاكم الاسلامي وتحكيم العلاقات الاجتماعية والصلوات الدينية

أ - العمل على تحقيق الأخوة والتواصل والاجتماع

الكتاب

- ١ إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون * ١
- ٢ يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين * ٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» قَالَ: لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ. وَلَا غَيْبَةَ إِلَّا لِمَنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ وَرَغِبَ

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٠.

٢ - سورة الجمعة (٦٢): ٣.

عن جماعتنا. ومن رَغِبَ عن جماعة المسلمين، سَقَطَتْ عدالته، وَوَجَبَ هجرانه. وإن رُفِعَ الى امام المسلمين أَنْذَرَهُ وَحَدَّرَهُ. وَمَنْ لَزِمَ جماعة المسلمين حَرُمَتْ عليهم غيبته، وَثَبَّتْ عدالته^١.

٢ الامام الصادق «ع» : إنَّ أناساً كانوا على عهدِ رسولِ الله «ص» أَبْطَأُوا عن الصلاةِ في المسجد، فقال رسولُ الله : لِيُوشِكُ قومٌ يَدْعُونَ الصلاةَ في المسجد، أن نَأْمُرَ بِحَطْبٍ، فيوضَعُ على ابوابهم فيوقَدُ عليهم نارٌ، فتُحْرَقُ عليهم بيوتهم^٢.

٣ الامام الصادق «ع» : هَمَّ رسولُ الله «ص» بإحراقِ قومٍ في منازلهم، كَلَمُوا يُصَلُّونَ في منازلهم ولا يُصَلُّونَ الجماعةَ، فَأَتَاهُ رجلٌ اعمى فقال: يا رسولَ الله! انا ضَرِيرُ البَصْرِ، وَرُبَّمَا أَسْمَعُ النِّدَاءَ ولا أَجِدُ مَنْ يَقودُنِي الى الجماعةِ والصَّلَاةِ مَعَكَ. فقال النبي «ص»: «شُدَّ مِنْ منزلكِ الى المسجدِ حَبْلاً واحضِرِ الجماعةَ»^٣.

٤ الامام الصادق «ع» : لو عَطَّلَ الناسُ الحَجَّ لَوَجِبَ على الامامِ أن يُجبرَهم على الحَجِّ، إن شاءوا وإن أبوا، لأنَّ هذا البيتَ وُضِعَ للحَجِّ^٤.

٥ الامام الصادق «ع» : لو أنَّ الناسَ تَرَكَوا الحَجَّ، لكان على الوالي أن يُجبرَهم على ذلك وعلى المُقامِ عنده. ولو تَرَكَوا زيارةَ النبي «ص» لكان على الوالي ان يُجبرَهم على ذلك وعلى المُقامِ عنده. فإن لم يَكُنْ لهم اموالٌ، أَنْفَقَ عليهم من بيتِ المالِ^٥.

١ - الوسائل ٥ / ٣٩٤.

٢ - الوسائل ٥ / ٣٧٧. هذا تأكيدٌ حاسمٌ على تحكيمِ صِلاتِ الناسِ المجتمعيةِ.

٣ - الوسائل ٥ / ٣٧٧.

٤ - البحار ٩٩ / ١٨، عن «عِلَلِ الشَّرَائِعِ».

٥ - الوافي ٢ (م ٨) / ٤٩.

ب - مجابهة العيث والفساد

الكتاب

- ١ .. ولا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْاَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *^١
- ٢ ولا تَبْخُسُوا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: يَجِبُ عَلَى الْاِمَامِ أَنْ يَحْبِسَ الْفُسَّاقَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْجُهَّالَ مِنَ الْاَطْبَاءِ، وَالْمَفَالِيسَ مِنَ الْاَكْرِيَاءِ.^٣
- ٢ الامام الباقر «ع»: قَضَى امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» فِي امْرَأَةٍ زَنَتْ وَشَرَدَتْ، أَنْ يَرْبُطَهَا اِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِالزَّوْجِ، كَمَا يُرْبِطُ الْبَعِيرُ الشَّارِدُ بِالْعِقَالِ.^٤
- ٣ الامام الكاظم «ع»: لَوْ وَلَيْتُ اِمْرَ النَّاسِ، لَعَلَّمْتُهُمُ الطَّلَاقَ، ثُمَّ لَمْ اُوتَ بِاَحَدٍ خَالَفَ اِلَّا اَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا.^٥

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧.

٢ - سورة الشعراء (٢٤) : ١٨٣.

٣ - الوسائل ١٨ / ٢٢١

٤ - الوسائل ١٨ / ٤١٢ . هذا تأكيد هام على تحصيل الصلوات الأسرية واهتمام شديد به .

٥ - الكافي ٦ / ٥٧.

ج- تحكيم الصّلات العائليّة وما يمتّ اليها

الكتاب

١ لاخير في كثير من نجواهم، إلا من أمر بصدقة، او معروف، او اصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيماً * ١

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: من كانت عنده امرأة، فلم يكسها ما يوارى عورتها ويطعمها ما يقيم صلبها، كان حقاً على الامام أن يفرق بينهما^٢.

٢ الامام الباقر «ع»: رجّع عليّ «ع» الى داره في وقت القيظ فاذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدّي عليّ، وحلف ليضربني. فقال: «يا أمة الله! اصبري حتي يبرد النهار، ثم أذهب معك ان شاء الله». فقالت: يشتد غضبه وحرده عليّ. فطأطأ (عليّ) رأسه، ثم رفعه وهو يقول: «لا والله! أويؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع. أين منزلك؟» فمضى الى بابه فوقف فقال: «السلام عليكم!» فخرج شاب فقال عليّ «ع»: «يا عبدالله اتق الله، فإنك قد أخفتها وأخرجتها!» فقال الفتى: وما أنت وذاك! والله لأحرقها

١ - سورة النساء (٤) : ١١٤.

٢ - الوسائل ١٥ / ٢٢٣.

لكلامك! فقال امير المؤمنين: «أمرك بالمعروفِ وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكرِ وتُنكرُ المعروفَ؟» قال: فأقبل الناس من الطُّرقِ ويقولون: سلامٌ عليكم. فسقطَ الرجلُ في يَدَيْهِ فقال: يا أمير المؤمنين! أقلني عثرتي، فوالله لأكون لها أرضاً تطأني. فأغمَد عليّ «ع» سيفه وقال: «يا أمة الله! ادخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك الى مثلِ هذا وشبهه»^١.

د- نواحٍ أُخرى من الشؤون الانسانية الهامة

الكتاب

١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا*^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - سَلَمَةُ بْنُ كَهِيلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا «ع» يَقُولُ لِشُرَيْحٍ: أَنْظِرْ إِلَىٰ أَهْلِ الْمَعْكَ وَالْمَطَلِ وَدْفِعْ حَقُوقَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَقْدَرَةِ وَالْيَسَارِ، مِمَّنْ يُدْلِي بِأَمْوَالِ النَّاسِ إِلَى الْحُكَّامِ، فَخُذْ لِلنَّاسِ بِحَقُوقِهِمْ مِنْهُمْ، وَبِعْ

١ - المستدرک ٢ / ٣٩٣.

٢ - سورة النساء (٤): ١٢٤.

فيها العَقَارَ والِدِيَار! فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» يَقُولُ: مَطْلُ الْمُسْلِمِ الْمُوسِرِ ظَلَمٌ لِلْمُسْلِمِ . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقَارٌ وَلَا دَارٌ وَلَا مَالٌ فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِ . وَاعْلَمْ! أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ إِلَّا مَنْ وَرَعَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ . ثُمَّ وَاسِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِوَجْهِكَ وَمَنْطِقِكَ وَمَجْلِسِكَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ قَرِيبُكَ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَبْأَسَ عَدُوُّكَ مِنْ عَدْلِكَ . وَرَدَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعِيِ مَعَ بَيِّنَتِهِ^١؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْلَى لِلْعَمَى، وَأَثْبَتُ فِي الْقَضَاءِ .

وَاعْلَمْ! أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلَّا مَجْلُودٌ فِي حَدٍّ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهُ، أَوْ مَعْرُوفٌ بِشَهَادَةِ زُورٍ، أَوْ ضَنِينٍ . وَإِيَّاكَ وَالتَّضَجُّرَ وَالتَّأْذِي فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ فِيهِ الْأَجْرَ، وَيَحْسُنُ فِيهِ الذُّخْرُ، لِمَنْ قَضَى بِالْحَقِّ .

وَاعْلَمْ! أَنَّ الصُّلْحَ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صَلْحًا حَرَّمَ حَلَالًا أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا . وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدَّعَى شُهُودًا غُيْبًا، أَمَدًا بَيْنَهُمَا [بَيْنَهُمْ]، فَإِنْ أَحْضَرَهُمْ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ . وَإِنْ لَمْ يُحْضِرْهُمْ أَوْجَبَتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْفِذَ قَضِيَّةً فِي قِصَاصٍ أَوْ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، أَوْ حَقٍّ مِنْ حَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَيَّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَا تَقْعُدْ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ حَتَّى تَطْعَمَ^٢ ..

٢ الامام علي «ع» - مما كتبه الى عامله على البصرة، وهو عبد الله بن عباس: .. سأخبرك عن القوم: هم بين مُقيمٍ لرغبةٍ يرجوها، أو خائفٍ من عُقوبةٍ يخشاها، فأرغبُ راغبهم بالعدلِ عليه والاحسانِ اليه، وأحللُ عقدة الخوفِ عن قلوبهم!^٣ ..

٣ الامام علي «ع» - من العهد الأشتري: ولا تدعُ تفقدُ لطيفِ أمورهم اتكالا

١ - يختصُّ هذا الامر بموارد خاصة، راجع: «الوسائل» ١٨ / ١٧٠ وبعدها.

٢ - الوسائل ١٨ / ١٥٥ .

٣ - مستدرک نهج البلاغة / ١٣٣ .

على جسيمها، فإنَّ لليسيرِ من لطفِكَ موضعاً يَنْتَفِعون به، وللجسيمِ موقعاً لا يَسْتَغْنون عنه^١.

واعلم! أنَّ الرعيةَ طبقاتٌ لا يَصْلُحُ بعضها الا ببعض، ولا غِنَى ببعضها عن بعض؛ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ «ص»، عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ، بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ^٢.

٤ الامام الباقر «ع» - لَمَّا غَسَلَ ابَاهُ عَلِيًّا «ع»، نَظَرُوا إِلَى مَوَاضِعِ الْمَسَاجِدِ مِنْهُ، مِنْ رُكْبَتَيْهِ وَظَاهِرِ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهَا مَبَارِكُ الْبَعِيرِ، وَنَظَرُوا عَاتِقَهُ وَفِيهِ شَبِيهُ بِذَلِكَ، فَقَالُوا لِمُحَمَّدٍ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا مِنْ إِدْمَانِ الصَّلَاةِ وَطُولِ السُّجُودِ، فَمَا هَذَا الَّذِي نَرَى عَلَى عَاتِقِهِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا مَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْهُ، كَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ يَوْمٌ مِنَ الْيَوْمِ إِلَّا أَشْبَعَ فِيهِ مَسْكِينًا فَصَاعِدًا - مَا أَمَكَّنَهُ - فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَظَرَ إِلَى مَا فَضَّلَ عَنْ قَوْتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، فَجَعَلَهُ فِي جِرَابٍ، فَإِذَا هَدَأَ النَّاسُ وَضَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَتَخَلَّلَ الْمَدِينَةَ، وَقَصَدَ قَوْمًا لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا، فَفَرَّقَهُ فِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ. وَلَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ غَيْرِي، فَإِنِّي كُنْتُ أَطَّلَعْتُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ؛ يَرْجُو بِذَلِكَ فَضْلَ إِعْطَاءِ الصَّدَقَةِ بِيَدِهِ وَدَفْعِهَا سِرًّا. وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ صَدَقَةَ السَّرِّ تُطْفِئُ

١- نهج البلاغة / ١٠٠٦؛ عبده ٣ / ١٠٢.

٢- نهج البلاغة / ١٠٠٢ - ١٠٠٤؛ عبده ٣ / ٩٩.

غَضَبَ الرَّبِّ»^١.

٥ الامام الكاظم «ع» - كان ابوالحسن موسى «ع» أَعْبَدَ اهلِ زمانِهِ، وَأَفْقَهَهُمْ، وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا، وَأَكْرَمَهُمْ نَفْسًا. وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي نَوَافِلَ اللَّيْلِ وَيَصِلُهَا بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ يُعَقِّبُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَيَخِرُّ لِّلَّهِ سَاجِدًا فَلَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ الدُّعَاءِ وَالتَّحْمِيدِ حَتَّى يَقْرُبَ زَوَالُ الشَّمْسِ. وَكَانَ يَدْعُو كَثِيرًا فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابِ»؛ وَيُكْرِّرُ ذَلِكَ. وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ «ع»: «عَظَّمَ الذَّنْبُ مِنْ عِبْدِكَ، فَلِيَحْسُنِ الْعَفْوَ مِنْ عِنْدِكَ».

وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى تَخْضُلُ لِحْيَتَهُ بِالذُّمُوعِ. وَكَانَ أَوْصَلَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ وَرَجِيمِهِ. وَكَانَ يَتَفَقَّدُ فُقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فِي اللَّيْلِ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الزَّبِيلَ، فِيهِ الْعَيْنُ وَالْوَرَقُ وَاللَّدِيقَةُ وَالتَّمُورُ، فَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ جَهَةِ هُوَ^٢.

١ - دعائم الإسلام ١ / ٢٤٦ .

٢ - الإرشاد / ٢٧٧ .

نظرة الى الباب

لقد جئنا في هذا الباب، بمواصفاتِ عن الحاكمِ الاسلامي، فرَسَمنا خطوطاً جليّةً عن هذا المقام في النظامِ الاسلامي. وبذلك قد عَرَفنا اختياراتِ هذا الحاكمِ وماهيّتها؛ وكذلك عَرَفنا مسؤولياته وواجباته في حُقولٍ مختلفة، وأنَّ الحاكمَ في النظامِ الاسلامي كيفَ يكونُ في خدمةِ المجتمع في جميعِ ما يتصدّى له. وعَرَفنا أيضاً أنَّ القومَ الذين يُوازرون الحاكمَ المسلمَ كيفَ يجبُ أن يكونوا، وما هيَ وظائفهم وواجباتهم. وهذه كلها مُثلٌ علياً جاءتْ بها رسالةُ الاسلام، لِذَعْمِ أُسسِ نظامٍ صالحٍ فعّال؛ فالحاكمُ في هذا النظامِ يجبُ عليه:

- ١ - أن يصطفي عَمَّالَه ومُؤازريه من خيرِ الناسِ وأفاضلِهِم وأتقيائِهِم.
- ٢ - أن يُراقبَ شؤونَ الادارة بتقوى واجتهاد.
- ٣ - أن يُراعِيَ شؤونَ القضاء والقاضي وكرامته.
- ٤ - أن يُعبئَ جيشاً قوياً مؤمناً متحمساً لنشرِ كلمةِ العدلِ وجعلِ كلمةِ الله هي العُليا.
- ٥ - أن يتحلّى بالصدقِ أمامَ المجتمعِ وأن يَفِي بعهوده
- ٦ - أن يُحاميَ عن مبدأِ المُساواةِ أمامَ القانونِ.
- ٧ - أن يُخالطَ الناسَ ولا يَحْتَجِبَ عن أحدٍ.
- ٨ - أن يَحْرُسَ كرامةَ الانسانِ وحرمةَ الافرادِ.
- ٩ - أن يُؤمِّنَ حاجاتِ المجتمعِ على مختلفِ المُستوياتِ.
- ١٠ - أن يأذَنَ في الانتقادِ، وان يحتمله ويواجهه بالقبولِ اذا كان صحيحاً.

- ١١ - أن يُكافِحَ الفقرَ والحرمانَ وَيَجِدُ لاسترداد حقوق المساكين والمُعَدِّمين ولقطع ايدي الظالمين الاقتصاديين .
- ١٢ - أن يدافع عن حقوق الضعفاء والعَمال والفلاحين واهل الحِرَفِ والمِهَنِ الصُّغار وان يَقِفَ بجانبهم.
- ١٣ - أن يَقومَ بنشرِ العلم والثقافة في الناس وازاحة الأُمِّيَّة، وتعليم الآداب الدِّنيَّة، وإنجاء المجتمع من الجهل والتخلفِ الفكري.
- ١٤ - أن يُوثِّقَ صلاتِ الناسِ الاجتماعيَّة والعائليَّة .
- ١٥ - ان يَشجُبَ الفسادَ والميوعةَ في كلِّ اشكالِها، وَيَسْتَأْصِلُهما ضمنَ برَمَجَةٍ صحيحةٍ منطقيَّة.

ولقد مرَّت في الباب - بالاضافة الى الاحاديث النبويَّة الشريفة - طائفةٌ مِمَّا رُوِيَ عن الائمة الطاهرين أو صدرَ منهم، بهذا الصِّدِّد، وذلك لأنهم هم الحُكَّام الحقيقِيون في الاسلام، وهم أركانُ البلاد، وساسةُ العباد، كما رُوِيَ عنهم. ولهم أشواطٌ بعيدة، ومواقفٌ تربويَّة، في القيامِ بأُمورِ الناس ورفعِ حوائجهم، حتى الصغيرة منها، ممَّا لا يَلْتَفِتُ اليه الناس. وكذلك لهم إمامٌ تامٌّ بالواقعِ البَشَرِيِّ وما يَكْتَنِفُه من المصائب والآلام، والفقرِ والمرضِ و.. ومن هُنا نرى في حياةِ الائمة «ع» وأيامهم، مواقفٌ عديدة، قاموا فيها بأنفسهم، للتنفيس عن المكروب، أو الأخذِ بأيدي العائل، أو إطعامِ الجائع، أو إيواءِ الخائف، وأمثال ذلك.

وهذا جانبٌ «الهي - انساني» عظيم، ممَّا فيه رضا الله وعنايته، نجد له أمثلةً في حياةِ الرِّبَّانِيِّين مِنَ العلماء، مِنَ الذين اقتَدوا بالائمة وحذوا حذوهم، فكانوا تُهمُّهم أُمورُ الناس ومشكلاتهم. واليك مثالا منها:

قال مؤلِّف «الكنى والألقاب» في ترجمة العلامة، السيِّد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (١١٥٥ - ١٢١٢ هـ. ق): «رَوَى شيخنا الاجل صاحبُ «المستدرک»، عن العالمِ الصالحِ الثَّقة. السيِّد محمد، ابنِ العالمِ

السيد هاشم الهندي - المجاور في المشهد الغروي - عن العبد الصالح الزاهد الورع العابد، الحاج محمد الخزعلي - وكان ممن أدرك السيد - قال: كان العالم الجليل، السيد جواد العاملي، صاحب «مفتاح الكرامة» يتعشى ليلة، إذ طارق طرق الباب عليه، عرف أنه خادم السيد بحر العلوم، فقام الى الباب عَجلاً، فقال له: إن السيد قد وضع بين يديه عشاءه وهو ينتظرك، فذهب اليه عَجلاً. فلما لاح له السيد، قال له السيد (بحر العلوم): «أما تخاف الله؟. اما تراقبه؟ اما تستحي منه؟»، فقال (السيد جواد العاملي): ما الذي حدث؟ فقال له: «إن رجلاً من إخوانك كان يأخذ من البقال قرضاً لعياله، كل يوم ليلة قسباً، ليس يجد غير ذلك، فلهم سبعة أيام لم يذوقوا الحنطة والأرز، ولا أكلوا غير القسب. وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسباً لعشائهم فقال له البقال: بلغ دينك كذا وكذا. فاستحي من البقال، ولم يأخذ منه شيئاً، وقد بات هو وعياله بغير عشاء، وأنت تتنعم وتأكل، وهو ممن يصل الى دارك وتعرفه وهو فلان ..».

فقال: والله مالي علم بحاله، فقال السيد: «لو علمت بحاله وتعشيت ولم تلتفت اليه، لكنت يهودياً، بل كافراً! وإنما أغضبني عليك عدم تجسسك عن إخوانك وعدم علمك بأحوالهم، فخذ هذه الصينية، يحملها لك خادمي يسلمها اليك عند باب داره، وقل له: "قد أحببت أن أتعشى معك الليلة"، وضع هذه الصرة تحت فراشه او بورياته او حصيره، وأبق له الصينية فلا ترجعها!». وكانت كبيرة فيها عشاء ..

انتهى الجزء الثاني من كتاب «الحياة»، ويتلوه الجزء الثالث - ان شاء الله تعالى -
ويتبدى بـ «الباب الحادي عشر»: «المدخل الى دراسة الاقتصاد الإسلامي (اصول عامة)».

١ - نوع من التمر.

٢ - الكنى والالقب ٢ / ٦٩، طبعة النجف، المطبعة الحيدرية.